مجلة المعرفة

دورية محكمة نصف سنوية

تصدر عن كلية التربية جامعة بني وليد

العدد الخامس عشر – الجزء الثاني

يونيو 2021

جميع الحقوق محفوظة للجامعة

لا يسمح بإعادة إصدار المجلة أو تخزينها في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها أو استنساخها بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

المراسلات

مجلة المعرفة - جامعة بني وليد- كلية التربية - بني وليد

البريد الإلكتروني Almaban2014@gmail.com

مجلة المعرفة - جامعة بنى وليد - كلية التربية بني وليد

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية 302/ 2015

تنويه

الآراء المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

هيئة تحرير المجلة

المشرف العام:

د. عبد الله صالح الطاهر

رئيس التحرير:

د.أبوبكر علي ضو عبد العزيز

أعضاء هيئة التحرير

الاسم	الاسم
د. عبدالسلام محمد الحاج	د. جمعة عبدالرحمن غيث
د. عبدالرحمن حسن عبدالرحمن	د. عبد الحميد على التليسي
د. مصباح ياقة السوداني	د. على أبوعجيلة الزروق
د. مفتاح الفيتوري الجمل	د. سعيد الساعدي أغنية
د. عمر صالح محمود	أ. صالح عبدالرحمن أبو كراع

قواعـد النشـر

تهدف مجلة المعرفة إلى الإسهام في الحركة الفكرية والثقافية للمجتمع الليبي وتطويرها وتنميتها، وذلك بنشر البحوث والدراسات العلمية في مجال العلوم الإنسانية باللغات العربية والأجنبية، وكذلك نشر مستخلصات الكتب ومراجعتها، وعرض الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه) التي يتقدم بها الباحثون والدارسون داخل ليبيا وخارجها.

وحرصاً من هيئة التحرير على استخدام الأسلوب العلمي في كتابة البحوث والدراسات التي تنشرها، وأخذاً بأسباب التيسير على الباحثين والقراء نأمل الالتزام بالقواعد التالية:

(1) يجب ألا تكون البحوث والدراسات المقدمة قد سبق نشرها أو قدمت للنشر في مكان أخر.

- يفضل ألا يزيد عدد صفحات البحث عن(25) صفحة مطبوعة، على أن تكون المادة المقدمة للنشر من نسختين يشار إلى أرقام الهوامش ضمن المتن، ويشمل الهامش على البيانات الأساسية للمصدر أو المرجع والمتمثلة في أسم المؤلف كاملاً، عنوان المصدر أو المرجع كاملاً، رقم الطبعة أو المجلد أو الجزء إن وجد.
- بيانات النشر وتشمل مكان النشر، الناشر، تاريخ النشر، رقم الصفحة، على أن تسجل هذه الهوامش في أسفل أو في نهاية البحث.

(2) اللغة العربية هي اللغة الأساسية للمجلة وتقبل البحوث والدراسات المكتوبة بلغات أجنبية (حالياً انجليزية وفرنسية) إذا كانت تشكل جزءاً من اهتمامات المجلة، على أن تكون مقرونة بملخصات باللغة العربية، ويستحسن كذلك أن ترفق الأبحاث باللغة العربية بملخصات باللغة الإنجليزية.

(3) إذا كان البحث قدم في مؤتمر علمي لم تنشر أعماله، فإنه ينبغي الإشارة في أسفل صفحة العنوان إلى اسم المؤتمر ومكان وتاريخ انعقاده.

(4) تخضع جميع الدراسات والبحوث المقدمة للنشر لمراجعات علمية من متخصصين ويبلغ أصحابها بالموافقة على النشر من عدمه، وفي الحالة الثانية فإن المجلة غير ملزمة بإرجاع البحوث غير المقبولة للنشر إلى أصحابها.

(5) لا تعبر البحوث والدراسات والمقالات المقدمة للنشر بالمجلة إلا عن رأي أصحابها ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة وأعضاء تحريرها.

(6) يحق لأصحاب البحوث والدراسات المقدمة للمجلة الحصول على نسختين من العدد الذي تنشر فيه بحوثهم ودراساتهم.

(7) لا تتولى المجلة نشر البحوث والدراسات التي لا تتعلق بمجالاتها كدورية متخصصة.

المحتويـات العدد

أولاً / البحوث العربية:

عناوين البحوث	رقم الصفحات
الأداء القصصي في الشعر العربي الحديث د. عبدالله صالح الطاهر - كلية التربية – جامعة بني وليد	1
استثمار أموال الزكاة في مشاريع تعود على مستحقيها د/ أحمد عبد القادر عبد الحميد	18
العمليات والنظم الاجتماعية في فكر ابن خلدون أ .عمر محمد عمر الفقهي استاد علم الاجتماع بكلية التربية/ جامعة بني وليد	37
منهجية المرادي في عرضه للقراءات من خلال كتابه (توضيح المقاصد والمسالك) **أشباه المفاعيل. دراسة تطبيقية على باب** د. فائزة فرج أحمد ناجي. كلية التربية. لغة عربية. سرت.	59
جهود أبو علي الفارسي **دراسة وصفية إحصائية** أ .برنية صالح إمحمد – كلية التربية جامعة سرت	97
الآثار الاجتماعية والثقافية للانترنت على الشباب **دراسة ميدانية على طلبة جامعة طرابلس** د/ آمنة حسين مسعود الأزرق - عضو هيئة تدريس بجامعة الزيتونة - كلية الآداب - قسم علم الاجتماع	111
عصر التنوير **والإيمان بالتقدم وتقديس الإنسان** مقدمة من د.علي خليفة محمد أجويلي - عضو هيئة التدريس بجامعة العواته - قسم علم الاجتماع	131
الدعم الليبي للحركة الوطنية التونسية (1945م-1955م) إعداد د مفتاح مجيد الشريف - محاضر بقسم التاريخ بكلية التربية / جامعة بني وليد	145
التنغيم ودوره في وظائف أسلوب الشرط د .عفاف الطاهر شلغوم – جامعة الزاوية	167

التجارة في ولاية طرابلس الغرب وتأثير الوضع الأمني (1835- 1911م) أ. دلال علي السوري الشتيوي أ. إلهام حسين خليفة السائح كلية التربية الزهراء / جامعة الجفارة كلية التربية الزهراء / جامعة الجفارة	179
العلاقات الدولية بين مثالية التّنظيم وواقعية النّظام "دراسة في التأصيل النظري" الأستاذ: عمران أحمد البيوني - الأستاذ: عياد مفتاح الواعر	192
القوة العسكرية الآشورية وانعكاسها على التوسعات الخارجية أ. فرج صالح احبيل المحجوب - * جامعة بني وليد ، التخصص تاريخ قديم .	221
التعليم في ليبيا عقب الحرب العالمية الثانية 1943-1951م د. المبروك حسن شاقان كلية التربية – جامعة بني وليد	245
أثر المنهج التاريخاني في الاستشراق الألماني هلموت ريتر أنموذجاً د.مبروكة معطى الله أستاذ مساعد: بقسم الفلسفة جامعة طرابلس- كلية الآداب	263

ثانياً / البحوث الأجنبية:

Research Titles	Number Pages
Denise entre deux choix la réforme ou l'amour, dans le roman de Au Bonheur des Dames de Émile Zola. Ayman Adam Hassan Saad-elnour - University of Al-mergib – faculty of languages	1
Urban Planning in the Medina of Tripoli, Libya: The Right to the Urban Space Dr.Fuzia Taher Elkekli - Department of Geography and Geographic information System- University of Tripoli	22
Effect of soil properties on Distribution of Boron in soil Abdulbaset Egrira Salama - Department of Soil and water & Faculty of Agriculture, Bani Waleed University, Bani Waleed, Libya	44
EFFECT OF REPLACEMENT OF THE Cu VITAL ENVIRONMANT FOR La ON THE TRANSPORT PROPERTIES OF $YBa_2(Cu_{1-x}La_x)_3O_{7-\delta}$ Sanaa Masod Abdulqader, Najah Ibrahem Elharari , Saad Salem Saad Ali Physics Department , University of Gharyan Faculty of Education/ Kikla ,Higher Institute of Medical Sciences and Technology / Abu salim.	72

الافتتاحية

يأتي العدد الخامس عشر بأبحاث الدسمة

أسرة التحرير

التنغيم ودوره في وظائف أسلوب الشرط

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة:

الحمد لله على آلائه ومنّه وفضله حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على أشرف الأنام وسيد أنبيائه.

أما بعد:

فالتنغيم ظاهرة صوتية فوق التركيبية لا تخلو منه لغة من اللغات الحيّة، واللغة المنطوقة التي تتّسم بتنوع الدرجات الصوتية - كما يتبادر إلى أسماعنا- تعدّ الوسيلة الأنجع للتواصل الفكري بين البشر تفوق كلّ وسائل الاتّصال الأخرى، ما جعلني أفكّر في مدى الدور الذي تلعبه هذه الظاهرة في صناعة المعاني والدلالات بتنوّع ارتفاع درجات الصوت وانخفاضه من خلال دراسة (دور التنغيم في وظائف أسلوب الشرط)، دراسة صوتية أستهدف من خلالها معرفة هل للتنغيم دور في النظرية التوليدية التي طالما استحوذ عليها الدرس النحوي والصرفي؟ ومعرفة دوره في تجسيد المعاني والدلالات وتوجيهها من خلال أساليب التراكيب النحوية عموما، ودوره في تجسيد علاقة المشارطة صوتيا خصوصا، وتطبيق النتائج على بعض النصوص العربية لأساليب الشرط. وإثراء الدراسات الصوتية المقلّة عموما

تكوّنت هذه الدراسة من مقدّمة وستّة مباحث، أمّا الأوّل فقد تضمّن أسلوب الشرط في الدرس الصوتي، وأمّا الثاني فقد تضمّن اقتران جواب الشرط بالفاء، وأمّا الثالث فقد تضمّن الحذف في أسلوب الشرط، وأمّا الرابع فقد تضمّن قضايا شرطية، وأمّا الخامس فقد تضمّن خروج الشرط عن مقتضاه الظاهر، وأمّا السادس فقد تضمّن الشواهد التطبيقية، وأردفت هذه الدراسة بأهمّ النتائج التي توصّلت إليها وفهرس المصادر والمراجع.

وقبل التفصيل في هذه المباحث ينبغي تعريف التنغيم وأسلوب الشرط، أمّا التنغيم فقد عرّفه تمّام حسّان: "بأنّه ارتفاع الصوت وانخفاضه[*] أثناء الكلام وربّما كان له وظيفة نحويّة"[1]. وعرّفه أحمد مختار عمر بأنّه: "تتابعات مطّردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتيّة

على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة. وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة"[2].

وأمّا أسلوب الشرط: فهو: " تعليق جملة بجملة تكون الأولى سبباً والثانية مسبباً"[3].

وهو من حيث النوع، حروف وأسماء، ومن حيث الوظيفة الإعرابية جازمة وغير جازمة.

المبحث الأوّل- الشرط في الدرس الصوتي:

الشرط هو أسلوب مركّب من كيانين تركيبيين مستقلّين في الأساس، تربطهما علاقة مشارطة؛ وبسبب هذه العلاقة جعل التركيبين تتغير صورتهما الصوتية عن ذي قبل، على الرغم من أنّهما جملتان خبريتان، كان لهما تنغيم الجمل الخبرية المستقلة، أما وقد أُضفي عليهما تلوين صوتي مخالف فقد ذهب بأذهاننا إلى دلالة أخرى ومراد لغوي أخر.

نحو قوله تعالى: **(إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ)** [إبراهيم 19]، (إن) أداة الشرط، (يشأ) فعل الشرط، وهو جملة فاعله مقدّر. (يذهبكم) جملة أخرى، من فعل وفاعله مستتر أيضاً. إذاً هما جملتان، إذا ما فككناهما نقول: (يشاء الله عقابكم) والثانية (يذهبكم الله)، نلحظ أنّ كلا الجملتين ينطقان بصورة تنغيمية هابطة ثمّ سكتة طويلة تعقب كلٌّ منهما تنبي عن استقلالية إحداهما عن الأخرى، وتمام معناها بعيدة عن الأخرى.

أما وقد اجتمعت الجملتان في أسلوب واحد بالربط بينهما في علاقة مشارطة، فإنّ الصورة التنغيمية التي تدلّنا على هذه العلاقة تختلف عن الصورة السابقة؛ إذ تصحب الجملة الأولى (إن يشأ) نغمة صاعدة تنبي عن تعلّق التركيب بغيره، وتشعرنا بالانتظار لما تحصل به الفائدة، والأداة تقترن بفعلها ولا تنفكّ عنها ككتلة صوتية واحدة من دون الفصل بينهما بسكتة[4]، هذه السكتة من المقرّر أن تعقب الجملة الأولى، أي جملة الشرط من دون المبالغة في تطويلها. والجملة الثانية (يذهبكم) تصحبها نغمة هابطة تدلّنا على الفور على تمام المعنى وانتهاء المشارطة. وهذا ينطبق على أدوات الشرط غير الجازمة أيضاً، نحو (لولا الرسل لخسرت البشرية).

هناك أسماء وُضعت في الأصل للاستفهام عن المكان أو الزمان، ثمّ وُظّفت للدلالة على الشرط، نحو: (أين يوجد الله؟)، (أنّى يدركنا الموت؟)، (متى تسافر؟)، (أيّان يتوب الله علينا؟)، (كيف أعمل؟)، (أي بلد تسافر؟)، (من يعمل خيراً؟)، (ما تصنع؟)، وتكون (من، ما) بمعنى الموصولية، نحو (جاء من يعمل خيراً)، (ساء ما تفعلون). كذلك تضمّنت (حيث) الظرفية معنى

الشـرط، وهي في الأصـل للظرفية المكانية، نحو (جلسـت حيث الشـجرة). التنغيم الذي يصـاحب الجمل الاستفهامية السابقة يكون صاعداً بالأداة، هذا الصعود ينبي بانتظار الجواب، مع إمكانية الفصـل بين الأداة والمسـتفهم عنه بسـكتة خفيفة، وتنتهي الجملة بنغمة هابطة. وباقي الجمل هي جمل خبرية تصـحبها نغمة مسـتوية. وإذا تحوّلت هذه الأدوات من مدلولها الأصـلي إلى معنى الشرطية، فإنّه حتماً يرافق هذا تحويلٌ في الصورة التنغيمية، كما في التالي:

- أين نتّجه، يوجد الله، أو أينما نتّجه، يوجد الله.
- أنّى تكونوا، يدرككم الموت.
- متى تنجح، تسافر.
- أيّان نتب، يتب الله علينا.
- كيفما تعمل الآلة، نعمل.
- أيُّ بلد تسافر، أسافر.
- من يعمل خيراً، يلقى جزاءه.
- ما تصنع، تجده.
- حيثما تكن، أكن.
- مهما تكذب، فلن نصدّقك.

تتكون الجمل السـابقة من ثلاثة أطراف معنية، هي الأداة وجملة الشـرط وجملة جوابه. تركيب يصلح أن يكون جواباً للجمل الاستفهامية التي سبقتها. وإذا تمعّنا فيها بقراءتها بشكل متوالٍ نلمس أنّها اجتمعت في تنسـيق تركيبي محدّد، يصـحبه تصـوّر تنغيمي موحّد. إذ تغيرت الصـورة التنغيمية لتلك الجمل التي تتصـدّرها أسـماء الاسـتفهام من محض الاسـتفهام أو الظرفية، إلى صـورة تنغيمية أخرى، إذ تبدأ جملة الشـرط ملتصـقة مع اسـمها في كتلة صـوتية واحدة من دون سـكتة بينهما بنغمة عادية وتنتهي بنغمة صـاعدة؛ لعدم تمام معناها. ثمّ تعقبها سـكتة صـغيرة تفصـل بين الجملتين، تمهيداً لتغيير النغمة إلى هابطة تكسـو جواب الشـرط، بعد ذلك الصـعود، تدلّ على تمام الفائدة، وانتهاء الأسلوب.

المبحث الثاني- اقتران جواب الشرط بالفاء:

عند قراءة جملة (من ستر مؤمناً، ستره الله) أو سماعها من عارف متمكّن، نجد إلى جانب النغمة الصاعدة لجملة الشـرط سكتة تعقبها، وتباطؤ في إرداف جملة جواب الشـرط. وعند قراءة

(من ستر مؤمناً، فالله ساتره) فإنّه يتبادر إلى أسماعنا إمكانية تلاشي تلك السكتة، وتسارع الفاء مع لصيقها لملء فراغها[5]؛ ولأنّهما جملتان مستقلّتان في أسلوب واحد يجب أن يراعى عنصر التنغيم في الربط بين أجزائه في إبراز علاقة المشارطة التي يقوم على أساسها الأسلوب؛ حتّى لا يلتبس المعنى في الجملة الأولى، ويُتهاون في أمر السكتة قليلاً؛ لوجود القرينة الرابطة بين أجزاء الأسلوب المتمثّلة في الفاء الواقعة في الجواب. فالأصل في الجواب أن يصلح لأنْ يكون فعلاً للشرط، فيكون الكلام على وتيرة واحدة متناسقة، توحي بالترابط بين أوصال أسلوب الشرط. وعندما جاء الجواب على غير الأصل، جيء بالفاء خشية بعثرة الجمل، وفقد الرابط بينها في غياب الصورة التنغيمية التي تأصّلت بالضغط على الفاء ولصيقها، فمثلاً إذا تجاورت جملتان نحو (من يدرس، سوف ينجح)، قد يلتبس الأمر لعدم وجود علاقة ظاهرة بين التركيبين، فيأخذهما كلٌّ منّا على هواه، بأن تكون الأولى للاستفهام مثلاً، فيغلب عليها نغمة الاستفهام (من يدرس؟) و(سوف ينجح) تكون جملة مستقلّة عن الأولى. ولو قُدّر التنغيم حقّ قدره في هذا الموضع، في الربط بين أجزائه، لما دعت الحاجة إلى الفاء. وعلى الرغم من وجود هذا الرابط اللفظي المتمثّل في الفاء، فإنّ الربط يُعزّز بتنغيم واضح بالضغط على الفاء ولصيقها.

المبحث الثالث- الحذف في أسلوب الشرط:

الحذف في أسلوب الشرط أو التقديم والتأخير بين أركانه على مذهب الكوفيين في نحو (النصر قريب إن تصبروا)، في هذه الجملة ذهب البصريون إلى عدم الاعتراف بجواب الشرط المتقدّم على فعله. وهو ما لا يُعدّ مقبولاً عند الكوفيين[6]؛ إذ لا حاجة دلالية تدفعهم إلى البحث عمّا هو موجود، أو تقدير شيء ما يمكن لما هو ظاهر أن يغني عنه. الأمر الذي يُعدّ مقبولاً من وجهة نظر منطقيّة.

لكنّ البصريين يبدو أنّ لهم نظرة صوتية غائبة عن الكثيرين، تعلّل ما ذهبوا إليه؛ فجملة (إن تصبروا، فالنصر قريب) أسلوب شرط له صورته التنغيمية الموزّعة على أركانه، والتي ارتبطت به، ولا يتأتى من دونها، كما أبنّا فيما سبق. وإذا أعدنا ترتيب أركان الأسلوب، بأن يتقدّم الجواب على الشرط وأداته، (النصر قريب إن تصبروا)، نجد أنّ هذا التركيب اختلفت صورته التنغيمية عن التركيب السابق؛ إذ في الجملة الأولى إثارة المستمع وإيحائه بإقباله على نتيجة المشارطة، وإبقاء الذهن في حالة انتظار. كلّ هذا توحيه إلينا النغمة الصاعدة لجملة الشرط؛ بسبب ذلك فإنّ الناطق يسعى إلى إبراز ما يتوق المستمع إلى سماعه لأهميّته في التركيب، بالضغط على جواب الشرط، والتباطؤ فيه. أما وقد تقدّم الجواب على الشرط (النصر قريب إن تصبروا)، فإنّ الأسلوب

سيفقد بعض ما يعنيه الشرط من عنصر الإثارة والإيحاء، ويترتّب على هذا التقديم، عدم الحاجة للضغط على الجواب المتقدّم. ولأنّ المنتظر إقباله قد تقدّم فلا حاجة لأن تصحب جملة الشرط نغمة صاعدة التي توحي بالانتظار. وعلى هذا فالنغمة المصاحبة للشرط وجوابه المتقدّم مستوية عادية تخلو من عنصر الإثارة، مع الضغط على أداة الشرط وإبرازها[7]؛ لتضفي على التركيب شيء من معنى الشرطية. ولعلّ هذا ما دفع البصريين إلى تقدير جواب محذوف للشرط.

وقد يحدث أن يُحذف فعل الشرط، وهذا كثير، نحو (كن مع الجماعة وإلاّ تضعف)، أي: (إن لم تكن مع الجماعة، تضعف). فعل الشرط في التركيب الأوّل محذوف يفسّره المذكور قبل الأداة. وعندما نقارن بين نغمتي الجملتين نجد اختلافاً بائناً؛ إذ نلحظ في جملة المحذوف أنّ ضغطاً زائداً على الأداة لإبرازها، وهو إبراز مهمّ إذ يعوّل عليه في معنى الشرط، وتنتهي هذه الأداة بنغمة صاعدة كانت قبلاً لجملة الشرط، تدلّ على ثلاثة أشياء، الأوّل تدل على فعل الشرط المحذوف. والثاني تدلّ على عدم تمام المعنى المنتظر في الجواب. والثالث تدلّ على وجود إنذار ما. وتعقب هذه النغمة سكتة تنبي عن هذا المحذوف ، وتؤكّد الإنذار بما هو آت من

تهديد وعقاب نشعر به فوراً من تلك السكتة وذلك الصعود.

المبحث الرابع- قضايا شرطية:

قد يتداخل الاستفهام في أسلوب الشرط، فيتصدّر الجواب، نحو (إن زرتك فهل تزرني؟) في هذا التركيب تختلف صورته التنغيمية عن قولنا (إن تزرني أزرك)، إذ في الجملة الأولى تكون جملة الشرط منتهية بنغمة هابطة مع الضغط على فعل الشرط، على عكس ما هو في الجملة الثانية. والجواب في الجملة الأولى يكون بنغمة صاعدة تدلّ على الاستفهام، وعدم تمام المعنى إلاّ بالإجابة عليه. على عكس الجواب الشرطي في الجملة الثانية الذي ينتهي بنغمة هابطة تدلّ على تمام المعنى.

وقد يتصدّر الجواب بحرف تحضيضي، نحو (إن ساعدتك، فهلاّ شكرتني)، يتم الضغط في هذا التركيب على حرف التحضـيض وإبرازه؛ للحث على ما بعده، وجملة الجواب إمّا أن تكون هابطة لتمام المعنى. وإمّا أن يكون فيها صعود ينبي عن المبالغة في التحضيض والانتظار؛ لمعرفة نتيجته من المخاطَب.

وقد يتصـدّر الجواب إذا الفجائية، نحو (إن يصـبهم سـوء، فإذا هم يقنطون) فتكون النغمة المصاحبة فيها إثارة عنصر المفاجأة.

من قضايا أسلوب الشرط أنّ بعض الأدوات توجد فسحة نطقية[8] بين الشرط وجوابه، كما في (لو، لمّا)، نحو، (لو أنّ لنا كرّة نعود إلى الحياة الدنيا فنعمل صالحاً لما لبثنا في العذاب المهين)، في هذا المثال فسحة نطقية بين الشرط وجوابه، وهذا يتناسب مع التمنّي. ونحو (لمّا سمع نفر من الجن قرآناً ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلّم آمنوا به) وفيه كذلك فسحة نطقية بين الشرط وجوابه يتناسب مع القصّة والحكاية. وتتقلّص هذه الفسحة مع (لولا) غالباً، نحو (لولا الماء لانتهت الحياة، الفسحة النطقية التي في (لو، لمّا) تجعل المستمع يولي تركيبهما تركيزاً أكثر؛ تربّصاً بالجواب، وهو ما لا يكون في (لولا)، إذ يكون جوابها لصيقاً بشرطها غالباً.

و(لو) اللام للإلصاق والواو يفيد الجمع، نستشفّ ذلك من خلال صورتهما النطقية فاللام يؤتى به عند التصاقه باللثة ولا ينفك عنها، والواو عند جمع الشفتين وضمّهما، نحو (لو جئتني لأكرمتك) نرى ههنا الأداة جمعت السبب مع المسبّب في علاقة تلازمية عدمية، إذ انعدم المسبّب وهو الإكرام لانعدام السبب وهو المجيء. كما أنّها تلتزم بالزمن الماضي وتلتصق به، فلا يجوز أن نقول: (لو جئتني غدا لأكرمتك)، بل نقول: (إن جئتني غدا لأكرمتك).

ومن قضايا الشرط، اسم الشرط (مهما) قيل أنّها تتكوّن من (مه) التي للزجر والنهي، اقترنت بها (ما) لتدلّ على الشرط؛ لذا فإنّها أكثر ما تُستخدم في معنى الزجر والنهي، بالإضافة إلى أنّ فيها معنى التكثير، فتصاحبها نغمة دالة على ذلك، نحو قوله تعالى: **(وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ)** [الأعراف 132] بالضغط على اسم الشرط (مهما). لا يمكن أن يتأتى الأسلوب من دونها.

المبحث الخامس- خروج الشرط عن مقتضاه:

غالبية أدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة، ليست خالصة للشرط، بل هي ظروف مكانية أو زمانية أو موصولة، كثيراً ما تخرج عن مقتضى الشرط، وإذا تجرّدت من معنى الشرطية انسلخ عنها تنغيمه، نحو (نجحت لمّا درست)، (لولا تتوبون إلى الله)، (نسافر متى تشاء)، (استشهد من قاتل في سبيل الله)، (أكلت كلّ ما في الصحن)، فالأسماء: (لولا) للحثّ والتحضيض، (لمّا) بمعنى حين، و(متى) بمعنى الزمان، و(من) بمعنى الذي، و(كل ما) بمعنى العموم و(ما) اسم موصول. وعلى هذا فإنّ هذه الجمل اتّسمت بتنغيم الجمل الخبرية وهي تراكيب مستقلّة من جمل أحادية.

المبحث السادس- شواهد تطبيقية:

1. قال تعالى: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا) [البقرة 106]

في الآية الكريمة السابقة، أسلوب مركّب من ثلاثة أركان، أداة الشرط (ما)، وجملة الشرط (ننسخ)، وجملة الجواب (نأت). كلّ التراكيب التي جاءت على هذه الشاكلة، تدلّ على معنى الشرط، وتنماز بصورة تنغيمية، مفادها التصاق الأداة مع جملة الشرط ككتلة صوتية واحدة، في نغمة صاعدة على المقطع (ها = ص ح ح) في (ننسها) تنبي عن عدم تمام المعنى، تعقبها سكتة تجعلنا في حالة انتظار المعنى التام. وبعد هذه السكتة مباشرة يجب أن تكون جملة جواب الشرط في نغمة هابطة تدل على تمام المعنى على المقطع (ها = ص ح ح) في (منها) في آخر الجواب؛ ولأنّ الجواب جاء على الأصل وهو جواز مباشرته الأداة، فإنّ التناغم الصوتي بين الشرط والجواب (ننسخ، نأت) هو الرابط بينهما الذي يغنينا عن رابط الفاء. وإذا افتقر الأسلوب إلى هذا التناغم الصوتي بسبب مجيء الجواب على غير الأصل، نحو قوله تعالى: (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ) [المائدة 118] لزم في هذه الحالة وجود رابط لفظي يعوّض ذلك التناغم المفقود في هذه الآية، فكان الفاء.

2. وقال تعالى: (فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ) [البقرة 196]

في هذه الآية الكريمة وردت (من) بمعنى الشرط التصقت بفعلها ككتلة صوتية واحدة في تنغيم صاعد على المقطع (جد = ص ح ص) في (يجد)، ينبي عن عدم تمام المعنى، تعقبه سكتة صغيرة، يستعدّ السامع لتلقّي الجواب المنتظر الذي تصحبه نغمة هابطة تدلّ على تمامه وذلك على المقطع (تم = ص ح ص) في (رجعتم)، فينصرف السامع من حالة الانتظار إلى حالة الاستقرار، وإراحة البال. هذه الصورة التنغيمية المتكاملة، لا نراها في قوله تعالى: (وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) [البقرة 177]. إذ نلحظ أن التركيب (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)، لا تحضره الصورة التنغيمية السابقة، فـ (من) اسم موصول والباقي صلته، وجميعه خبر للناسخ، لذا فالنغمة المصاحبة له هابطة، تدلّ على تمام المعنى على عكس (من) الأولى التي تأخذ السامع إلى حالة انتظار تمام المعنى.

3. وقال تعالى: (أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ) [القصص 28]

(أي) أداة استفهام تكون نغمة الجملة هابطة على المقطع (ت = ص ح) في (قضيت) تدلّ على الاستفهام بغير هل والهمزة، ولكن هذه الآية عند تلاوتها ترافقها نغمة صاعدة للفعل (قضيت) على المقطع (ت = ص ح)، تعقبها جملة بنغمتها الهابطة في نهايتها في قوله (عليّ). هذه الصورة التنغيمية جعلت التركيب يخرج من معنى الاستفهام إلى معنى الشرط، فوردت (أيّ) هنا على معنى الشرط، وخالفت نغمته إلى ما يدلّ على الاستفهام، كما في قوله تعالى: **(مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)** [عبس 18] فهي نغمة تبدأ بصاعدة تصحب الأداة مع الضغط عليها، وتنتهي الجملة بهابطة لتدل على الاستفهام.

4. وقال تعالى: **(فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)** [البقرة115]

(أين) أداة استفهام نغمته تكون هابطة في آخر الجملة (لوا = ص ح ح) في (تولوا)، ولكن هذه الآية يجعلها التنغيم تنماز عن غيرها من التراكيب؛ إذ الجملة الأولى تكون صاعدة، تعقبها نغمة هابطة في الجملة الثانية، من دون فصل بينهما؛ لوجود الفاء الرابط، هذه الصورة التنغيمية جعلت التركيب ينصرف الاستفهام إلى معنى الشرط. وفي قوله تعالى: **(أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ)** [الأنعام22] التنغيم المصاحب له يكون بنغمة صاعدة تصحب الأداة مع إمكانية الفصل بين (أين) وما بعدها بسكتة، وينتهي التركيب بنغمة هابطة تدلّ على السؤال بغير هل والهمزة.

5. وقال تعالى: **(كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ)** [المائدة 64]

التنغيم المجعول لهذه الآية ينبي السامع عن وجود أسلوب شرط، وهو تنغيم صاعد فسكتة فهابط، أشلاء يربط بينها تناغم صوتي يفرضه التركيب الماضي لطرفي الأسلوب (أوقدوا، أطفأها)، أما الصاعدة فتحوي فعل الشرط (أوقدوا نارا)، وأما الهابطة فتحوي الجواب (أطفأها الله). وإذا قرأنا قوله تعالى (**وَ آتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ)** [إبراهيم 34] فإنّ صورة تنغيمية أخرى تفرض نفسها على هذه الآية، فقوله (من كلّ ما سألتموه) نغمته تكون هابطة تدلّ على تمام المعنى. ولا يُحتاج إلى جملة أخرى لذلك.

6. وقال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ)** [البروج 10]
7. وقال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)** [البروج 11]

تبدو هاتان الآيتان من سورة البروج على صورة تركيبية واحدة لولا تلك الفاء التي تصدّرت شبه الجملة (فلهم) في الآية الأولى، وتجرّدت منها في الآية الثانية (لهم)، يترتّب على هذا أنّ الصورة التنغيمية في الآية الأولى تختلف عن الآية الثانية؛ إذ تدلّ الفاء على أنّ الاسم الموصول المبتدأ **(الذين)** تضمّن لمعنى الشرط، وعلى هذا فإنّ الشطر الأوّل من الأسلوب الكائن في الموصول وصلته، تصحبه نغمة صاعدة تدلّ على عدم تمام المعنى، وتجعل الذهن في حالة انتظار، تعقبه جملة أخرى مرتبطة بالأولى، هي نتيجة عنها، تصحبها نغمة هابطة على قوله (فلهم) تشير للسامع بانتهاء المعنى، وحصول الفائدة، واستقرار الذهن من حالة الانتظار. وعدم وجود التناغم الصوتي بين الجزاء وجوابه لزم الجواب الفاء؛ للربط بينهما، ودفعاً للبس.

وفي الآية الثانية جُرّدت شبه الجملة (لهم) من الفاء، ما يدلّ على عدم دخول الجملتين في علاقة مشارطة، بل علاقة إخبارية بين قوله (إنّ الذين آمنوا...) وبين قوله (لهم جنّات...) تصحبهما نغمة مستوية تنتهي بالهابطة عند انتهاء الكلام وتمام الخبر.

8. قال تعالى: **(وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ)** [البقرة 40]

جُزمت (أوف)؛ لأنّها واقعة في جواب الطلب، وهو تركيب قريب من أسلوب الشرط، وجواب الأمر مجزوم مثل جواب ما بعد حروف المجازاة، فهو على تفسير (إنْ تَفْعلوا أُوفِ بَعَهْدِكُم)[9]. ومن حيث الصورة التنغيمية فإنّهما متماثلان، إذ تصحب الجملة الأولى من التركيب (وأوفوا بعهدي) تنغيم صاعد ينبي عن عدم تمام المعنى، تعقبه سكتة تحفز الذهن على الانتظار، وما أن تأتي جملة الجواب حتّى يستريح بال السامع بحصول الفائدة به، والذي يبعث على هذا الشعور وجود التناغم الفعلي بين الأمر وجوابه.ومثل ذلك قوله تعالى: **(ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ)** [الفتح 15]، إذ جُزمت (نتبعكم) على جواب الأمر، فجرى تنغيم الآية على غرار ما جاء في الآية الأولى. لكنّ الأمر مخالف في قوله تعالى: **(ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)** [الأنعام 91] أي (دعهم في جهلهم وضلالهم)[10]. فلم يجعله جوابا، ولكنه جعله (كأنّهم كانوا يلعبون)، فقال: (ذَرْهُم في حال لعبهم)[11]. والصورة التنغيمية مخالفة تماماً للآيتين السابقتين، إذ تكون هذه الآية كتلة صوتية واحدة تصحبها تنغيم يبدأ في صورته المستوية والضغط على فعل الأمر (فذرهم)، وينتهي بتنغيم هابط، يدلّ على تمام المعنى بفعل الطلب. هذه النقلة بين الدلالتين إنّما مردّها الصورة التنغيمية التي صرفت التركيب في الآية الأولى من مجرّد الطلب إلى دلالة الشرط، ونحو ذلك قال أبو النجم العجلي الراجز[12]: [من الرجز]

يَا نَاقُ سِيرِي عَنقاً فَسِيحَا إلى سُلَيْمَانَ فَنَسْتَرِيحَا

جعل سير ناقته سبباً لراحتِه فكأنّه قال: (إنْ تسيري نستريحْ). وعلى هذا فالتركيب عبارة عن طلب وجوابه. أمّا الطلب (سيري....) فنغمته صاعدة، تدلّ على انتظار الجواب، والفاء أغنت عن السكتة المفترض وجودها بعد جملة الطلب. هذه الفاء تلتصق بالجواب ككتلة صوتية واحدة (فنستريحا) تنتهي بنغمة هابطة؛ لتمام المعنى.

9. وقال تعالى: **(فَاسْأَلُوَهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ)** [الأنبياء 63]

في هذه الآية الكريمة أسلوب شرط جوابه محذوف يفسّره ما قبله[13]. وتنغيم الشرط في مثل هذه الحال يختلف عنه في حال عدم الحذف، وذلك أنّ الأداة مع فعل الشرط (إن كانوا ينطقون) تصحبها نغمة هابطة ثمّ وقفة بعدها تدلّ على تمام المعنى؛ لأنّ معرفة الجواب كانت مسبقة، إمّا بالتقدير والتفسير، وإمّا بالتقديم،[14] في قوله (فسألوهم) فلا حاجة لنغمة صاعدة تكسو جملة الشرط. مع الضغط على أداة الشرط ولصيقها؛ لتضفي على التركيب معنى المشارطة.

10. ومثله قوله تعالى: **(قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ)** [هود 80]

تحتوي هذه الآية الكريمة (لو أن لي ...) على أسلوب شرط جوابه محذوف يفسّره الحال، أي لفعلت بكم.[15] النغمة المصاحبة للجملة الشرطية السابقة نغمة سلبية هابطة في نهاية التركيب، مع مط المقطع (دي= ص ح ح) في (شديد) تدلّ على أنّ الجواب فيه معنى الأسف والتحسّر، وليس معنى المشارطة.

11. وقال شاس بن نَهَار العَبْدي[16]: [من الطويل]

فإن كنت مأكولاً فكن خيرَ آكلٍ وإلاَّ فأدركْني ولما أُمَزَّق

في هذا البيت أسلوب الشرط (وإلاّ فأدركني...) حُذف منه جملة الشرط. والتقدير (إن لم تكن خير آكل فأدركني). فكان لأداة الشرط تنغيم صاعد مع الضغط عليها، وتعقبها سكتة، كلّ ذلك ينبي عن فعل الشرط المحذوف، وينبي أيضاً عن عدم تمام المعنى الذي ينتظره السامع حتّى جاءت جملة الجواب التي هبطت نغمتها؛ لأنّها محلّ تمام الفائدة. ولولا الفعل المحذوف لما كانت هذه السكتة لوجود الفاء الرابط. هذه الصورة التنغيمية جعلت قوله (إلا) بعيدا عن معنى الاستثناء، وإنما هو تركيب دلّت نغمته على معنى المشارطة.

نتائج الدراسة:

1. التنغيم ظاهرة صوتية لا تخلو منه لغة من اللغات الحية؛ لأنّه يُعدّ المترجم الأمين على أحوال الأقوال والانفعالات التي هي عوارض النفْس؛ إذ لكلّ نفس عوارضها من تعب وراحة وخوف وأمن وقسوة وراحة وغضب وسكينة وغير ذلك من انفعالات النفس وعوارضها. فهو المعين على استحضار المحذوف وإظهار المكنون.
2. يعين التنغيم على إبراز التخيّلات والإصغاء واستمالة النفوس.
3. التنغيم ظاهرة تداولية تعكس الحميمية والدفء بين المجتمعات التنغيمية التي يعينها التنغيم على التواصل الانفعالي في صورة صوتية منطوقة تعجز عن تسجيلها وتحقيقها في كثير من الأحيان اللغة المكتوبة.
4. فالتنغيم على هذا يُعدّ من أحد أهم عوامل النظرية التوليدية وعناصرها؛ إذ يحوّل الجمل التوليدية إلى دلالات ومعان أخرى، فهو يجعل الخبر شرطا والشرط قسما وتمنيا، ويجعل الظرف والاستفهام شرطا ويجعل الشرط ظرفا واستفهاما، وغير ذلك من الجمل السطحية التحويلية.

فهرس المصادر والمراجع:

(*) الصحيح (في أثناء).

1. مناهج البحث في اللغة، تمّام حسّان، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب،1986م: 198.
2. دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة. مصر، 1997م: 229.
3. توضيح المقاصد على ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي، شر، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة. مصر، الطبعة الأولى، 1428هـ - 2008م، 3: 1274.
4. ينظر من وظائف الصوت اللغوي، أحمد كشك، دار غريب، القاهرة - مصر، ط: 1، 2007م: 66.
5. ينظر من وظائف الصوت اللغوي: 66.
6. ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمّد بن أبي سعيد الأنباري، المكتبة العصرية، بيروت. لبنان، 987م، المسألة: 87، 2: 623.
7. ينظر من وظائف الصوت اللغوي: 68.
8. ينظر من وظائف الصوت اللغوي: 71.
9. ينظر معاني الأخفش: 62.

10. ينظر تفسير ابن كثير، هذ: صلاح عبد الفتّاح الخالدي، دار الفاروق، عمّان - الأردن، ط: 1، 2008م، 3: 1208.

11.ينظر معاني القرآن، أبو الحسن، سعيد بن مسعدة البصري، المعروف بالأخفش الأوسط، تق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت .لبنان، الطبعة الأولى، 2002م: 62.

12. ينظر اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان ابن جنّي، تح: حامد المؤمن، عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1985م، 188. والكتاب، 3: 35، الأصول في النحو، أبو بكر محمّد بن سهل بن السرّاج النحوي البغدادي، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرسالة، بيروت .لبنان، الطبعة الأولى، 1985م، 2: 191.

13. ينظر المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة .السعودية، 1426هـ: 726.

14. ينظر تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة - مصر، ط1: 226.

15. ينظر تفسير الجلالين: 296.

16. ينظر لباب الآداب، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تح: أحمد حسن لبج، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .ط:1، 1997م ، ص: 124. والمزهر في علوم اللغة، 2: 435، 436.

استثمار أموال الزكاة في مشاريع تعود على مستحقيها

إعداد د/ أحمد عبد القادر عبد الحميد

إستثمار أموال الزكاة في مشاريع تعود على مستحقيها

المبحث الأول وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:تعريف الزكاة.

الزكاة لغة: الزيادة ، والنماء، وتطلق أيضاً . على التطهير والمدح[1] .

وفي الاصطلاح : (اسم لقدر مخصوص يصرف لأصناف مخصوصة بشروط)[2] ،

وقيل : (إخراج مقدار مخصوص من مال مخصوص لأصناف مخصوصة)[3] .

وعرّف الإمام ابن عرفة الزكاة اصطلاحاً فقال : (الزكاة اسماً : جزء من المال شرط وجوبه لمستحقه بلوغ المال نصاباً ، ومصدراً: إخراج جزء مخصوص من مال مخصوص بلغ نصاباً إن تم الملك ، وحال الحول)[4].

إذاً فهي تطلق من حيث الشرع على إخراج مال الزكاة ، كما يمكن ورودها على الجزء المخرج من المال ، وعرفها ابن قدامة : (حق يجب في المال)[5]، وهذا الحق يتضمن الإخراج ، والجزء المخرج كليهما.

المطلب الثاني : تعريف الاستثمار:

الاستثمار في اللغة : طلب الثمر ، فيقال : أثمر الشجر، إذا خرج ثمره وثمر الشيء إذا تولد منه شيء آخر ، وثمّر الرجل ماله تثميراً : أي كثره عن طريق تنميته[6] .

وبمعنى كثرة المال جاء في القرآن الكريم ، ومنه قوله تعالى :" وكان له ثمر فقال

---

[1] . انظر: معجم مقاييس اللغة ، المفردات في غريب القرآن ، مادة زكا.

[2] . المجموع 5/ 165.

[3] . الفقه الميسر12/4.

[4] . شرح حدود ابن عرفة 1/ 145.

[5] . المغني 5/4.

[6] . انظر لسان العرب ، مادة (ثمر).

لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً"[7].

فيكون على هذا الاستثمار بمعنى طلب الحصول على الثمرة وهي الأرباح ، وقد جرى بعض الفقهاء في استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى، حيث جاء في المنتقى للباجي أول كتاب القراض : أن يكون لأبي موسى الأشعري النظر في المال بالتثمير ، والإصلاح[8] ،

وجاء في تفسير الكشاف عند قوله تعالى: " ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيماً"[9] ، فالسفهاء : المبذرون أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ، ولا يقومون بإصلاحها ، وتثميرها ، والتصرف فيها[10].

المطلب الثالث: التصور الفقهي للمسألة :

ممكن أن نصور الموضوع بأنه عوضاً عن توزيع الزكوات كلها لأهل الزكاة نقوم بتوزيع بعضها ، والجزء الباقي تقوم لجنة خاصة مثل بيت الزكاة بالعمل على تنمية ، واستثمار ذلك الجزء في مشاريع استثمارية ذات أرباح مثل : المصانع ، أوعمارات سكنية ، أو شركة نقل ليزداد هذا الجزء ، دون أن تملك الأعيان المستثمرة لأحد ، وإنما تعتبر شخصية معنوية تمثلها تلك الإدارة الموكلة بها.

المبحث الثاني: أقوال العلماء في المسألة ، وفيه مطلب واحد:

مطلب: أقوال العلماء في حكم استثمار أموال الزكاة في مشاريع تعود على مستحقيها.

اختلف العلماء القدامى ، والمعاصرون في حكم استثمار أموال الزكاة من قبل جهة تتولى الإشراف ،والاستثمار على ما صورناه سابقاً، ويمكن تلخيص أقوالهم كالتالي:

---

[7] . سورة الكهف الآية 34.

[8] . انظر المنتقى 5/ 151.

[9] . سورة النساء الآية 5.

[10] . انظر الكشاف 1/ 500.

القول الأول : عدم جواز استثمار أموال الزكاة :

قال الإمام النووي: (لا يجوز للإمام ، ولا للساعي بيع شيء من مال الزكاة من غير ضرورة ، بل يوصلها إلى المستحقين بأعيانها ؛ لأن أهل الزكاة أهل رشد ولا ولاية عليهم ، فلم يجز بيع مالهم بغير إذنهم)[11].

وهذا نص عزيز ، قديم من إمام كبير ، ولم أجد في كتب المتقدمين من يتكلم على هذه المسألة ؛ لأن أكثر ما درست هذه المسألة من العلماء المعاصرين . كما سيأتي .

وممن قال بهذا القول وهو عدم الجواز من العلماء المعاصرين : المشايخ : عبد الله بن سليمان بن منيع ، ومحمد تقي العثماني ، وخليل محيي الدين الميس ، ونجاتي صابون محمد ، والدكاترة : عمر سليمان الأشقر ، ومحمد نعيم ياسين ، وعيسى زكي شقرة ، ومحمد رأفت عثمان ، وبكر أبو زيد ، ووهبة الزحيلي.[12]

ومثل ذلك قال مجمع الفقه الإسلامي في الهند ما نصه: (لا يجوز شرعاً أن تودع أموال الزكاة في مشاريع استثمارية من إنشاء المصانع والشركات لتوزيع منافعها بين أصحاب الاستحقاق للزكاة...)[13]

القول الثاني: جواز استثمار أموال الزكاة:

والقائلون بهذا فريقان : أحدهما : أجاز ذلك بدون قيود وهم د/ يوسف القرضاوي ود/ عبد العزيز الخياط ، ود/ مصطفى الزرقا ، ود/ حسن عبد الله الأمين [14]،

---

[11] . المجموع 6/ 179.

[12] . انظر مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة العدد3 ،1/ 338،334، 392، 407، 418، ومجلة البحوث الفقهية المعاصرة العدد56، ص 60.

[13] . القرار الخامس في الندوة الثالثة عشر المنعقدة في 19. 22 محرم 1422هـ بجامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، أحمد آباد، مليح آباد لكناؤ الهند.

[14] . انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي بجدة العدد 3 ،1/ 364، 366 ، 371، 386.

ود/ عبد الفتاح أبو غدة[15] ، ود/ عبد الستار أبو غدة[16].

والفريق الثاني : قيدها كل منهم بقيود خاصة وهم : الندوة الثالثة لقضايا الزكاة المعاصرة بالكويت [17] ، ومجمع الفقه الإسلامي بجدة[18]، ود/ محمد سليمان الأشقر ، ود/ محمد عثمان شبير ،ود/ محمد عبد اللطيف الفرفور[19]،

وقيدته الندوة الثالثة لقضايا الزكاة بالتالي:

1. ألا تتوافر وجوه صرف عاجلة تقتضي التوزيع الفوري لأموال الزكاة.

2. أن يتم استثمار أموال الزكاة . كغيرها . بالطرق المشروعة.

3. أن تتخذ الإجراءات الكفيلة ببقاء الأصول المستثمرة على أصل حكم الزكاة ، وكذلك ربح تلك الأصول.

4. المبادرة إلى تنضيض . تسييل . الأصول المستثمرة ، إذا اقتضت حاجة مستحقي الزكاة صرفها عليهم.

5. بذل الجهد للتحقق من كون الاستثمارات التي ستوضع فيها أموال الزكاة مجدية ، ومأمونة ، وقابلة للتنضيض عند الحاجة.

6. أن يتخذ قرار استثمار أموال الزكاة ممن عهد إليهم ولي الأمر بجمع الزكاة، وتوزيعها لمراعاة مبدأ العناية الشرعية، وأن يسند الإشراف على الاستثمار إلى ذوي الخبرة ، والكفاءة ، والأمانة.[20]

وقيده المجمع الفقهي بأن يكون الاستثمار بعد تلبية الحاجات الماسة الفورية

---

[15] انظر: أبحاث وأعمال الندوة الثالثة لقضايا الزكاة ص55.

[16] . المصدر السابق ص 91.

[17] . انظر المصدر السابق ص 323.

[18] انظر قرار رقم(3) د3/ 7/ 86.

[19] . انظر: استثمار أموال الزكاة رؤية فقهية معاصرة ص 541.

[20] . انظر: أبحاث وأعمال الندوة الثالثة لقضايا الزكاة المعاصرة بالكويت ص323.

للمستحقين ، وتوافر الضمانات الكافية للبعد عن الخسائر[21].

وقيّده الشيخ محمد سليمان الأشقر بقوله:(الإمام هنا له الحق أن يتصرف بالنيابة لا بالوكالة ، فله أن يفعل ذلك إذا رأى من المصلحة ذلك، فلا بد أن ينظر إلى الضوابط التي تكفل عدم إساءة التصرف في هذا المال)[22].

وقيده عثمان شبير بالتالي:

1. ألا توجد وجوه صرف عاجلة لأموال الزكاة ، كسد الحاجات الضرورية للمستحقين من طعام ، وكساء ، ومسكن ، وغير ذلك.
2. أن تتحقق من استثمار أموال الزكاة مصلحة حقيقية للمستحقين.
3. أن يتم استثمار أموال الزكاة في مجالات الاستثمار المشروعة.
4. أن تتخذ كافة الإجراءات التي تضمن بقاء الأموال على أصل حكم الزكاة.
5. أن تسبق الاستثمار دراسات دقيقة من أهل الخبرة في الجدوى الاقتصادية لمشاريع الاستثمار.
6. أن يعتمد قرار استثمار أموال الزكاة ممن له ولاية عامة ، كالإمام ، أو القاضي ، أو أهل الحل والعقد.
7. أن يسند أمر الإشراف والإدارة إلى ذوي الكفاءة ، والخبرة ، والأمانة.
8. أن تكون نفقات الاستثمار من أجرة القائمين عليها ، وغيرها من بيت المال في بداية المشروع ، أما إذا أصبح يدر ربحاً فلا مانع من أن تحسم تلك النفقات من أرباح ذلك المشروع[23].

وقيد الشيخ محمد عبد اللطيف الفرفور جواز ذلك بشكل مؤقت ، لا بصورة دائمة وإذا انتهى الأجل المضروب للاستثمار ، ورفع كل من القائمين عليه يده، وأعاد

---

[21] . انظر: قرار رقم 3، العدد3 الجزء7/ ص86.

[22] . انظر: أبحاث وأعمال الندوة الثالثة لقضايا الزكاة المعاصرة بالكويت ص 96،97.

[23] . انظر: استثمار أموال الزكاة رؤية فقهية معاصرة ص541.

القاضي ، أو ولي الأمر الأموال إلى الفقراء المستحقين بالتمليك الشرعي مع الربح الناتج عن ذلك طيلة المدة بعد قطع أجور العاملين ، والمصاريف المشروعة المتعارف عليها ، والضرائب الأميرية ، وجعل له شروطاً هي:

1. أن يكون في ذلك نفع بالربح للفقير، ولو بأغلب الظن.

2. أن يكون ذلك بإشراف أهل الحل والعقد وبيد أمناء موثوقين ومعروفين[24].

القول الثالث:الجواز من سهم (في سبيل الله):

وهذا قول الشيخ عبدالله المحفوظ بن بيه[25].

القول الرابع: الجواز من سهم الفقراء والمساكين:

وهذا قول الشيخ آدم شيخ عبدالله علي[26].

القول الخامس : وجوب استثمار أموال الزكاة:

وهذا رأي الدكتور حسين حامد حسان [27].

القول السادس: إنشاء مشاريع ليست ذات ربح تلبي حاجات الفقراء:

وقال به الدكتور عبد السلام العبادي.

فيرى أن تتوجه مؤسسة الزكاة لإقامة مشاريع لمصلحة الفقراء العاجلة الملحة ، كمشاريع التأهيل ، وإيواء المسنين الذين لا يجدون من يؤويهم ، وكالمستوصفات ، والمستشفيات لمعالجة الفقراء ، وكل هذه مشاريع ليست ذات ربح[28].

المبحث الثالث :الأدلة والمناقشة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدلة القائلين بعدم الجواز، ومناقشتها(القول الأول):

---

[24] . انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي بجدة العدد3،ج1/ ص359،358.

[25] . انظر: المصدر السابق العدد 3 ج1/ص352.

[26] . انظر: المصدر السابق العدد3 ج1/ ص385. 387.

[27] . انظر: أبحاث وأعمال الندوة الثالثة لقضايا الزكاة ص79.

[28] . انظر: المصدر السابق ص 395،393.

استدل القائلون بعدم جواز استثمار أموال الزكاة بأدلة منها ما يلي:

1. قال الله تعالى :" وءاتوا حقه يوم حصاده"[29]، والمراد الزكاة، والأمر المطلق يقتضي الفور، وفورية إخراج الزكاة بعد وجوبها هو مذهب المالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، وهو القول الذي عليه الفتوى عند الحنفية[30].

ومن السنة ما روى عقبة بن الحارث قال : صلّى النبي . صلى الله عليه وسلم . فأسرع، ثم دخل البيت ، فلم يلبث أن خرج فقلت . أو قيل . له، فقال: (كنت خلفت في البيت تبرا من الصدقة ، فكرهت أن أبيته ، فقسمته)[31].

وجه الاستدلال: إسراع النبي عليه الصلاة والسلام، ومبادرته بقسمة التبر المذكور، وكراهيته أن يبقى حتى يبيت عنده ليلة واحدة ، كل هذا دليل على وجوب توزيع الزكاة على الفور ، إلا لسبب مشروع ، أو ضرر ، وإذا كان الأمر كذلك فلا يجوز استثمار أموال الزكاة ، لأنه ينافي الفورية المنصوص عليها في الآية الكريمة، وفي الحديث الشريف.

ونوقش : بأن الفورية تتعلق بالمالك لا بالإمام ، فإذا وصلت للإمام ، أو نائبه ؛ فيجوز له تأخير قسمتها للمصلحة عند جمهور العلماء ، إذا اجتهد في ذلك[32].

وأجاب المانعون : قولهم إن الفورية تتعلق بالمالك دون الإمام غير مسلم بدلالة الحديث الذي مضى حيث كره النبي . صلى الله عليه وسلم . وهو الإمام . تأخير توزيع الصدقة ، وهذا يدل على أن الفورية تتعلق بالإمام كما تتعلق بالمالك.

2. إن هذه الأعمال تعرض المال للفائدة ، والخسارة ، فربما ترتب على ذلك

---

[29] . سورة الأنعام الآية 141.

[3030] . انظر: شرح فتح القدير 2/ 156، ورد المحتار على الدر المختار المشهور بحاشية ابن عابدين14/2، والشرح الكبير للدردير1/460، وحاشية الدسوقي 3/ 220، والمجموع5/ 306، ونهاية المحتاج119/4، وفقه الزكاة 822/2.

[31] . رواه البخاري ، كتاب الزكاة، باب من أحب تعجيل الصدقة من يومها2/ 519.

[32] . انظر: فتح الباري3/ 367، الأموال لأبي عبيد ص 342.

ضياع أموال الزكاة[33].

ونوقش : إن استثمار أموال الزكاة يعرضها للخسارة ، فيجاب عنه بأن احتمال الخسارة في الأموال لا يمنع الاتجار بها ، ويخضع المر لدراسات اقتصادية دقيقة قبل الإقدام على أي مشروع ، مما يقلل جداً من هذا الاحتمال.

وأجيب : بأن احتمال الخسارة لا يمنع صاحب المال من الاستثمار ، ولكن الإمام هنا ليس هو صاحب المال حتى يطلق له حرية التصرف في أموال الزكاة كتصرف الملاك، وكذلك الدراسات الدقيقة لا تمنع من احتمال وقوع الخسائر ، وهذا وارد.

3. أموال الزكاة أمانة في يد المسؤولين عنها حتى يسلموها إلى أهلها ، وشأن الأمانة الحفظ فقط ، أما تصرف الإمام ، أو الساعي في أموال الزكاة بدون تمليك المستحقين لها ، أو صرفها عليهم فغير جائز، إلا في المنافع التي لا تزول أعيانها ، كالركوب ، وشرب ألبانها ، وما شاكله[34].

ونوقش :هذا الأمر غير مسلم به ؛ لأن بعض الفقهاء من المالكية ، والشافعية ، والحنابلة [35] أجازوا للإمام ، والساعي التصرف في مال الزكاة للمصلحة إذا اقتضت ضرورة ، أو حاجة.

وأجيب : قول بعض الفقهاء في تجويز ذلك ليس دليلاً يعتمد عليه ، ثم إن الفقهاء قيدوه بالضرورة ، ولا ضرورة في الاستثمار.

4. الزكاة عبادة تتكرر في كل عام ، فلم يجز تأخيرها إلى وقت وجوب مثلها ، كالصلاة والصوم ، ولاستثمار يؤدي حتماً إلى تأخيرها.

5. الأصل في العبادات الحظر، فلا يشرع إلا ما شرعه الله ، ورسوله ، والزكاة عبادة من العبادات ، بل هي قرينة الصلاة ، فإنه يحظر علينا أن نحيد في توزيع

---

[33] . انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد3ج1/ ص354،353.

[34] . انظر المرجع السابق نفسه.

[35] . انظر: حاشية الخرشي على مختصر خليل 223/2، وأسنى المطالب 3/ 250، وشرح منتهى الإرادات 208/5.

جميع أموال الزكاة في مصارفها، وأن نستثمرها؛ لأن الأصل في العبادات الحظر.

المطلب الثاني: أدلة القائلين إجمالاً بالجواز، ومناقشتها(القول الثاني والثالث والرابع).

استدل القائلون إجمالاً بالجواز على استثمار أموال الزكاة بأدلة منها التالي :

1. استثمر النبي . صلى الله عليه وسلم . ، وأصحابه إبل الصدقات ، وغنمها ، وأنعامها، وذلك مثل حلبها ، وجز صوفها، وأنفق ذلك على الفقراء .

ونوقش: إن ذلك غير مسلم به ؛ لأن ذلك في الحقيقة ليس هذا هو الاستثمار الذي نبحث عنه ، فإذا ولدت ناقة فأعطى حليبها لمرضى أو غير مرضى ، أو أطعمها ، أو رعاها، أو أعدّ خيلاً للجهاد ، فإن هذا كله ليس الاستثمار الذي نتكلم عنه ؛ لأن توزيع ما يحصل من توالد ، وتناسل ، ودر لبن أمر طبيعي ، وهو من المصلحة ، بل إن عدم الاستفادة منه يترتب عليه ضرر بالأنعام ، وإضاعة للمال ، وإهداره ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال بقوله: (إن الله كره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال)[36]، ولأن هذه المشاريع تحجز الزكاة عن أصحابها ، نعم لو ثبت أن إبل الصدقة كانت تؤخر عن التوزيع ، وتحجز كي تتناسل ، وتتكاثر لصح القياس على ذلك ، لكن ذلك لم يحصل.

2. استثمار أموال الزكاة يجوز استحساناً خلافاً للقياس ، للضرورة ، أو الحاجة بإشراف ولي الأمر ، أو من يفوضه كالقاضي الشرعي.

ونوقش:إن الاستدلال بالاستحسان يمكن في حالة وجود قياسين متعارضين ، فيرجح المجتهد أحدهما لمعنى محدد ، أو أن الاستحسان هو العدول عن الظاهر إلى معنى آخر بدليل آخر يرجحه المجتهد ، فيكون هناك دليلان في المسألة، وأما في موضع استثمار أموال الزكاة ليس هناك قياسان ، أو دليلان حتى نرجح أحدهما لمعنى ، أو لمقتضى ، أو لمبرر شرعي ، بل عندنا أدلة من القرآن الكريم ، ومن السنة على

[36] . رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى " لا يسألون الناس إلحافاً "2/ 537.

منع ذلك الاستثمار،ولا يمكن أن نقدم على الكتاب والسنة رأياً،أو استحساناً، فهذا باطل.

3. يجوز تأجيل دفع الزكاة على مذهب أبي حنيفة ، فيجوز استثمار أموال الزكاة بتأجيل دفعها إلى مستحقيها.

ونوقش: لا يصلح ذلك أن يكون دليلاً على هذه الدعوى ؛ لأن قول الفقيه ليس دليلاً من أدلة الشرع ، وإنما هو قول إنسان يؤخذ من كلامه ويرد، وكذلك التأجيل لا يدل على جواز الاستثمار، وهذا القول مخالف لجمهور العلماء، وخلاف المفتى به من مذهب الحنفية.

قالت المالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، وهو المفتى به عند الحنفية : إذا وجبت الزكاة وجبت المبادرة إلى إخراجها على الفور مع القدرة على ذلك ، وعدم الخشية من الضرر[37].

جاء في الدر المختار للحنفية: (وقيل فوري، أي واجب على الفور، وعليه الفتوى... فيأثم بتأخيرها بلا عذر ، وترد شهادته ؛ لأن الأمر بالصرف إلى الفقير معه قرينة الفور ، وهي أنه لدفع حاجته، وهي معجلة ، فمتى لم تجب على الفور لم يحصل المقصود من الإيجاب على وجه التمام)[38] .

وفي رد المحتار على الدر المختار للحنفية . أيضاً . (فتكون الزكاة فريضة ، وفوريتها واجبة ، فيلزم بتأخيرها من غير ضرورة الإثم كما صرح به الكرخي ، والحاكم الشهيد في المنتقى وهو معنى ما ذكره الإمام أبو جعفر عن أبي حنيفة أنه : يكره، فإن كراهة التحريم هي المحمل عند إطلاق اسمها،

---

[37] . انظر: البحر الرائق 210/3، المبسوط 53/5، بدائع الصنائع65/4، مواهب الجليل 85/4، المنتقى للباجي83/2، فقه الزكاة821/2

[38] . الدر المختار 31/2.

وقد ثبت عن أئمتنا الثلاثة وجوب فوريتها)[39].

وعند عامة مشايخ الحنفية ، ومنهم أبو بكر الرازي الجصاص أنها على التراخي[40].

4. إن الأمر في نهايته راجع إلى ملكية الفقراء لهذا المال، ولو بعد حين مع أرباحه وتثميره لهم.

ونوقش:إن هذا القول لا يصلح أن يكون دليلاً على جواز الاستثمار، وعلى فرض صحة أن ملكيته سترجع إلى الفقراء، فهذا لا يبرر الجواز ؛ لأنه بدفع الزكاة إلى الجهة التي تتولى الاستثمار انتقل الملك من المزكي ، ولم يدخل في ملك الفقراء ، وغيرهم من الأصناف ، فحينئذ لمن يكون ملك مال الزكاة ؟ومن المعلوم لا يجوز النزول عن الملك إلى غير المالك ، والقول إن الفقراء يملكونه ملكاً جماعياً غير مسلم ؛ لأن الملك الجماعي فرع عن الملك الفردي؛ لأن الأفراد إذا تملكوا المال أمكنهم أن يتفقوا على استثماره ويوكلوا من شاؤوا وهنا يتحقق الملك الجماعي، والقول بأن الجهة التي تتولى الإشراف تملك ملكاً اعتبارياً، فإن كان المراد أن الملك ينتقل إلى الشخص المعنوي فهذا غير مسلم لأن الشخصية المعنوية وإن كنا نعترف بها على ضوء الفقه الإسلامي ، لكنه لا يثبت لها من الذمة مثلما يثبت للإنسان وبالتالي لا يجوز استثمار أموال الزكاة على هذا الأساس[41].

5. توسع العلماء في معنى (سبيل الله) فيدخل فيه كل قربة إلى الله تعالى كبناء الملاجيء والمستشفيات ، وغيرها ، وعليه يجوز استثمار أموال الزكاة في مثل هذه المشاريع.

ونوقش : إن هذا القياس غير مسلم به فإن (في سبيل الله) غير محصور بالجهاد فحسب، بل يشمل الدعوة إلى الله تعالى ، وتبليغ الرسالة ، والصبر على مشاقها.

---

[39] . رد المحتار على الدر المختار 13/2، وانظر تبيين الحقائق218/3

[40] . انظر: المصدر السابق نفسه.

[41]. انظر: شركة المساهمة في النظام السعودي دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي ص215.

فقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية : (لا مانع من صرف الزكاة للدعاة إلى الله عز وجل في أي مكان من أرض الله إذا كانوا متفرغين للدعوة إلى الله عز وجل وليس لديهم ما يغنيهم عنها)[42].

وهناك فرق بين استثمار أموال الزكاة ، والمتاجرة بها ، وبين إقامة مرافق تحقق النفع للمجاهدين ، وغيرهم من المسلمين ؛ ولذا فهذا قياس مع الفارق.

6. سواء أكانت اللام في الآية الكريمة للتمليك ، أو للاختصاص ؛ فإن تمليك الجماعة من الفقراء والمساكين جائز.

ونوقش : إن هذا مسلم إذا تحقق تمليكهم، لكن استثمار أموال الزكاة من قبل جهة تعينها الدولة دون أن يكون للفقراء والمساكين دخل في تعيينها أو توكيلها ودون أن يقبضوا الزكاة ، فهذا ليس تمليكاً ، والقول بأنه تمليك فيه مغالطة ، وقلب للحقائق.

7. دلت الآية على وجوب إعطاء الغارمين ، وليس في الآية ما يمنع من أن يستثمروا أموال الزكاة ، وقد أعطوها في استعادة تجارتهم، أو صناعتهم، أو في استغلالها زراعياً للإنفاق عليها.

ونوقش : بأنه قياس مع الفارق؛ لأن الغارم قبض الزكاة وملكها، وللمالك أن يتصرف في ملكه ، أما استثمار الزكاة من قبل جهة غير أصحابها فهو تصرف من غير مالك ، ولا وكيل فتصرف كتصرف الفضولي، فيكون باطلاً.

8. إن إنشاء المشروعات يفيد الأمة قطعاً ويحيي اقتصادها،ويدفع البطالة عن المحتاجين القادرين على العمل ، ونستهدي في ذلك بدفع الرسول . صلى الله عليه وسلم . السائل على العمل بالاحتطاب وعدم السؤال.

ونوقش :إن مثل هذه الأقيسة غير مسلم بها، فهي ضعيفة أمام النصوص الواضحات التي توجب إتيان الزكاة لأصحابها تمليكاً، وهم الأصناف الثمانية المذكورة في

[42] . فتاوى اللجنة الدائمة 10/ 49.

القرآن الكريم ، وحيث إن استثمار أموال الزكاة يحول دون إيتاء الأموال المستثمرة لأي من أفراد الأصناف الثمانية، فتكون تلك الأقيسة معارضة للنص الشرعي ، ومن شروط القياس اشتراك الأصل والفرع في علة جامعة ، وليس هنا علة جامعة ، وكذلك يصادم النص.

9. إن معنى (سداد من العيش) الوارد في الحديث يدل على أن سداد العيش المستمر بعمل الفقير القادر على العمل في أموال الزكاة المستثمرة أولى وأفضل من أن يعطى لفترة قصيرة فيصرفه ويعود مستحقاً.

ونوقش : إن استدلالهم على جواز الاستثمار بما ذهب إليه الشافعية من إعطاء الفقير والمسكين كفاية العمر أخذاً من حديث (سداداً من عيش)[43].

ومما يروى عن عمر: (إذا أعطيتم فأغنوا)[44]، وكذلك فيما يروى عنه أيضاً:

(والله لأكررن عليهم الصدقة وإن راح على أحدهم مائة من الإبل)[45].

يجاب عن هذه الأدلة بأنها تفيد في زيادة مقدار الفقير والمسكين من الزكاة ، وهذا غير منازع فيه ، لكن الاستدلال به على جواز الاستثمار غير صحيح، لأن كل ما سبق يدل على تسليمه للفقير والمسكين ، وهذا تمليك له ، فهو جائز سواء ما أعطي قليلاً أم كثيراً، وهذا ليس استثماراً ولا يدل عليه.

10. إن تغيير الأسلوب من اللام إلى استعمال (في) في قوله تعالى: " وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل"[46] ،للدلالة على أن جانب التمليك ليس وحده المقصود في الآية، وإنما جانب الصرف مقصود أيضاً ، فالصرف للأربعة الأخيرة في الآية ، والتمليك للأربعة الأولى فيها.

---

[43] . رواه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب من تحل له المسألة2/ 722.

[44] . رواه أبو عبيد في كتاب الأموال ص 502، وهو ضعيف.

[45] . المرجع السابق نفسه ، وهو ضعيف أيضاً.

[46] . سورة التوبة الآية60.

ونوقش : سواء كان المقصود أن الصدقات مصروفة للفقراء كما يقول به الإمام مالك . رحمه الله . أو مملوكة لهم كما يقول به الإمام الشافعي . رحمه الله . ، فالمراد أنهم المستحقون لهذا المال المختصون به، فلا يجوز التصرف به بالاستثمار، أو غيره بدون إذنهم.

الترجيح:

بعد عرض الأقوال وأدلتها، ومناقشتها يترجح عندي عدم جواز استثمار أموال الزكاة لقوة أدلة هذا القول، وضعف مناقشتها ، فهي نصوص شرعية من القرآن الكريم ، ومن السنة الشريفة تأمر بدفع الزكاة إلى مستحقيها ،ولأن أدلة القائلين بجواز الاستثمار أمكن مناقشتها ، والرد عليها.

ولأن استثمار أموال الزكاة يزيد المشكلة ، ولا يحلها ؛ لأن الجموع الهائلة في العالم الإسلامي تنتظر لقمة العيش، فالناس يسقطون من الجوع بينما بعضهم يناقش، ويحاور في تكديس أموال الزكاة ، والمتاجرة بها، فالمبادرة بإطفاء لوعة الجياع ، وكساء العراة أولى من استثمار أموال الزكاة، وحجبها عن مستحقيها.

ولأن الأصل في العبادات الحظر، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله، ورسوله، وليس هناك دليل قائم صريح صحيح من نص شرعي ، أو من قياس معتبر يجيز استثمار أموال الزكاة ، فوجب حينئذ التوقف عن القول بجوازه.

بل إن النصوص الشرعية تمنع من الابتداع في الدين ، وإحداث أحكام ليس عليها دليل لحديث: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[47]،

ولحديث : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[48].

وأما قول من يقول بجواز استثمار أموال الزكاة من سهم الفقراء والمساكين فهو

---

[47] . رواه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود2/959.

[48] . رواه مسلم، كتاب الأقضية ،باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور3/1343.

مردود بأدلة المانعين ، والمناقشة على أدلة المجيزين شاملة له.

وأما القول بجواز الاستثمار من سهم (في سبيل الله) فإننا لا نراه إذ يجب قصره على الجهاد بأنواعه ، وعلى إنشاء أمور تخدم الدعوة وتصب في مجال الجهاد بأنواعه، كما ورد في قرار مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة.

وأما القول بجواز إنشاء مشاريع ليست ذات ربح تلبي حاجات الفقراء فهذا لا بأس به ، ولكن يجب تقييده بما يلي:

1. أن يكون من سهم (في سبيل الله) بحيث لا يؤخذ من الزكاة إلا نسبة معقولة لا تؤثر على حقوق الأصناف الأخرى ، وخاصة سهمي الفقراء والمساكين ، ولا تطغى عليهما.
2. أن يكون هناك حاجة حقيقية يصدق عليها وصف الحاجة شرعاً ، وهذه الحاجة لا تسدها موارد أخرى كالأوقاف ، والأربطة ، والهبات ، والصدقات ، ولا تقوم الدولة بسدها.
3. أن يكون هذا بقرار من جهة شرعية

الخاتمة:

بعد العرض ، والدراسة لهذا الموضوع توصل الباحث إلى نتائج أهمها:

1. الراجح الذي تعضده النصوص الشرعية من الكتاب والسنة هو القول بعدم جواز استثمار أموال الزكاة في مشاريع ذات ربح تعود على مستحقيها.
2. الزكاة من العبادات ،والأصل فيها الحظر، وقد حدد الله تعالى مصارفها،وأمر بإخراجها وصرفها على الفور،فلا يجوز تأخيرها عن وقتها بحجة استثمارها ليستقيد المستحقون من أرباحها.
3. إن الشارع الحكيم أوجب الزكاة لتحقيق التكافل الاجتماعي بصفة مستمرة فأوجبها سنوياً فليس هناك داعٍ لتأخيرها عن مصارفها.
4. الزكاة كفيلة بسد حاجات الفقراء والمعوزين إذا تم تطبيقها كما يجب في المجتمع

الإسلامي دون الحاجة إلى الاستثمار.

5. يجوز إنشاء مشاريع ليست ذات ربح تلبي حاجات الفقراء بجزء من أموال الزكاة كالمستشفيات ودور المسنين والفقراء والمساكين ، ويعتبر ذلك من سهم (في سبيل الله) وأن يكون بقرار من جهة شرعية .

6. يمكن إنشاء مشاريع استثمارية ذات ربح بأموال الزكاة إذا اتفقت طائفة معلومة من المستحقين على أن يستثمر نصيبهم من الزكاة في تلك المشاريع.

إلى هنا تنتهي أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذا البحث ،والحمد لله ظاهراً وباطناً وأوّلاً وآخراً ، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

قائمة بالمصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. أبحاث وأعمال الندوة الثالثة لقضايا الزكاة المعاصرة المنعقدة في الكويت،جمادى الأولى 1413هـ.

2. استثمار أموال الزكاة رؤية فقهية معاصرة. شبير، محمد عثمان طاهر. مجلة دراسات الجامعة الأردنية العدد 5، 1994م.

3. أسنى المطالب شرح روض الطالب . الأنصاري ، زكريا بن محمد بن زكريا السنيكي، زين الدين أبو يحيى. بيروت ، دار الكتاب الإسلامي.

4. البحر الرائق شرح كنز الدقائق . ابن نجيم ،زين الدين. الطبعة . باكستان ، المكتبة الماجدية ، ومكتبة رشيدية.

5. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع .الكاساني ،أبو بكر بن مسعود.الطبعة الثانية، بيروت ، دار الكتاب العربي 1402هـ.

6. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق. الزيلعي، عثمان بن علي الطبعة الأولى ،

دار الكتاب الإسلامي .

7. حاشية الخرشي على مختصر خليل .الخرشي ، محمد، الطبعة ، بيروت ، دار صادر.

8. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير .الدسوقي، محمد بن عرفة، الطبعة ، بيروت ، دار الفكر.

9. الدر المختار شرح تنوير الأبصار.الحصكفي، محمد بن علي الحصني. الطبعة الثانية، بيروت ، دار الفكر 1386هـ.

10. رد المحتار على الدر المختار المشهور بحاشية ابن عابدين.ابن عابدين ، محمد أمين ، الطبعة ، بيروت ، دار الفكر 1399هـ.

11. شرح فتح القدير .السيواسي، محمد بن عبد الوهاب ، المشهور بابن الهمام الحنفي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الفكر.

12. الشرح الكبير بحاشية الدسوقي. العدوي ، أبو البركات أحمد بن محمد ، الشهير بالدردير. مطبوع مع حاشية الدسوقي . الطبعة ، بيروت ، دار الفكر .

13. شرح منتهى الإرادات . البهوتي، منصور بن يونس. الطبعة ، الرياض ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة.

14. شركة المساهمة في النظام السعودي دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي د.البقمي، صالح بن زابن المرزوقي . الطبعة الأولى ، الرياض ، دار الرشيد 1425هـ .

15. صحيح البخاري.البخاري، محمد بن إسماعيل.الطبعة ، استانبول، دار الدعوة.

16. صحيح مسلم .القشيري،مسلم بن الحجاج .الطبعة،استانبول، دار الدعوة.

17. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. جمع وترتيب أحمد بن عبد الرزاق الدويش. الطبعة الأولى ، الرياض ، دار العاصمة1411هـ.

18. فتح الباري بشرح صحيح البخاري.العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر.

الطبعة الأولى، القاهرة، دار الريان للتراث 1407هـ.

19. فقه الزكاة دراسة مقارنة .د.القرضاوي،يوسف، الطبعة السابعة، بيروت ، مؤسسة الرسالة1423هـ.

20. كتاب الأموال . أبو عبيد،القاسم بن سلام. تحقيق: خليل محمد هراس. الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الفكر1988م.

21. لسان العرب ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور ، الناشر ، دار صادر. بيروت ط3،1414هـ.

22. المبسوط للسرخسي، شمس الدين ، الطبعة ، بيروت ،دار المعرفة.

23. مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد56، 1423هـ ، الرياض.

24. مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة ،العدد3.

25. المجموع شرح المهذب.النووي، يحيى بن شرف، الطبعة ، بيروت،دار الفكر.

26. معجم مقاييس اللغة،أحمدبن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ، تح:عبد السلام محمد هارون ، الناشر، دار الفكر،1979م.

27. المغني، المقدسي، محمد بن عبد الله، الشهير بابن قدامة، الطبعة ، مصر، مكتبة الكليات الأزهرية.

28. المنتقى للباجي، أبو الوليد، الطبعة الأولى، بيروت ، دار الكتاب العربي1332هـ.

29. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، المغربي، محمد بن عبد الرحمن ، المعروف بالحطاب، الطبعة الثانية، بيروت ،دار الفكر 1398هـ.

30. الندوة الثالثة عشر المنعقدة في 19 محرم 1422هـ بجامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، أحمد آباد،مليح آباد، لكناؤ، الهند.

31. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ، محمد بن أحمد،الطبعة الأخيرة،

مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1386 هـ.

العمليات والنظم الاجتماعية في فكر ابن خلدون

مقدمة من: أ .عمر محمد عمر الفقهي - استاد علم الاجتماع بكلية التربية/ جامعة بني وليد

مقدمة:

بقدر طول الوقت الذي مر على نشر ابن خلدون للمقدمة خلال القرن الرابع عشر الميلادي وحتى اليوم، بقدر ما أضيف إلى الفكر الإنساني من اجتهادات تتناول بالشرح والتعليق والمناقشة والتحليل والنقد لأفكار وآراء ابن خلدون التي جاء بها في المقدمة، وكل هذه الاجتهادات تضع قيوداً كثيرة وتجعل الطريق شاقاً أمام أية محاولة جديدة للتصدي لكتابات ابن خلدون في المقدمة، إسهاماً في هذا التحليل والحوار والنقد، لأن الباحث قد يجد نفسه محصوراً في نطاق ضيق للغاية، يصعب معه التحرك بسهولة نحو هدف محدد.. غير أنه ما تنقضي فترة بسيطة في مراجعة مقدمة ابن خلدون والتوقف أمام ما كتبه من أبواب وفصول وما تناوله من موضوعات وما قدمه من تحليلات وما انتهى إليه من أفكار، إلا ويشعر الباحث أن الإحساس بضيق المجال وصعوبة الحركة، إحساس لا أساس له من الصحة، وأن المساحة لازالت واسعة وهناك قضايا في حاجة إلى دراسة وتحليل- من هنا أقدم البحث الحالي على تناول إسهامات ابن خلدون وتحليل أفكاره الواردة في المقدمة حول العمليات الاجتماعية والنظم.

وقد تساءلنا في البداية عن المبررات التي يمكن أن تقف وراء الاهتمام بدراسة هذا الموضوع - العمليات الاجتماعية والنظم - ثم أخذنا نطرح تساؤلات أخرى حول حقيقة العمليات الاجتماعية الأساسية التي تناولها ابن خلدون بالتحليل والتوضيح؟ وكيف نظر ابن خلدون إلى العمليات الاجتماعية باعتبارها أساسا مهما في بناء النظم الاجتماعية؟ وما هي النظم الاجتماعية الأساسية التي أعطاها ابن خلدون كل اهتمامه في هذا التحليل؟ وما هي الجوانب البنائية والوظيفية التي تشكل هذه النظم؟ وما هي العلاقات المتبادلة بين النظم الاجتماعية التي اهتم بدراستها؟ وهل كان اهتمامه بالتغير الاجتماعي يعتبر التغير في النظم الاجتماعية تغيراً في البناء أم في وظيفة هذه النظم؟ وللإجابة على هذه التساؤلات – كهدف أساسي للبحث الحالي - اعتمد البحث على مقدمة ابن خلدون وعلى ما توافر من كتابات حول إسهامات ابن خلدون في هذا الصدد، كمصدر رئيسي في توفير المادة والمعلومات اللازمة للإجابة على التساؤلات المطروحة. وقد قسم البحث إلى أربعة أقسام على النحو التالي:

1- مبررات دراسة العمليات الاجتماعية والنظم في فكر ابن خلدون.

2- العمليات الاجتماعية الأساسية التي اهتم بها ابن خلدون.

3- النظم الاجتماعية الأساسية التي تناولها ابن خلدون.

4- العلاقات المتبادلة بين النظم الاجتماعية.

أولا: مبررات دراسة العمليات الاجتماعية والنظم في فكر ابن خلدون:

هناك بلا شك مجموعة من المبررات التي دعتنا إلى تناول إسهام ابن خلدون في دراسة العمليات الاجتماعية والنظم، يتمثل بعضها في ما يكشف عنه هذا الإسهام من مضمون للعمران البشرى ويشهد على سلامة اختيار ابن خلدون لمصطلح علم العمران في الدلالة على اسم العلم الذي اخترعه، كما يتمثل بعضها الثاني في أن إسهام ابن خلدون في مجال النظم والعمليات الاجتماعية يعكس أيضا وعى ابن خلدون بالتقسيمات الحديثة لهذا العلم الجديد إلى فروع مختلفة، وكذلك يرد المبرر الثالث في هذا التناول لإسهامات ابن خلدون في فهم العمليات الاجتماعية والنظم إلى أن هذا الإسهام يكشف عن طبيعة المنهج الخلدوني الذي يتناول من خلاله ابن خلدون ظواهر العمران البشرى، أما المبرر الرابع والأخير فهو يرجع إلى أن بعض النتائج العامة التي انتهى إليها ابن خلدون في دراسته لهذه العمليات والنظم الاجتماعية لا تزال صالحة أو سارية المفعول مهما اختلفت الظروف. فلننظر في تفاصيل هذه المبررات إذن:

1. إذا جاز لنا أن نعتبر علم الاجتماع بأنه دراسة لبناء المجتمع وتغيره، وأن بناء المجتمع يتكون من أجزاء أهمها مجموعة النظم الاجتماعية الأساسية التي تؤدى وظائف أساسية لا غنى عنها لكل مجتمع وأن التغير الاجتماعي عملية اجتماعية كبرى وحقيقة أساسية لا يمكن إنكارها بالنسبة للمجتمع، وهى عملية ترتبط بمجموعة أخرى من العمليات الاجتماعية كان في هذا ما يؤكد أن موضوع علم الاجتماع هو النظم الاجتماعية والعمليات. ولذلك فإن إسهام ابن خلدون في دراسة النظم الاجتماعية والعمليات يشهد بما يدع مجالا للشك بأن المصطلح الخلدوني (علم العمران) أدق في التعبير من المصطلح الغربي (علم الاجتماع)، وكان اختيار ابن خلدون لهذا المصطلح غاية في الدقة ذلك لأن كلمة الاجتماع أو علم الاجتماع لغويا لا يدل على المفهوم من هذا العلم. فالاجتماع قد يكون (جماعا) جنسيا بين رجل وامرأة أو قد يكون اجتماعاً سياسياُ بين رئيسين أو زعيمين أو أكثر وقد يكون (إجماعا) حول رأى واحد.. وفى هذه الأحوال فهو اجتماع بين بشر يبدأ باثنين وقد يدخل فيه وجود مجتمع اجتمع في مكان واحد وزمان واحد وقد لا يوجد ولكن اللفظ

يدل على اجتماع (فوق) بين الناس بدون علاقة وثيقة بالمكان وأحيانا قد يشمل اجتماع الحيوانات حيث تسير في قطيع سويا تنتقل من مكان إلى مكان - أما مصطلح علم العمران فهو أعمق وأدق، لأنه يعنى أن مجتمعاً قام بتعمير مكان على كل المستويات السياسية والاقتصادية والعقلية والإنسانية – وما يتبع إقامة ذلك العمران من علاقات مرتبطة بالإنسان والمكان والزمان، وبذلك تتحدد سمات علم العمران في المجتمعات الإنسانية- لا الحيوانية - التي تقيم في مكان وتؤثر فيه ويؤثر فيها وتتحدد علاقاتها الداخلية سياسيا واقتصاديا ودينيا كما تتحدد علاقتها بالمجتمعات الأخرى بين حرب وسلام وتأثر وتأثير.[1]

فمصطلح علم العمران يعنى أن مجتمعا أقام نظما اجتماعياً ودخل في عمليات اجتماعية، يشهد على قدر كبير من المطابقة بين الاسم والموضوع، ويعطى مبرراً واضحاً لتناولنا إسهام ابن خلدون في دراسة النظم الاجتماعية والعمليات، لأننا بذلك نتناول إسهامه في موضوع العلم.

2. إن ما تناوله ابن خلدون بالدراسة في المقدمة - النظم التي يسير عليه التكتل الإنساني نفسه (البابين الأول والرابع) ونظم الحكم وشئون السياسة (الفصول التسعة عشرة الأخيرة من الباب الثاني وفى جميع فصول الباب الثالث) والظواهر الاقتصادية (الفصول التسعة عشرة الأخيرة من الباب الثاني وجميع فصول الباب الثالث وستة فصول من الباب الرابع) والظواهر التربوية والقضائية والجمالية والدينية واللغوية (الباب السادس).[2]

هو أمر يعنى أن ابن خلدون قد أحصى معالم العمران (فروع علم الاجتماع وأقسامه) في عصره، لتشمل السياسة والاقتصاد والتعليم والدين والعلوم والدول والمدن والبدو والحضر، وأنه قد أدرك عن وعى تلك التقسيمات الحديثة لعلم الاجتماع إلى فروع - السياسة والاقتصاد والدين والمجتمعات المحلية، واللغة ... الخ - التي أخذت تتطور لتواكب المتغيرات المتلاحقة في عصرنا[3].

وربما جاز لنا اعتبار اهتمام ابن خلدون بالنظم الاجتماعية والعمليات والذي يعكس وعيه بالتقسيمات الحديثة في علم الاجتماع إلى فروع، مبرراً آخر يضاف إلى ما سبق ويدعونا إلى تناول هذا الإسهام بالبحث والتحليل.

---

[1] دكتور أحمد صبحي منصور، مقدمة ابن خلدون، دراسة أصولية تاريخية، دار الأمين. للنشر والتوزيع، الجيزة مصر، 1998 ، ص 445.

[2] دكتور على عبد الواحد وافى، عبقريات ابن خلدون، عالم الكتب، القاهرة، 1973 . ص 186.

[3] دكتور أحمد صبحي منصور، مرجع سابق، ص 447.

3. أما المبرر الثالث الذي دفعنا إلى تناول إسهامات ابن خلدون في فهم العمليات الاجتماعية والنظم هو أن هذا الإسهام يكشف عن طبيعة المنهج الخلدوني الذي تناول من خلاله ابن خلدون ظواهر العمران البشرى. وهو منهج يقوم على استخلاص قوانين المجتمع من جذوره التاريخية ويفسرها تاريخيا، وهو منهج ربما يغيب عن بعض علماء الاجتماع في عصرنا في تركيزهم على البحث الميداني والاستقراء الظاهري في دراسة الظواهر الاجتماعية، وذلك دون غوص عميق يتعرض للجذور التاريخية والثقافية والدينية التي لا يمكن إنكار تأثيرها، خصوصاً في مجتمعاتنا التي لا تزال مشدودة إلى الماضي ويشكل جزءا هاما من ثقافتها[4]، وهذه ميزة في إسهام ابن خلدون، ودراسته للنظم الاجتماعية والعمليات من منظور تاريخي، لهى مناسبة نستخلص منها دروس المنهج التاريخي وأهميته في بحث الظواهر الاجتماعية.

4. وربما كان المبرر الرابع في تناول إسهامات ابن خلدون وفهم العمليات الاجتماعية والنظم، مبنى على ما توقعناه من العقلية الخلدونية التي تأثرت بالثوابت الأساسية لعصرها دينياً وسياسياً وثقافياً وهى تمارس السياسة وتعمل بالتاريخ أن تجيد استنباط العلاقات الإنسانية من ذلك التاريخ وتصوغ قوانين للعمران البشرى لا تزال صالحة للاستعمال، وتظل سارية المفعول مهما اختلفت الظروف.[5]

ولعل دراسة هذه الإسهامات تشكل فرصة مناسبة لمراجعة هذه القوانين، أو على الأقل الاستفادة منها في تفسير واقع النظم الاجتماعية والعلميات التي تجرى في مجتمعاتنا اليوم.

ثانيا: العمليات الاجتماعية الأساسية التي تناولها ابن خلدون:

تصف العمليات الاجتماعية الطرق التي يرتبط بها الناس بعضهم مع الآخر للقيام بالوظائف الضرورية للحفاظ على أي نظام اجتماعي والعمل على نموه واتساع حجمه، والطاقة التفاعلية التي تترتب على اتصال الناس بعضهم بالآخر، مؤدية إلى قيام العمليات الاجتماعية هي التي تكون البناء الاجتماعي للجماعات، واستناداً إلى ذلك كان التفاعل - ارتباط الناس ببعضهم واتصالهم بعضهم الآخر - هو العملية الاجتماعية الأساسية لأنه يشكل عاملاً مركزياً في كل حياة الإنسان الاجتماعية، ولأنه وراء كل تنظيم للأنساق السلوكية المختلفة (النظم) من الذات إلى المجتمع. ولما كان التفاعل يعبر عن تكرار واضطراد في العلاقات الاجتماعية، نظر إليه علم الاجتماع باعتباره الوحدة

[4] المرجع السابق، ص٤448

[5] المرجع السابق، ص 448.

الأساسية في البحث والتحليل، وأخذ يتناول صور ونماذج هذا التفاعل كما تظهر في الحياة الاجتماعية، سواء في صورة.(تعاون، أو تنافس أو صراع، أو توافق أو تمثيل، أو تغير)... الخ [6]

وفى إطار هذه المفهومات والقضايا التي استقر عليها علم الاجتماع حديثا ومراجعة ما كتبه ابن خلدون في أكثر من موقع من المقدمة، نستطيع أن نلمس إلى أي حد كانت أفكار ابن خلدون مطابقة لهذا الفهم، حيث يكفى في التدليل على ذلك إمعان النظر فيما قدمه لنا ابن خلدون بصدد عمليات التعاون والصراع والتغير الاجتماعي والحراك.

1- " التعاون

لم يكن من قبيل المصادفة أن يبدأ ابن خلدون أبحاثه الاجتماعية في المقدمة الأولى بتناول عملية التعاون في المجتمع، لأننا سنلاحظ بعد ذلك أنه يعتبر هذه العملية الاجتماعية أساسا في بناء النظم الاقتصادية.

يقول " أن الإنسان مضطر إلى التعاون مع بنى جنسه للحصول على الغذاء الذي يحتاج إليه.. ومضطر إلى الاستعانة بأبناء جنسه لدفع تعدى الحيوانات عليه وذلك لأن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته إلى الغذاء فلا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم. كما أن أو احد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة الواحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة، فهو عاجز عن مدافعتها بالجملة. وأما الأسلحة المعدة لدفع الحيوانات المفترسة فقدرة الواحد من البشر لا تكفى لصنعها فلابد في ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه. وما لم يكن هذا التعاون لا يستطيع الإنسان أن يحصل على الغذاء وأن(يدافع عن نفسه فيكون فريسة للحيوانات")[7].

وقد رتب البعض على ما قاله ابن خلدون حول التعاون، القول بأن النشاط الاقتصادي هو الحقيقة الأولى لإنتاج الحياة الاجتماعية، فإنتاج قوت يوم واحد من الحنطة مثلا يحتاج إلى كثير من النشاطات التعاونية التي تتطلب اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف. وكما يحتاج وسائل العيش المادي

[6] .دكتور محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986 . ص 204 –207.

[7] - أبو خلدون ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، مكتبة الخانجي مصر، 1961 ، ص 280.

إلى التعاون فإن البقاء والاستمرار والدفاع عن الجنس البشرى ضد مصادر العدوان (يحتاج أيضا إلى التعاون).[8]

2- " الصراع ":

وكذلك لم يكن من قبيل المصادفة أن يتناول ابن خلدون مبدأ عدوان البشر بعضهم على بعض ويكرره في عدة مواضع من المقدمة وبعبارات متنوعة وبوضوح أعظم، لأنه يؤكد بناء على ذلك ضرورة وجود وازع يدفع هذا العدوان بمعنى أنه عندما تناول عملية الصراع الاجتماعي بين البشر، كان يمهد للحديث عن ضرورة وجود النظام السياسي، بمعنى الملك أو السلطة أو الدولة لحسم هذا الصراع.

يقول ابن خلدون " فمن أخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعضهم على بعض فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه امتدت يده إلى أخذه إلى أن يصده وازع. كما قال " والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم.

كما يقول " إن البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرورياتهم وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده إلى حاجته يأخذها من صاحبه لما في الطباع الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم إلى بعض ويمانعه الآخر عنها بمقتضى الغضب والأنفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع المفضي إلى المقاتلة وهى تؤدى إلى الهرج وسفك الدماء وإذهاب النفوس المفضي ذلك إلى انقطاع النوع ولذلك استحال بقاؤهم فوضى دون وازع يزع بعضهم عن بعض ....[9]

الصراع على السلطة:

ويلاحظ في هذا الصدد، أن التنازع أو الصراع الاجتماعي، كما تناوله ابن خلدون، عملية لا تتوقف، بل تستمر حتى بعد قيام الملك والدولة... إذ يقرر ابن خلدون في فصل أطوار الدولة واختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الأطوار: ففي الطور الثاني للدولة، طور الانفراد بالمجد..، ينزع صاحب الدولة إلى الاستبداد، والانفراد بالمجد دون قومه..، حتى لا يترك لأحد منهم لا ناقة ولا جمل وقد يصل الأمر إلى درجة قتل من استراب به.. وهو أمر لا يتم من غير منازع ... لأن من ساهموا

[8] . دكتور محمد على محمد، تاريخ علم الاجتماع، الرواد والاتجاهات المعاصرة، دار . المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986 ، ص 55 – ص 56.

[9] أبو خلدون ساطع الحصري، مرجع سابق، ص 281.

في تأسيس الملك ينزعون إلى الاحتفاظ بمكانتهم والاستمرار في مشاركته في المجد وثمرات الملك فيحدث بينهم وبينه ما يشبه العداء.. وصاحب الدولة لا يستطيع التغلب على هذه المشاكل إلا بالموالى والمصطنعين.. لجدع أنوف أهل عصبيته وعشيرته.. وصدهم عن موارده أن أهل الدولة يضغنون عليه ويتربصون به الدوائر... وأن هذا التنازع (الصراع الاجتماعي على السلطة) بين صاحب الدولة وبين ظهرائه الأولين يستمر مدة من الزمن.. وإذا تم تغلب (صاحب الدولة في هذا النزاع دخلت الدولة في الطور الثالث) ...[10]

3- " التغير الاجتماعي والتطور ":

يرى البعض أنه عند ابن خلدون نجد في المقدمة عناصر جديدة أولها ما أسماه باستحالة الكائنات أو تحولها من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها وهو ما يمكن أن نسميه بعنصر الحركة (التغير) العنصر الثاني أن هذه الحركة تسير إلى ما هو أعلى أو أرقى ولا ترجع إلى الوراء أو إلى الأدنى (التطور) العنصر الثالث أن هذا التطور المتنامي يمكن أن نستخرج منه قوانين للعقل يربط بها أسباب التطور بمسبباتها. ومن ثم يمكننا أن ندخل فيه عنصر الإرادة والعنصر الرابع أن هذه القوانين التي تجدها في الطبيعة نجدها أيضا في المجتمع.[11]

وطالما كانت قوانين التغير والتطور في المجتمع، هي التي تهمنا في هذا الصدد، فإننا نقف هنا عند ما سجله ابن خلدون على المؤرخين قائلاً: " من الغلط الخفي عندهم الذهول على تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام.. وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم وغلبهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال. وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول.[12]

وإمعانا في البحث عن أسباب التطور في المجتمع، يعزوا ابن خلدون ذلك في الغالب إلى الدولة.. أن السبب في تبدل الأحوال والعوائد هو أن عوائد كل جيل " تابعة لعوائد سلطانه. فأهل الملك والسلطان إذا استولوا على الدولة فلابد أن يفزعوا إلى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها، ولا

[10] المرجع السابق، ص 267 –269.

[11] الدكتور عبد الله شريط، نظرية التطور عند ابن خلدون، في جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ابن خلدون والفكر العربي المعاصر، تونس، . 1980 ، ص 95 –96.

[12] أبو خلدون ساطع الحصري، مرجع سابق، ص 303.

يغفلوا عوائد جيلهم مع ذلك، فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الأول ... فما دامت الأمم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة.

إلى هنا يتكلم ابن خلدون عن التغير الاجتماعي لا عن التطور لأن كل هذا التغير في (الأحوال والعوائد) قد يكون متجها إلى الرقى فنسميه تطوراً وقد يكون أيضا إلى الوراء فنسميه تدهوراً... ففكرة التغير الاجتماعي هنا تطغى على فكرة التطور وكان ابن خلدون (يعتبر التغير نفسه اكتشافاً لم ينتبه إليه الباحثون والمؤرخون من قبله).[13]

أما فكرة التطور الاجتماعي نجدها في تناول ابن خلدون للعلاقة بين البداوة والحضارة. هنا يبرز ابن خلدون فكرة التطور ويلح عليها بقدر ما ألح على فكرة التغير المحايد في تعاقب الأجيال والدول. فمنازع البداوة متقدمة على منازع الحضارة. والبدو أقدم من الحضر واسبق عليه والبادية أصل العمران والأمصار ومدد لها. ثم يؤكد هذا التطور في جانبه الاقتصادي... أن البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوال معاشهم وأن الحضر هم المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم ولاشك أن الضروري أقدم من الكمالي وسابق عليه...[14]

ونفس التطور الاجتماعي يحدث في الميدان السياسي وبناء الدولة. فهو يخصص فصلاً كاملا لشرح أطوار الدولة واختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الأطوار.

ويخصص فصول أخرى لانتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة، وانقلاب الخلافة إلى الملك، وطروق الخلل إلى الدولة، وخراب الأمصار ... الخ.[15]

وقد حدد ابن خلدون خمسة أطوار تمر خلالها الدولة في سلسلة متتابعة الحلقات تشبه تماما تطور الكائن الحي، يقول: اعلم إن الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتشف القائمون بها في كل طور خلقا من أحوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الآخر.

وحالات الدولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار: الطور الأول هو الظفر بالبغيه وغلب المدافع والممانع والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السالفة قبلها والطور الثاني طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك، والطور الثالث طور الفراغ والدعه لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طبائع البشر إليه، والطور الرابع طور القنوع والمساءلة، والطور الخامس طور

---

[13] - الدكتور عبد الله شريط، مرجع سابق، ص 96–98.

[14] المرجع السابق، ص ص 97.

[15] - أبو خلدون ساطع الحصري، مرجع سابق ص 303-306.

الإسراف والتبذير وفى هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم. ولقد ذهب ابن خلدون في تناوله لتطور الدولة إلى حد تحديد أعمارا للدولة وقد يمتد عمر الدولة ليصل إلى مائة وعشرين عاما أو قد يكون دون ذلك... وقسم هذه الفترة بثلاثة أجيال، الجيل الأول من أجيال الدولة هو جيل البداوة والخشونة والتوحش والبسالة والافتراس، والجيل الثاني هو جيل التحول بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة فتنكسر صورة العصبية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع أما الجيل الثالث فيصفه ابن خلدون وصفا يظهر فيه الاحتقار لأهله لما غرقوا فيه من ترف أنساهم عزتهم ورجولتهم."[16]

" الحراك الاجتماعي ":

ويشير بعض الباحثين إلى أن ابن خلدون قد أدرك تأثير الأحداث السياسية على الحياة الاقتصادية وهكذا ارتبطت أفكاره عن التطور السياسي بآرائه حول الآثار الاقتصادية لهذا التطور وبين كيف أن بعض الأفراد الماهرين يستفيدون من الخراب الذي يصاحب سقوط الدولة وشرح كيف يحدث أن كثيرا من المنازل والمزارع التي تقع في كثير من الأحيان في حوزة سكان المدينة وأبان وهو يشرح ذلك أن هذه الممتلكات قد تجمعت أما خلال أجيال وأما عن طريق المضاربة. فهو يقول أنه عندما تكون الأسرة الحاكمة على وشك السقوط وتظهر أسرة جديدة لتحل محلها فان قيمة العقارات تنقص بسبب الافتقار إلى الأمن.[17]

ويستطرد باحث آخر بشأن وجهة نظر ابن خلدون هذه وتوضيح إسهامه في فهم عملية الحراك الاجتماعي والعوامل السياسية والاقتصادية التي تتسبب فيها قائلا "أن ابن خلدون يذهب إلى أن ظروف الإقامة الحضرية قد تتيح لطبقة من الناس فرصة الثراء، وغالبا ما يحدث ذلك بسبب تملك بعض الأراضي والعقارات، لأن الدولة عندما تأخذ في الانحطاط والانحلال تقل رغبة الناس في امتلاك الأراضي، مما يترتب عليه انخفاض أسعارها ومن ثم يتيسر لطبقة من الناس شراء هذه الأراضي بثمن بخس ثم إذا تغيرت الأحوال وتوافرت للمدينة أسباب العمران ارتفعت أسعار الأراضي

[16] دكتور محمد على محمد، مرجع سابق، ص 62.

[17] جوستون بوتول، ابن خلدون، فلسفته الاجتماعية، ترجمة غنيم عبدون، المؤسسة . المصرة العامة للتأليف والترجمة، والطباعة والنشر، بدون تاريخ، القاهرة، ص 51.

وأصبح من جراء ذلك بعض الملاك من كبار الأغنياء دون أن يكونوا قد قاموا بعمل يستوجب هذا الثراء.[18]

وهكذا كشف تناول آراء ابن خلدون في المقدمة عن إسهامه في تحليل مجموعة لا بأس بها من العمليات الاجتماعية - منها التعاون والصراع، والصراع على السلطة والتغير والتطور والحراك الاجتماعي، واتضح من ما أضافه ابن خلدون بصدد هذه العمليات، كيف أن ما تقدم به ابن خلدون من أفكار يتطابق إلى حد كبير مع ما يفهمه علم الاجتماع حديثا من مضامين تكشف عن صور وأنواع هذه العمليات الاجتماعية وعن الكيفية التي تسهم به هذه العمليات في تشكيل الحياة الاجتماعية وما تنطوي عليه من نظم اجتماعية. والسؤال هنا، ما هي النظم الاجتماعية الأساسية التي تناولها ابن خلدون بالتحليل في المقدمة؟

ثالثاً: النظم الاجتماعية الأساسية التي درسها ابن خلدون:

تعتبر دراسة النظم الاجتماعية من أهم الموضوعات التي يعنى بها علم الاجتماع فالنظم تعد إحدى أنماط التنظيم الاجتماعي للمجتمع، وتعتبر بمثابة الأنساق الكبرى المنظمة للتفاعل الذي هو قاعدة العلاقات الاجتماعية. وعلى الرغم من أننا لا نجد في الواقع نظماً لها هذا التحديد، أي أننا نصطلح على تسمية أنواع التفاعل الموجهة لغرض معين من الأغراض التي تواجه حاجات الإنسان الأساسية وما يتفرع عنها بأسماء محددة تكشف عن طبيعة النشاط الاجتماعي وحدوده. وهذا يعنى أننا نصنف العلاقات الاجتماعية على مستوى معين من التجريد بقصد الدراسة والفهم، لأننا لو فحصنا هذه النظم لوجدناها متداخلة تداخلاً شديداً ويؤثر إحداها في الآخر تأثيرات متعددة، ومن هنا كان إدراك العلاقات المتبادلة بين النظم أمراً جوهرياً لفهم الحياة الاجتماعية، كما أن الاهتمام بدراسة النظم من حيث البناء والوظيفة يعد مطلباً ضرورياً في التعرف على الجوانب السوسيولوجية لهذه النظم.[19]

وفى ضوء هذا الفهم الحديث في علم الاجتماع للنظم الاجتماعية، يمكن أن نتساءل؛ عن مدى اهتمام ابن خلدون في المقدمة بدراسة النظم الاجتماعية الكبرى والتي تواجه حاجات الإنسان الأساسية ؟ ومدى عنايته في تحليله السوسيولوجي للنظم الاجتماعية بجوانبها البنائية والوظيفية ؟ وما هو إسهامه في تحليل العلاقات المتبادلة بين النظم الاجتماعية ؟

[18] دكتور محمد على محمد، مرجع سابق، ص 77.

[19] دكتور محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص 287 – ص 295.

يبدو مما كتبه ابن خلدون في المقدمة أنه كانت لديه فكرة واضحة عن اتساع نطاق النظم الاجتماعية وشمولها لجميع جوانب الحياة الاجتماعية، وأنه لم يغادر أي قسم من أقسامها إلا عرض له بالدراسة.

فعرض في معظم البابين الأول والرابع من المقدمة للظواهر المتصلة بطريقة التجمع الإنساني أي للنظم التي يسير عليها التكتل الإنساني نفسه ... وعرض ابن خلدون في الفصول التسعة عشرة الأخيرة من الباب الثاني وفى جميع فصول الباب الثالث لنظم الحكم وشئون السياسة، وعرض في سبعة فصول من الباب الثالث وفى ستة فصول من الباب الرابع وفى جميع فصول الباب الخامس للظواهر الاقتصادية ... وعرض في الباب السادس للظواهر التربوية والعلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وفى أثناء دراسته لظواهر هذا الباب تناول كثيراً من الظواهر الأخرى كالظواهر القضائية والخلقية والجمالية والدينية واللغوية.[20]

غير أن ما خصصه ابن خلدون من المقدمة لتناول الحياة الاقتصادية، كان كثيراً ومتنوعاً، وظهر أنه يشغل خمسين فصلاً من فصول المقدمة... كما أن تناوله لنظم الحكم وشئون السياسة في جميع فصول الباب الثالث والفصول التسعة عشرة الأخيرة من الباب الثاني، ليؤكد أن ابن خلدون كان يعتبر النظام السياسي والنظام الاقتصادي بمثابة نظماً اجتماعية أساسية تواجه الحاجات الإنسانية الأساسية وهى التي تستحق مزيد من العناية والبحث – فما مدى عنايته في تحليله لهذه النظم بالجوانب البنائية والوظيفية لها؟

بناء النظم الاجتماعية الأساسية ووظائفها:

1. النظام الاقتصادي:

في الفصل الخامس من المقدمة يتحدث ابن خلدون عن المعاش ووجوه الرزق ووسائل اكتساب الثروة ثم عن التجارة وما يتعلق بها من العرض والطلب والاحتكار والأسعار وغيرها، ثم عن الصناعات وأنواعها وأحوالها بصفة عامة، ثم يفرد لكل واحد من أمهاتها كالزراعة والبناء والحياكة والتوليد والطب فصلاً خاصاً.[21]

[20] دكتور على عبد الواحد وافى، مرجع سابق، ص 186 – ص 187.

[21] محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، المكتبة التجارية الكبرى – . القاهرة، الطبعة الثانية، ص 123.

وأن الأفكار الاقتصادية المدونة في مقدمة ابن خلدون اقرب إلى مباحث الاجتماعيات الاقتصادية (علم الاجتماع الاقتصادي) لأنه يبحث الأمور الاقتصادية بنظرات الباحث الاجتماعي ويتتبع التفاعلات التي تتوالى بين الحوادث الاقتصادية وبين سائر الأمور والأحداث الاجتماعية.[22]

ويقوم النظام الاقتصادي في نظر ابن خلدون على مجموعة عناصر بنائية، تنتج من العمل الإنساني، وقيم العمل والثروة، والعرض والطلب، يرصد ابن خلدون في تناوله لهذه العناصر مجموعة من الوظائف الهامة والحاجات الإنسانية الأساسية التي ينجزها النظام الاقتصادي.

أ- (العمل الإنساني والقيمة)

يقول "لابد من الأعمال الإنسانية في كل مكسوب ومتمول، لأنه إن كان عملاً بنفسه مثل الصانع فظاهر وإن كان مقتنى من الحيوان والنبات والمعدن فلابد فيه من العمل الإنساني كما تراه وإلا لم يحصل ولم يقع به انتفاع.

ذلك لأن قيم الأشياء تنبع من حيث الأساس العمل الذي يبذل لإنتاجها والكسب هو قيمة الأعمال البشرية.. وإن الكسب إنما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد إلى التحصيل.. فلابد في الرزق من سعى وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه..[23]

ب - قيم العمل والثروة:

يقول ابن خلدون "إن القصد من العمل هو تحصيلها (أو الحصول على الذهب والفضة). إن الله تعالى خلق الحجرين المعدنيين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول، وهما الذخيرة والقنية لأهل العالم في الغالب، إن اقتنى سواهما في بعض الأحيان فإنما هو بقصد تحصيلهما بما يقع في غيرهما من حوالة الأسواق التي هما عنها بمعزل، فهما أصل المكاسب والقنية والذخيرة.

والواقع أن ابن خلدون بذلك قد أدرك العلاقة بين قيمة العمل وثروة الأمم، لأن المتصور طبقاً لما يراه البعض، أن ثروة الأمة تتمثل في ما تحوزه من معدن نفيس كالذهب والفضة، والعمل المنتج هو الموجه أساسا نحو اقتناء الذهب والفضة.[24]

ج- قيم العمل والعرض والطلب:

[22] أبو خلدون ساطع الحصري، مرجع سابق، ص 543.

[23] دكتور محمد على محمد، مرجع سابق، ص 75.

[24] المرجع السابق، ص 76.

العمل ذاته يتبع قانون العرض والطلب، إذ أن قيمة العمل ترتفع عند زيادة الطلب، ومن ثم تكون أجور المعتملين مرتفعة بوجه عام في المدن المستبحرة في العمران. ويرجع ذلك إلى أن مستوى المعيشة يرتفع في المدن بصفة عامة، كما أن المترفين من أهل المدن يترفعون عن خدمة أنفسهم ما يتيح الفرصة أمام العمال للحصول على أجور أعلى.

ويبرر ابن خلدون سبب ارتفاع قيمة العمل – غلاء الصنائع والأعمال – في المدن الموفورة العمران بثلاثة أسباب، الأول كثرة الحاجة لمكان الترف في المصر بكثرة عمرانه، والثاني اعتزاز أهل الأعمال لخدمتهم وامتهان أنفسهم لسهولة المعاش في المدينة بكثرة أقواتها، والثالث كثرة المترفين وكثرة حاجاتهم إلى امتهان غيرهم وإلى استعمال الصناع في مهنهم فيبذلون في ذلك لأهل الأعمال أكثر من قيمة أعمالهم، مزاحمة ومنافسة في الاستئثار بها فيعتز العمال والصناع وأهل الحرف وتغلو أعمالهم.[25]

وينطوي هذا التحليل للعناصر البنائية للنظام الاقتصادي – العمل الإنساني وقيم العمل والثروة والعرض والطلب – كما قدمه لنا ابن خلدون في الباب الخامس من المقدمة على توضيح لوظيفة النظام الاقتصادي تبدو في تأكيده لدور العمل الإنساني في تحقيق الكسب والرزق وتوفير القيم وتنمية الثروة، وهى أدوار تتوقف على ظروف العرض والطلب التي تحكم العمل والقيم.

2. "النظام السياسي"

يخصص ابن خلدون الباب الثالث من المقدمة لتناول العمران السياسي، والدولة العامة والملك والمراتب السلطانية. وهو أكبر أبواب المقدمة، فهو يشمل أربعة وخمسون فصلاً، ويدور حول العصبية والملك والدولة والخلل وانهيار الدولة وغيرها. ويهمنا في هذا الصدد التركيز على أنماط السلطة والعصبية وبناء الدولة وأدوارها، باعتبارها تمثل الجوانب البنائية والوظيفية في النظام السياسي كما عالجها ابن خلدون.

(أ) أنماط السلطة:

سبق أن أوضحنا كيف ينظر ابن خلدون إلى عملية التعاون من أجل تحصيل القوت والغذاء، وكيف يتوقف التعاون بين الناس على وجود وازع يدفع بعضهم عن بعض.. ويكون الوازع واحد منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة، حتى لا يصل إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك.

[25] المرجع السابق، ص 76– 77 .

يقول ابن خلدون في فقرة أخرى "الوازع هو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهرة المتحكم.. وكان ابن خلدون قد ربط فكرة الدولة والملك والوازع أو الحاكم بمبدأ العمران من جهة وبمبدأ العدوان من جهة أخرى.. كما يتضح ذلك من قوله: "الدولة دون العمران لا تتصور والعمران دون الدولة والملك متعذر، لما في طباع البشرية من العدوان الداعي إلى التنازع".[26]

فالوازع أو الدولة أو الملك أو الحاكم أو حتى السلطة بالمفهوم الحديث قد ميز لها ابن خلدون ثلاثة أنواع. الوازع الباطني الذي ينشأ من الاعتقاد الديني والوازع الخارجي الذي يستند إلى سطوة الحكام وسلطتهم.. وهو تمييز يتكرر في عدة مواضع من المقدمة، حتى أنه يسمى كلا منهما باسم خاص، يسمى النوع الأول باسم الوازع الديني. كما يسمى النوع الثاني باسم الوازع السلطاني والعصباني.. وزيادة على هذين النوعين من الوازع قد لمح ابن خلدون نوعاً ثالثاً من الوازع الذي ينشأ من حكم العقل.. يقول:(يكفى في رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم الظلم عليه، بحكم العقل).[27]

ولقد توسع ابن خلدون في فصول عديدة من المقدمة في توضيح أنواع الوازع السلطاني والعصباني وأشكاله المختلفة. فأوضح أن عدوان أهل المدن بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة وأحياء البدو يزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبراؤهم بما يؤثر في نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة.[28]

وهكذا كانت معالجة ابن خلدون للسلطة - وأنماطها المختلفة- تنطوي على كثير من المضامين التي تجعلها تتطابق مع ما كشف عنه ماكس فيبر في تمييزه بين أنماط ثلاثة للسلطة، هي السلطة المقدسة أو الكاريزمية التي تظهر بين الأنبياء ورجال الدين ويقابلها الوازع الديني عند ابن خلدون، ثم السلطة التقليدية في رأى ماكس فيبر والتي تستند إلى الاعتقاد في التقاليد واحترام كبار السن، وتقابلها السلطة العصبانية في رأى ابن خلدون والتي يزع فيها المشايخ والكبراء البدو بعضهم عن بعض بما وقر في نفوسهم. وأخيراً السلطة العقلانية والرشيدة التي تقوم على القانون، عند ماكس فيبر - والتي تناولها ابن خلدون ورفع التنازع بحكم العقل، ودفع الحكام والدولة لعدوان أهل المدن.

(ب) العصبية:

يذهب بعض الباحثين إلى أن تكوين فكرة واضحة عن رأى ابن خلدون في العصبية يتطلب الرجوع إلى ما جاء في معظم فصول البابين الثاني والثالث وفى أحد فصول الباب الرابع حول العصبية.

---

[26] أبو خلدون ساطع الحصري، مرجع سابق، ص 28.

[27] المرجع السابق، ص 384

[28] المرجع السابق، ص 286.

يقول ابن خلدون "إن سكنى البدو لا يكون إلا للقبائل أهل العصبية.." والعصبية نزعة طبيعية في البشر تؤدى إلى الالتحام والاتحاد بين أفراد النسب الواحد لأنها تحملهم على التعاضد والتناصر وتستلزم استماتة كل واحد منهم دون صاحبه.. ولهذا السبب نجد أن أفراد النسب الواحد مشتركون في حمل الديات ويتعاونون على دفع العدوان ويتناصرون في تحقيق المطالبات.. وتقتضى حالة البداوة بطبيعتها وجود عصبية قوية لأن الدفاع عن الحي لا يتم إلا على أيدي أبنائهم المعروفين بالشجاعة ولا يصدق دفاعهم وزيادهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد، لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم. وأهل الحضر يكون أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى والهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم فلا يكون بحاجة شديدة إلى العصبية.[29]

وتبدو أهمية العصبية في البداوة بالنظر إلى تنظيم القبائل ورئاستها – يقول ابن خلدون "أعلم أن كل حي أو بطن من القبائل وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام، ففيهم أيضاً عصبيات أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحاماً من النسب العام لهم مثل عشير واحد وأهل بيت واحد أو إخوة بنى أب واحد، والرئاسة فيهم تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل.. ولا تزال الرئاسة في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم إلى فرع ولا تنتقل إلى الأقوى من فروعه.

كما تبدو أهمية العصبية في الحضر بالنظر إلى قيام الدولة يقول ابن خلدون أن الغاية التي تهدف إليها العصبية هي الملك.. إن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه.. وقدمنا أن الآدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض. فلابد أن يكون متغلباً عليهم بتلك العصبية وإلا لم تتم قدرته على ذلك.. وهذا التغلب هو الملك، وهو أمر زائد على الرياسة لأن الرياسة إنما هي سؤدد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في أحكامه. فأما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر.[30]

وعموماً يمكن تلخيص الأدوار التي تلعبها العصبية (وظائفها) في الحياة الاجتماعية والسياسية فيما يلي:

1- العصبية تحمل الأفراد على التناصر والتعاضد في المدافعة والحماية والمقاتلة.. فالعصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه.. كل أمر يحمل عليه الكافة فلابد له من عصبية.. إن المطالبات كلها والمدافعات لا تتم إلا بالعصبية.

---

[29] المرجع السابق، ص 333.

[30] دكتور محمد على محمد، مرجع سابق، ص 72-75 .

2- العصبية ضرورية في كل أمر يحمل الناس عليه من نبوه أو إقامة ملك أو دعوة أو بلوغ الغرض من ذلك كله إنما يتم بالقتال عليه، كما في طباع البشر من الاستعصاء، ولابد في القتال من عصبية.

3- الرئاسة لا تكون إلا بالغلب، والغلب إنما يكون بالعصبية.

4- الملك إنما يحصل بالتغلب، والتغلب إنما يكون بالعصبية.[31]

(ج) الدولة:

تتضح عناية ابن خلدون بالدولة من أنه قد خصص ما يقرب من ثلث المقدمة لهذا الموضوع، وأن مباحث الباب الثالث تتناول الدولة العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الأحوال.

إن الدولة في نظر ابن خلدون هي الملك التام الذي لا يكون فوقه حكم آخر، والدولة العامة في أولها تكون غريبة على الناس غير مألوفة لديهم ولذلك يصعب على النفوس الانقياد لها إلا بقوة قوية من الغلب وذلك لا يتم إلا بوجود عصبية قوية.

والدولة والملك للعمران (أي للاجتماع) بمثابة الصورة للمادة، وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها. وقد تقرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر (أي انفكاك الصورة عن المادة) فالدولة دون العمران لا تتصور والعمران دون الدولة والملك متعذر، لما في طباع البشر من العدوان الداعي إلى الوازع.[32]

ويرى ابن خلدون أن نطاق الدولة واتساعها يتحول ويتطور وفق نظام ثابت تتوسع الدولة في بادئ الأمر، إلى أن تصل إلى أقصى حدودها، وبعد ذلك تأخذ في التقلص فتتراجع عن تلك الحدود ويتضايق نطاقها شيئاً فشيئاً.

إن تضايق نطاق الدولة على هذا المنوال يبدأ من الأطراف ويسير نحو المركز تدريجياً والدولة تحافظ على كيانها، على الرغم من تقلص نطاقها – ما بقى مركزها محفوظاً – وأما إذا غلبت الدولة على أمرها في مركزها فإنها تفقد حينئذٍ كيانها وتنقرض.[33]

---

[31] المرجع السابق، ص 56–74.

[32] أبو خلدون ساطع الحصري، مرجع سابق، ص 330- 343.

[33] - المرجع السابق، ص 375.

وهكذا نظر ابن خلدون إلى النظام السياسي باعتباره كل يتكون من أجزاء أو عناصر بنائية تناولنا من بينها، أنماط السلطة والعصبية، والدولة وكان واضحاً اهتمامه بالدور أو الوظيفة التي يسهم بها كل جزء من هذه العناصر البنائية، بدءاً بالوازع أو السلطة ودورها في حسم الصراع والتنازع بين البشر، ثم دور كل نمط من أنماط السلطة في تحقيق الضبط الاجتماعي في المجتمعات البدوية والحضرية. وكذلك وظيفة العصبية وأدوارها المتعددة، خاصة في نشأة الدولة، ثم وظيفة الدولة نفسها باعتبارها الشكل الحافظ لوجود الملك.. إلخ.

والواضح أن تناول ابن خلدون للنظامين الاقتصادي والسياسي باعتبارهما من أكثر النظم إسهاماً في تحقيق الحاجات الإنسانية الأساسية، كان يتطابق مع الاتجاه الحديث في تحليل النظم الاجتماعية، لأنه أخذ يركز على الجوانب البنائية والوظيفية في هذه النظم، مما أسهم بدوره في العمل على زيادة فهمنا للحياة الاجتماعية. يبقى لنا في هذا التحليل أن نحاول الإجابة على سؤال أخير هو: مدى اهتمام ابن خلدون في دراسته للنظم الاجتماعية، بتحليل العلاقات المتبادلة بين هذه النظم ؟

رابعا: العلاقات المتبادلة بين النظم الاجتماعية في فكر ابن خلدون:

ولم يتوقف تحليل ابن خلدون للنظم الاجتماعية عند حد توضيح الجوانب البنائية والوظيفية لهذه النظم، خاصة النظم الاجتماعية الأساسية بما في ذلك النظام الاقتصادي والنظام السياسي. وإنما أدرك ابن خلدون ضرورة تناول العلاقات المتبادلة بين النظم الاجتماعية المختلفة وكيف تؤثر وتتأثر بعضها بالأخرى. وقد اتضح ذلك من خلال تناوله للعلاقات المتبادلة بين النظامين الاقتصادي والسياسي، وبين النظام الاقتصادي والنظام التعليمي، وبين نظام البيئة وثقافة العمران. وربما كان من المفيد لتحقيق أهداف البحث الحالي التوقف عند بعض هذه المعالجات.

1- العلاقات المتبادلة بين النظام الاقتصادي والنظام السياسي:

يرى بعض الباحثين أن ابن خلدون يضع فيما يتعلق بالعلاقة بين الثروة (نظام اقتصادي) والسلطان (نظام سياسي) قواعد تتعلق بحركة الثروة بين السلطان ومراكز القوى.. يقول ابن خلدون: "أنه في بداية الدولة يكتفي السلطان بالسلطة وتتوزع الثروة على القائمين بتوطيد نفوذه وبعد توطيد تلك

الدولة ينفرد السلطان بالثروة دون الذين أسهموا في توطيد الدولة. ثم يزداد انفراد السلطان بالثروة في شيخوخة الدولة ليحمى نفسه ويقوى سلطته.[34]

وهناك علاقة أخرى تنبه إليها ابن خلدون بين النظام الاقتصادي والنظام السياسي بين الثروة والنفوذ، بين الجاه والمال أو التلازم بين الثروة والسلطة.. يقول: إن المتمول أو الرأسمالي يحتاج إلى الجاه فالتاجر صاحب الجاه أكثر ثروة من التاجر الذي لا جاه له.. وفى موضع آخر يقول: إن المال يأتي عن طريق العمل، ولكن الجاه يفيد تنمية المال، وبدون الجاه يصير الكسب على قدر العمل.. وقد جاء بين سطور المقدمة في معرض حديث ابن خلدون عن العلاقة بين الجاه والثروة حيث يلتفت ابن خلدون إلى أحوال صاحب الجاه وبين أنه إذا ضاع منه جاهه ونفوذه ضاعت منه ثروته. وإذا اقتصر على عمله يصبح فقيراً، وينزلق المنافقون لأصحاب النفوذ طلباً للثروة والسطوة معاً، ومن يترفع عن النفاق ويقتصر في التكسب على عمله يظل فقيراً، مهما بلغت كفاءته ومهما بلغ نبوغه وإخلاصه لعمله.[35]

ونتوقف هنا عند نقطة مهمة في تحليل العلاقة بين النظام الاقتصادي والنظام السياسي، حيث يعالج ابن خلدون دور الدولة في الاقتصاد، فبعد التأكيد على دور الدولة – التي هي السلطان المستبد – يعمل ابن خلدون على تقليص دور السلطان في التدخل في الحرية الاقتصادية بل يكون دوره في منع الظلم ومنع السلطان من الاحتكار والمغالاة في الضرائب. فيرى ابن خلدون أن من الخطأ أن يعمل السلطان – أو الدولة – في الزراعة والتجارة أو أي نشاط اقتصادي، أي يرى من الخطأ أن تقوم الدولة بالإنتاج الاقتصادي، لأن ذلك يعنى تدخل السلطة في قهر المزارعين والتجار على أسعار لا يرتضونها، مما يجعل حماسهم يضيع فلا ينتجون. وطالما تناقص الإنتاج فإن دخل الدولة من الضرائب يتناقص. لذلك لابد من رفع يد الدولة عن الإنتاج وأن تترك الناس يعملون مكتفية بفرض الضرائب.[36]

ويرتبط ذلك بتحريم ابن خلدون للاحتكار، وهو يقول صراحة أن الاحتكار في الزرع مشئوم. وبالتالي لا يجوز للسلطان أن يحتكر سلعة ويرغم الناس على شرائها بالتسعيرة التي يحددها ولا يجوز له أن يبخس الناس أشياءهم.. ويلتفت ابن خلدون إلى ناحية أخطر وهى احتكار السلطان للثروة وليس مجرد الإنتاج الزراعي فيؤكد أن السلطان – أو الدولة – إذا اكتنز الأموال أو احتكر الثروة فقد حل

[34] دكتور أحمد صبحي منصور، مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص 445- 466.

[35] - المرجع السابق، –ص 360-365.

[36] المرجع السابق، ص 468.

الكساد بالبلاد.. ويشجع السلطان على إطلاق الأموال في الناس حتى يدور المال دورته فينتعش الاقتصاد ويلخص ابن خلدون ذلك كله في عنوان موجز يقول (نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية).[37]

ويستطرد ابن خلدون في تناول دور الدولة في الاقتصاد، قائلاً لا يبقى للسلطان (الدولة) إلا فرض الضرائب أو الجباية، وأنه إذا قلت جباية الدولة قلت الوظائف الرسمية وقلت مصروفات الدولة وتشجيع الناس على العمل فيكثر الإنتاج ويزداد العمران.. أما إذا زادت الضرائب والمغارم ضعفت عزائم الناس عن العمل لأن ناتج عملهم تأخذه الدولة، كما يضع ابن خلدون قواعد تربط بين مراحل الدولة وفرضها للضرائب، فالدولة في بدايتها تكون بسيطة قليلة الإنفاق والمصاريف لا تعرف الترف ولا تفرض ضرائب كثيرة وحين تدخل في دور الترف تتكاثر مصاريفها ومشاكلها فتضطر إلى فرض ضرائب تنفق منها على العسكر والحماية فيأتي الكساد والخراب وتقوم دولة جديدة تبدأ عهدها بإلغاء الضرائب التي لا داعي لها.[38]

2- العلاقات المتبادلة بين النظام الاقتصادي والتحضر والعمران:

ويتناول ابن خلدون هذه العلاقات من خلال (العمل و التصنيع) من ناحية و(التحضر والعمران) من ناحية أخرى، وفيما يتعلق بالعلاقة بين العمل (النظام الاقتصادي) والعمران البشرى فقد ذهب ابن خلدون إلى أنه إذا فقدت الأعمال أو قلت بانتقاص العمران تأذن الله برفع الكسب ألا ترى إلى الأمصار القليلة السكنى كيف يقل الرزق والكسب فيها أو يفقد لقلة الأعمال الإنسانية وكذلك الأمصار التي يكون عمرانها أكثر يكون أوسع أموالاً وأشد رفاهية.

وفيما يتعلق بالعلاقة بين التصنيع وارتباطه بالتحضر والعمران يقول ابن خلدون على مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع لتألف فيها حينئذٍ واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة.... ويلاحظ أيضاً أن رسوخ الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها والسبب في ذلك ظاهر وهو أن هذه كلها عوائد للعمران وألوان.[39]

3- العلاقات المتبادلة بين النظام السياسي والنظام الديني:

---

[37] المرجع السابق، ص 467 –468.

[38] المرجع السابق، ص 470.

[39] دكتور محمد على محمد، تاريخ علم الاجتماع، مرجع سابق ص .76-78.

وفى هذا الصدد أشار البعض إلى أن ابن خلدون لاحظ بعض العلائق الهامة بين قوة العصبية (النظام السياسي) وبين أمور الديانة والدعوة الدينية أيضاً (النظام الديني) فإنه يقول أولاً أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم لأن هذه الدعوة تتضمن حمل الناس على السير فوق ما تقتضيه الأوامر الدينية، ولذلك لا تخرج عن نطاق الأمور التي تحتاج إلى عصبية.. إن الشرائع والديانات وكل أمر يحمل عليه الجمهور فلابد فيه من العصبية إذ المطالبة لا تتم إلا بها.. فالعصبية ضرورية للملة ويحشد ابن خلدون دلائل عقلية ونقلية ووقائع تاريخية للتدليل على هذه القضية.

بينما يقرر ابن خلدون من جهة أخرى ضرورة العصبية للدعوة الدينية، فيلاحظ نوعاً من المشابهة بين تأثير الدين وبين تأثير العصبية في الحياة الاجتماعية.. لأن الديانة تؤلف القلوب وتوجهها إلى وجهة واحدة وتذهب بالتنافس والتحاسد، وتؤدى إلى اتفاق الأهواء، وتحمل على التعاون والتعاضد.. إن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على العصبية التي كانت لها من عددها.[40]

ولم يكن إدراك ابن خلدون للعلاقات المتبادلة بين النظم قاصراً على ما أوضحناه سلفاً، من اهتمامه بما هو قائم من علاقات بين النظم السياسية والاقتصادية والدينية والعمرانية، وإنما لابن خلدون إسهامات أخرى في تحليل العلاقات المتبادلة بين النظم الاجتماعية المختلفة، وهذه الاهتمامات تتطابق – بلا شك – مع اهتمامات علم الاجتماع الحديث، وتساعد على إثراء فهمنا للحياة الاجتماعية.

خاتمة

حاولت الدراسة التعرف على العمليات الاجتماعية ذات الأهمية المحورية من وجهة نظر ابن خلدون، وقد ظهر من خلال تناول أفكار ابن خلدون كما طرحها في أبواب وفصول المقدمة أن عمليات التعاون والصراع والتغير الاجتماعي والتطور والحراك الاجتماعي، تعد من أهم العمليات الاجتماعية في المجتمع، لأنه نظر إلى هذه العمليات باعتبارها الأساس في بناء النظم الاجتماعية وظهر ذلك من خلال دور التعاون في نمو النظام الاقتصادي، ودور الصراع الاجتماعي في تأسيس الدولة والملك والنظام السياسي.

كما اهتمت الدراسة بالتعرف على النظم الأساسية للمجتمع، وقد أوضح تحليل كتابات ابن خلدون في هذا الصدد، كيف نظر إلى النظام الاقتصادي وإلى النظام السياسي باعتبارهما من أهم الأنساق

40. دكتور عبد الباسط عبد المعطى، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة، الكويت، 1981 ، ص81 –84.

الاجتماعية الكبرى في المجتمع التي تعمل على مواجهة حاجات إنسانية أساسية وقد حرص ابن خلدون في كتاباته على تناول الجوانب البنائية والوظيفية في هذه النظم، واتضح أن العمل الإنساني والقيمة والثروة.. تعد من أهم العناصر البنائية في النظام الاقتصادي، وأوضح الأدوار والوظائف المحددة لكل عنصر بنائي منها وكذلك اتضح أن أنماط السلطة والعصبية والدولة هي العناصر البنائية الأساسية في النظام السياسي، وهناك أدوار ووظائف يقوم بها كل عنصر بنائي.

وبإمكاننا أن نوضح استناداً إلى هذه النتائج الوزن النسبي لكل نظام اجتماعي من هذه النظم بالمقارنة ببعضها الآخر فعلى الرغم من أن البعض يرى أن ابن خلدون قد أعطى أهمية كبرى للنظام الاقتصادي في الحياة الاجتماعية "وإن النشاط الاقتصادي هو الحقيقة الأولى لإنتاج الحياة الاجتماعية".

وكان البعض الآخر من الباحثين قد أكد أن ابن خلدون قد نظر إلى النظام السياسي والسلطة على أن لها الأهمية القصوى في الحياة الاجتماعية "ونظر للسلطة السياسية بوصفها غاية الغايات ونهاية المطاف" وتلعب السلطة السياسية المتمثلة في الحاكم دوراً في الحفاظ على العمران، كما تلعب العصبية دوراً أساسياً في بناء العمران واستمراره".

وقد مال بنا التحليل الذي قدمناه للنظم الاجتماعية إلى الرأي الثاني الذي يعتبر النظام السياسي أساساً لبقية النظم الاجتماعية الأخرى، طالما كانت العصبية أساس الحياة البدوية، التي تتطور فيما بعد إلى حياة الحضارة وطالما كان الصراع الاجتماعي على السلطة هو الذي يحرك التغيير الاجتماعي، وينقل الدولة من طور إلى آخر، ولهذا احتل النظام السياسي في فكر ابن خلدون وزناً نسبياً على النظم الاجتماعية الأخرى. كما كانت الدراسة قد اهتمت بالتداخل بين النظم الاجتماعية المتباينة، واتضح أن ابن خلدون قد اهتم بتوضيح العلاقات المتبادلة بين النظام الاقتصادي والنظام السياسي، وبين النظام الاقتصادي والتحضر والعمران، كما عالج ابن خلدون العلاقات المتبادلة بين النظام السياسي والنظام الديني.

المراجع

1- دكتور أحمد صبحي منصور، مقدمة ابن خلدون، دراسة أصولية تاريخية، دار الأمين. للنشر والتوزيع، الجيزة مصر، 1998 ، ص 445.

2- دكتور على عبد الواحد وافى، عبقريات ابن خلدون، عالم الكتب، القاهرة، 1973 . ص 186.

3- دكتور محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986 .204 – ص- ص 207.

4- أبو خلدون ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، مكتبة الخانجي مصر، . ومكتبة المثنى ببغداد، 1961 ، ص 280.

5- دكتور محمد على محمد، تاريخ علم الاجتماع، الرواد والاتجاهات المعاصرة، دار . المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986 ، ص 55 – ص 56.

6 - الدكتور عبد الله شريط، نظرية التطور عند ابن خلدون، في جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ابن خلدون والفكر العربي المعاصر، تونس، . 1980 ، ص 95 – ص 96.

7 - جوستون بوتول، ابن خلدون، فلسفته الاجتماعية، ترجمة غنيم عبدون، المؤسسة . المصرة العامة للتأليف والترجمة، والطباعة والنشر، بدون تاريخ، القاهرة، ص .51

8 - محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة، الطبعة الثانية، ص 123.

9 - دكتور أحمد صبحي منصور، مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص 445- 466.

10- دكتور محمد على محمد، تاريخ علم الاجتماع، مرجع سابق ص .76-78.

11 - دكتور عبد الباسط عبد المعطى، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨١ ، ص81 –84.

جهود أبو علي الفارسي
دراسة وصفية إحصائية

المبحث الأول: التعريف به:

1. اسمه ونسبه:

هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي، الفسوي، النحوي، أبو علي، وأمه سدوسيه من سدوس شيبان من ربيعة الفرس، ولد ببلدة فسا، سنة 288هـ

واشتغل ببغداد، ودخل إليها سنة 307 هـ، وتجول في كثير من البلدان، وسمع الحديث وبرع في علم النحو وانفرد به، وقصد الناس من الأقطار، وعلت منزلته في العربية، وصنف فيها كتبا كثيرة لم يُسبق إلى مثلها حتى اشتهر ذكره في الآفاق، وكان من أكابر أئمة النحويين، حتى فضله كثير من النحويين على أبي العباس المبرد، وكان متهما بالاعتزال[1].

ولم يقل من الشعر إلا ثلاثة أبيات في الشيب، وهي: (الوافر)

خَضَبْتُ الشَّيْبَ لَمَّا كَانَ عَيْبًا ... وَخَضْبُ الشَّيبِ أَوْلَى أَنْ يُعَابَا.

وَلَمْ أَخْضُبْ مَخَافَةَ هَجْرِ خِلٍّ ... وَلَا عَيْباً خَشَيْتُ وَلَا عِتَابَا.

وَلَكِنِّي خَشَيْتُ يُرَادُ مِنِّي ... عُقُول ذَوِي الْمَشِيبِ فَلَنْ يُصَابَا[2].

2. ثناء العلماء عليه:

لقد نال إمامنا أبو علي شهرة واسعة، وكان له منزلة سامقة، وقد تكاثرت عبارات الأئمة في الثناء عليه، وتبيين مكانته العلمية.

أ. **قال ابن الانباري:** صنف كتبا حسنة لم يسبق إلى مثلها[3].

ب. **وقال ابن خلكان:** كان إمام وقته في علم النحو، ودار البلاد، وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة، وكان قدومه عليه في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة، وجرت بينه وبين أبي

1- ينظر ترجمه له في شذرات الذهب 408/3، 409، وهدية العارفين 140/1.

2- الأبيات من الوافر، وذكر ابن العماد في شذرات الذهب 408/4 البيت الأخير بهذه الرواية: ((وَلَكنَّ المشيبَ بَدَا ذَمِيماً ... فَصَيَّرتُ الخِضَابَ لَهُ عِقَابَا))

3- نزهة الالباء 233.

الطيب المتنبي مجالس، ثم انتقل إلى بلاد فارس، وصحب عضد الدولة ابن بويه، وتقدم عنده، وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة: أنا غلام أبي علي الفسوي في النحو [1].

ت. **قال أبو طالب العبدي:** ما كان بين سيبويه وأبي علي أفضل منه [2].

ث. **قال الحموي:** المشهور في العالم اسمه، المعروف تصنيفه ورسمه، أوحد زمانه في علم العربية، كان كثير من تلامذته يقول: هو فوق المبرد [3].

ج. **قال الخطيب البغدادي:** وعلت منزلته في النحو حتى قال قوم من تلاميذه هو فوق المبرد وأعلم منه، وصنف كتبا عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها، واشتهر ذكره في الآفاق، وبرع له غلمان حذاق مثل عثمان بن جني، وعلي بن عيسى الشيرازي... وغيرهما، وخدم الملوك، ونفق عليهم، وتقدم عند عضد الدولة، فسمعت أبي يقول: عضد الدولة يقول: أنا غلام أبي علي النحوي الفسوي في النحو [4].

ح. **قال السيوطي:** "واحد زمانه في علم العربية، وقال كثير من تلامذته: إنه أعلم من المبرد"[5].

خ. **قال الفيروزأبادي:** الإمام العلامة قرأ النحو على أبي إسحاق الزجاج، وأخذ عنه كتاب سيبويه، وبرع في النحو، وانتهت إليه رئاسته، وصحب عضد الدولة فعظمه، وأحسن إليه[6].

3. **شيوخه وتلاميذه:**

أ. **شيوخه:**

لقد درس الإمام أبو علي الفارسي على كثير من علماء عصره، فمِمَّن درس عليهم وتخرج بهم:

1- وفيات الأعيان 80/2.

2- نزهة الألباء 232.

3- معجم الأدباء 304.

4- تاريخ بغداد 275/7.

5- بغية الوعاة 496/1.

6- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة 13/1.

1. إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، ولد سنة 241 هـ، وله من المصنفات معاني القرآن، والفرق بين المذكر والمؤنث، والرد على ثعلب في الفصيح... وغير ذلك. توفي سنة 311 هـ[1].

2. إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، العتكي الأزدي الواسطي، أبو عبد الله، المشهور بنفطويه، ولد سنة 244 هـ، وصنف غريب القرآن والمقنع في النحو، وتاريخ الخلفاء، وتوفي سن 323 هـ[2].

3. أبو بكر بن محمد بن علي بن إسماعيل العسكري، أبو بكر، المعروف بمبرمان من كبار علماء العربية، من أهل بغداد، ومن كتبه شرح شواهد سيبويه، والنحو المجموع على العلل، وشرح كتاب سيبويه، توفي سنة 326 هـ[3].

4. أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي، أبو بكر، ولد سنة 245 هـ، قارئ القرآن الكريم، وراو من رواة الحديث النبوي، وصنف السبعة في القراءات، وتوفي سنة 324هـ[4].

5. علي بن الحسين بن معدان أبو الحسن الفارسي الفسوي، حدث عن إسحاق بن راهويه، وأبي عمار الحسين بن حريث، توفي سنة 319 هـ[5].

6. علي بن سليمان بن الفضل وشهرته الأخفش الأصغر، أبو المحاسن، هو نحوي، ولد سنة 235 هـ، من أهل بغداد أقام بمصر ومن آثاره شرح سيبويه، والأنواء، والمهذب، وتوفي سنة 315 هـ[6].

1- ينظر ترجمة له في طبقات النحويين واللغويين 111.

2- ينظر ترجمة له في سير أعلام النبلاء 75/15.

3- ينظر ترجمة له في الوافي بالوفيات 81/4.

4- ينظر ترجمة له في سير أعلام النبلاء 272/15.

5- ينظر ترجمة له في سير أعلام النبلاء 520/14.

6- ينظر ترجمة له في العبر 470/1.

7. علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، الإخشيدي أبو الحسن البغدادي الرماني، الأديب النحوي، ولد سنة 296 هـ، وله نحو مئة مصنف منها إعجاز القرآن،وكتاب التفسير، وشرح أصول ابن السراج، وشرح كتاب سيبويه،... وغير ذلك[1]. وتوفي سنة 384 هـ.

8. محمد بن أحمد بن منصور، أبو بكر، ويعرف بابن الخياط، وهو نحوي من سمرقند، قدم إلى بغداد، وتتلمذ لدى علمائها، وصنف النحو الكبير، والمقنع في النحو، والموجز في النحو... وغير ذلك، وتوفي سنة 320 هـ[2].

9. محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر، ولد سنة 223 هـ، وتوفي سنة 321 هـ، من أئمة اللغة والأدب، ومن كتبه الاشتقاق، والجمهرة... وغير ذلك[3].

10. محمد بن السرى أبو بكر النحوي المعروف بابن السراج النحوي، كان أحد العلماء المذكورين بالأدب وعلم العربية، وله مصنفات منها أصول النحو، وجمل الأصول، وشرح كتاب سيبويه... وغير ذلك. وتوفي سنة 316 هـ[4].

ب. تلاميذه:

لقد استفاد من الإمام أبي علي ودرس على يديه الكثير من طلاب العلم، وأخذ عنه النحو خلق كثير، وبرع من طلبته جماعة، ومن أشهر أولئك:

1. أحمد بن بكر بن بقية العَبْدي، كان نحويا فاضلا ماهرا، وشرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي وأحسن فيه، وشرح الجرمي، وتوفي سنة 406هـ[5].

2. أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، أبو علي، من علماء الأدب واللغة والنحو، وصنف شرح ديوان الحماسة، والأزمنة والأمكنة، وشرح المفضليات... وغير ذلك، وتوفي عام 421 هـ[6].

1- ينظر ترجمة له في النجوم الزاهرة 170/4.

2- ينظر ترجمة له في نزهة الألباء 185.

3- ينظر ترجمة تاريخ بغداد 195/2.

4- ينظر ترجمة له في جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس 56.

5- ينظر ترجمة له في معجم الأدباء 204/1، 205.

6- ينظر ترجمة له في سير أعلام النبلاء 475/17.

3. إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو بصر، كان أديبا فاضلا، وصنف الصحاح، وإصلاح الخلل، وشرح أدب الكاتب... وغير ذلك، وكتاب العروض، وتوفي سنة 393 هـ[1].

4. الحسين بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين الرافقي، وله مؤلفات منها الدارات، وشرح شعر أبي تمام، والأدوية والجبال والرمال... وغير ذلك، واختلف العلماء في سنة وفاته قيل سنة 422 هـ، وقيل سنة 380 هـ، وقيل سنة 388 هـ[2].

5. عبد الملك بن بكران، أبو الفرج النهرواني، مقرئ بغداد أخذ القراءات عن زيد بن أبي بلال، وعبد الواحد بن أبي هاشم وطائفة، وتوفي سنة 404 هـ[3].

6. عبيد الله بن أحمد بن عثمان الأزهري، البغدادي، الصيرفي بن السوادي المعروف بـ أبي القاسم الأزهري، ولد سنة 355 هـ، محدث من الثقات، الحجة المقرئ، وسمعنا منه المصنفات الكبار، وكمل الثمانين، وتوفي سنة 435 هـ[4].

7. عثمان بن جني أبو الفتح، كان إماما في اللغة العربية قرأ الأدب على أبي علي الفارسي، وله من المؤلفات: سر صناعة الإعراب، والخصائص، والتبصرة في العروض... وغير ذلك. وتوفي سنة 392 هـ[5].

8. علي بن عيسى بن الفرج بن صالح البغدادي الشيرازي الربعي الزهيري ولد سنة 328 هـ، من أئمة النحاة في القرن الرابع الهجري ومطلع القرن الخامس، وصنف البديع، وشرح الإيضاح للفارسي، وشرح البلغة... وغير ذلك، وتوفي سنة 420 هـ[6].

1- ينظر ترجمة له في آثار البلاد وأخبار العباد 306.

2- وينظر ترجمة له في معجم الأدباء 1146/3.

3- وينظر ترجمة له في معرفة القراء الكبار 371/1.

4- ينظر ترجمة له في سير أعلام النبلاء 578/17.

5- ينظر ترجمة له في إنباه الرواة 335/2، 336.

6- ينظر ترجمة له في معجم المؤلفين 163/7، 164.

9. المحسن بن علي بن محمد بن داوود بن إبراهيم التنوخي، أبو علي، أديب وكاتب ومؤرخ عاش في العصر العباسي، وله مؤلفات منها الفرج بعد الشدة، وديوان شعر، وعنوان الحكمة... وغير ذلك، وتوفي سنة 384 هـ[1].

10. محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث الفارسي، أبو الحسين، بن أخت أبي علي الفارسي، ورث علم خاله وعليه درس حتى استغرق علمه، و توفي سنة 421 هـ[2].

11. محمد بن طوس القصري، يكنى أبا الطيب صاحب المسائل القصريات أملاها أبو علي عليه، ويقال إن أبا علي كان يتعشقه لما كان حدثا ويخصه بالطرف ويحرص على الإملاء عليه، والالتفاتات إليه وإنه مات شابا[3].

4. مذهبه النحوي:

عد الزبيدي أبا علي النحوي من نحاة البصرة وترجم له في الطبقة العاشرة من طبقات البصريين مع أصحاب ابن السراج[4]، وتبعه في ذلك ابن النديم،[5] وأيدهما أبو حيان التوحيدي[6].

ومن المحدثين الذين يعدون أبا علي من البصريين: بروكلمان، وعبد الفتاح شلبي، أما الشيخ الطنطاوي، فقد أخرجه من البصريين، وجعله ضمن مجموعة علماء النحو في العراق، وجعله الأستاذ أحمد أمين مؤسس مدرسة نحوية مستقلة مع تلميذه ابن جني[7].

أما الدكتور شوقي ضيف فقد عده من البغداديين الذين يميلون بنحوهم إلى المذهب البصري[8].

1- ينظر ترجمة له في شذرات الذهب 446/4.

2- ينظر ترجمة له في نزهة الألباء 251.

3- ينظر ترجمة له في معجم الأدباء 2542، 2543.

4- ينظر: طبقات النحويين واللغويين 120،

5- ينظر: الفهرست101/12.

6- ينظر: الامتاع والمؤانسة 131/1.

7- ينظر: تاريخ الأدب العربي 190/2.

8- ينظر: نشأة النحو 98.

ومذهب أبي علي مذهب بغدادي لا يتجلى في جوانب عديدة، ويتجلى في مصادر السماع التي اعتمدها، ومنهجه القياسي، وفي التعليل، وفي محاولته التوفيق بين آراء البصريين والكوفيين، ونفاذه إلى ما لا يحصى من آراء جديدة انفرد فيها[1].

5. وفاته:

توفي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، عن نيف وتسعين سنة، سنة 377 هـ، رحمه الله تعالى ببغداد، ودفن بالشونيزى، وذلك في خلافة الطائع لله تعالى، وأوصى بثلث ماله لنحاة بغداد بياض عليها فكان ثلاثين ألف دينار[2].

المبحث الثاني: دراسة إحصائية لتراثه

كان أبو علي الفارسي غزير الإنتاج وقد تنوعت كتبه وتعددت وهو من المكثرين من التأليف وانقسم انتاجه العلمي بين مطبوع ومخطوط ومفقود.

أولا: الكتب المطبوعة:

1. **الحجة للقراء السبعة والمسمى " الحجة في علل القراءات السبع "**، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني، راجعة ودققه: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق دار المأمون للتراث دمشق بيروت، 1993 م.

- طبعه وحققه علي النجدي، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح شلبي، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة [غير كاملة].

- طبعه وحققه عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، وأحمد عيسى حسن المعصراوي، دار الكتب العلمية، 2007 م.

2. **التعليقة على كتاب سيبويه**، تحقيق: عوض بن حمد القوزي، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1991 م.

3. **الإيضاح في النحو المسمى "الإيضاح العضدي"**، تحقيق: حسن الشاذلي فرهود، كلية الآداب، جامعة الرياض، سنة 1389 هـ. [كتاب ميسر في النحو ألفه لعضد الدولة ابن بويه].

- تحقيق ودراسة: كاظم بحر المرجان، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية 1996 م.

1- ينظر: المدارس النحوية 255، المدرسة البغدادية 279، 280.

2- ينظر: العبر 145/2، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم 324/14، 325، والنجوم الزاهرة 154/4، 155،

- تحقيق ودراسة: سارة عبد الفتاح، دار الكتب العلمية.

**** شروح الإيضاح:**

- **المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني**، تحقيق: صاحب أبو جناح، طبع ببغداد في وزارة الثقافة سنة 1982 م.
- تحقيق: كاظم بحر المرجان، والكتاب في أصله رسالة دكتوراه بكلية الآداب بجامعة القاهرة.
- **الكافي في الإفصاح عن مسائل الإيضاح، لابن أبي الربيع**، تحقيق: فيصل عبد السلام الحفيان، مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى 2001 م.
- **المصباح في شرح الإيضاح، للعكبري**، تحقيق ودراسة رسالة دكتوراه: للمفدى، ومحمد بن عبد الرحمن... وآخرين، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية.
- **الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح، لسليمان بن محمد الطراوى المالقي**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت، 1996 م.

***** شرح شواهد الإيضاح:**

- **شرح شواهد الإيضاح، لعبد الله بن بري**، تقديم وتحقيق: عبيد مصطفى درويش، مراجعة محمد مهدي علام، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1985 م.
- **إيضاح شواهد الإيضاح، للقيسي**، تحقيق: محمد بن محمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1987 م.
- **المفتاح في مواضع شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي**، تأليف: محمد عناد سليمان، دار الكتب العلمية، 2017 م.

4. التكملة، تحقيق: حسن شاذلي فرهود كلية الآداب، جامعة الرياض، [وهو تكملة لكتاب الإيضاح وعامة أبوابه في الصرف].

5. مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: حسين أحمد أبو عباس، كلية الآداب، جامعة الكويت، الطبعة الأولى 2010 م.

6. شرح الأبيات المشكلة الإعراب المسمى "إيضاح الشعر"، لأبي علي الفارسي، تحقيق: حسن هنداوي، نشر دار القلم دمشق، 1987 م.

- تحقيق وشرح: محمود محمد الطناجي، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الأولى 1988 م.

7. الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب، للفارقي، جامعة بنغازي، 1974 م.

8. الإغفال، وهو المسائل المصلحة من كتاب (معاني القرآن وإعرابه) لأبي إسحاق الزجاج، تصنيف: أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق وتعليق: عبد الله بن عمر بن الحاج إبراهيم، المجمع الثقافي 2003 م.

9. أقسام الأخبار، تحقيق: علي جابر المنصوري، مجلة المورد المجلد السابع العدد الثالث.

10. المسائل العضديات، تحقيق: علي بن جابر المنصوري، مكتبة النهضة العربية، بغداد، 1986 م.

- تحقيق: علي بن جابر المنصوري، عالم الكتب بيروت.

11. المسائل البغداديات المسمى "المسائل المشكلة"، تحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي مطبعة العاني بغداد، مطبعة الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية 1983م.

- طبعة أخرى تحقيق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، 2003 م.

12. المسائل البصريات، تحقيق: محمد الشاطر أحمد، مطبعة المدني القاهرة، الطبعة الأولى، 1405 هـ، 1985 م.

- وطبعه بتحقيقه المكتبة الأزهرية للتراث.

13. المسائل الشيرازيات، تحقيق: علي بن جابر المنصوري عالم الكتب بيروت.

- وطبعته بتحقيقه دار عمار.

- تحقيق: حسن هنداوي مطبعة كنوز اشبيليا الرياض، الطبعة الأولى، 2004 م.

- تحقيق: حسن بن موسى الشاعر، دار عالم الكتب الحديث.

14. المسائل الحلبيات، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم بدمشق، دار المنارة بيروت 1987 م.

15. المسائل العسكريات، تحقيق: محمد الشاطر أحمد، مطبعة المدني القاهرة، 1982 م.

- علي جابر المنصوري، جامعة بغداد، كلية الشريعة، الطبعة الثانية، 1982 م.

- صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مطبعة الجمهورية العراقية وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1983 م.

16. المسائل المنثورة، تحقيق: مصطفى الحدري، مجمع اللغة العربية دمشق.

- طبعة أخرى تحقيق: شريف بن عبد الكريم النجار، دار عمار، 2004 م.

17- المقصوروالممدود، تحقيق: حسن هنداوي، دار اشبيليا، الرياض.

ثانيا: الكتب المخطوطة:

ذكر لكارل بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي 190/3 - 194:

1. **إعراب القرآن:** نسخة في مصر (ولعله كتاب الحجة) رقم 934.
2. **الإفصاح عن كتاب الإيضاح، لمحمد بن يحيى الخضراوي** (المتوفى 646/ 1248) القاهرة ثاني 2: 78.
3. **الأوليات في النحو:** (بخط ابن الأفقه) في الخزانة الغروية رقم 1888.
4. **إيضاح شواهد الإيضاح للحسن بن عبد الله المقري** (المتوفى 567/ 1171) أسكوبال ثاني 45.
5. **البارع:** اللآلي للبكري 1: 401 س 4.
6. **التذكرة:** وهو تفسيرات لبعض أبيات عويصة موجود في زنجان (انظر: مجلة لغة العرب 6/ 92).
7. **جواهر النحو:** مشهد 12: 7، 19.
8. **شرح أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الله البناء المقرئ الحنبلي** (المتوفى 471/ 1078) بنكيبور 19: 2014.
9. **شرح الإيضاح لابن جني** (المتوفى 392/ 1001) شهيد علي باشا 930.

10. **شرح الإيضاح لأبي بكربن محمد بن عبد الرحمن المغربي الأندلسي الكافي**: مكتبة إسماعيل أفندي باستانبول (ZDMG 68, 385، رقم 2).
11. **شرح شواهد الإيضاح لعبد الله بن بري** (المتوفى 582/ 1187) القاهرة ثاني 2: 1، 28.
12. **شرح مجهول مؤلفه**، القاهرة ثاني 124، لالى 3170، (انظر: MFO V, 521).
13. **كتاب الشعر، أوكتاب العضدي:** رواه تلميذه ابن جني (المتوفى 528/ 1133) اسكوبال ثاني 1830.
14. **المسائل القصرية:** خزانة الأدب (انظر إقليد الخزانة 101).
15. **مقاصد ذوي الألباب في العمل بالاضطراب:** مكتبة قوله 2: 282.

ثالثا: الكتب المفقودة:

1. **أبيات الإعراب:** ذكر في الوافي بالوفيات 291/11، وبغية الوعاة 497/1، ومعجم الأدباء 814، وهدية العارفين 140/1.
2. **أبيات المعاني:** ذكر في الوافي بالوفيات 292/11، ومعجم الأدباء 814، وهدية العارفين 140/1.
3. **الإيضاح الشعري:** ذكر في كتاب معجم الأدباء 814، وهدية العارفين 140/1.
4. **الإيضاح في النحو:** ذكر في كتاب معجم الأدباء 814، وهدية العارفين 140/1.
5. **التتبع لكلام أبي علي الجبائي في التفسير**: ذكر في كتاب الوافي بالوفيات 292/11، معجم الأدباء 814، وهدية العارفين 140/1.
6. **الترجمة:** ذكر في كتاب الوافي بالوفيات 292/11، ومعجم الأدباء 814، وهدية العارفين 140/1.
7. **تفسيرقوله تعالى: (إذا قمتم إلى الصلاة):** ذكر في كتاب الوافي بالوفيات 292/11، معجم الأدباء 814، وهدية العارفين 140/1.
8. **شرح أبيات الإيضاح:** ذكر في كتاب الفهرست 95/1.

9. **العوامل المائة:** انباه الرواة 309/1، وشذرات الذهب 409/4، وهدية العارفين 140/1، وكشف الظنون 1179/2.

16. مختصر عوامل الإعراب: ذكر في كتاب الفهرست 95/1.

17. **المسائل الأهوازية:** ذكر في كتاب مختار تذكرة أبي علي الفارسي 20: "في الرياض نسبه إليه ابن سيده".

18. المسائل الدمشقية: ذكر في الوافي بالوفيات 292/11، ومعجم الأدباء 814.

19. المسائل الذهبية: ذكر في الوافي بالوفيات 292/11، وانباه الرواة 309/1.

20. المسائل الكرمانية: ذكر في الوافي بالوفيات 292/11، ذكر في انباه الرواة 309/1، وبغية الوعاة 497/1، ومعجم الأدباء 814، وهدية العارفين 140/1.

21. المسائل المجلسيات: ذكر في انباه الرواة 309/1، وشذرات الذهب 409/4.

22. المسائل المصلحة من كتاب ابن السراج: ذكر في الوافي بالوفيات 292/11، ومعجم الأدباء 814، وهدية العارفين 140/1.

23. نقض الهاذور: ذكر في الوافي بالوفيات 292/11، وانباه الرواة 309/1، ومعجم الأدباء 814.

فهرس المصادر والمراجع

1. آثار البلاد وأخبار العباد/ لزكريا محمد بن محمود القزويني/ دار صادر/ (د . ت). (د . ط)/ بيروت.
2. الامتاع والمؤانسة/ لأبي حيان التوحيدي/ اعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي/ دار إحياء التراث العربي/(د . ت). (د . ط)/ بيروت.
3. إنباه الرواة على أنباه النحاة/ للقفطي/ تح: محمد أبو الفضل إبراهيم/ مؤسسة الكتب الثقافية/ الطبعة الأولى 1986 م/ بيروت.
4. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة/ لجلال الدين السيوطي/ تح: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار الفكر/ الطبعة الثانية 1979 م.
5. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة/ للفيروز أبادي/ تح: محمد المصري/ جمعية إحياء التراث الإسلامي/ الطبعة الأولى (د . ت)/ الكويت.

6. تاريخ الأدب العربي/ لكارل بروكلمان/ نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار/ دار المعارف/ (د . ت). (د . ط)/ مصر.
7. تاريخ بغداد/ للخطيب البغدادي/ دار الكتب العلمية/ (د . ط) (د . ت)/ بيروت.
8. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس/ لمحمد بن فتوح الحميدي/ ترجمة وتحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى 1997 م/ بيروت.
9. سير أعلام النبلاء/ للذهبي/ تح: شعيب الأرنؤوط وآخر/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة التاسعة 1993 م/ بيروت.
10. شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ لابن عماد الحنبلي/ دار الكتب العلمية/ (د. ط) (د. ت)/ بيروت.
11. طبقات النحويين واللغويين/ للزبيدي الأندلسي/ تح: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار المعارف / الطبعة الثانية (د . ت)/ مصر.
12. العبر في خبر من غبر/ للذهبي/ تح: محمد السعيد بن بسيوني زغلول/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى 1985 م/ بيروت.
13. الفهرست/ لابن النديم/ دار المعرفة /(د . ط) 1978 م/ بيروت.
14. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/ لحاجي خليفة/ دار إحياء التراث العربي/ (د . ط) (د . ت)/ بيروت.
15. مختار تذكرة أبي علي الفارسي/ لابن جني/ تحقيق: محمد العرازي/ دار الكتب العلمية/ (د . ط) (د . ت).
16. المدارس النحوية/ لشوقي ضيف/ دار المعارف/ الطبعة السابعة (د . ت).
17. المدرسة البغدادية/ لمحمود حسني محمود/ مؤسسة الرسالة دار عمان/ الطبعة الأولى 1986م/ عمان.
18. معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"/ لياقوت الحموي الرّومي/ تح: إحسان عباس/ دار الغرب الإسلامي/ الطبعة الأولى 1993 م/ بيروت.
19. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية/ لعمر رضا كحالة/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الأولى 1993 م.
20. معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار/ للذهبي/ تح: بشار عواد معروف وآخر/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الأولى 1997 م/ بيروت.

21. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ لابن الجوزي/ دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر وعطا ومصطفى عبد القادر عطا/ راجعه وصححه: نعيم زرزور/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى 1992 م/ بيروت.
22. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ لابن تغرى بردي/ تح: محمد حسين شمس الدين/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى 1992 م/ بيروت.
23. نزهة الألباء في طبقات الأدباء/ لأبي البركات الأنباري/ تح: إبراهيم السامرائي/ مكتبة المنار/ الطبعة الثالثة 1985 م/ الأردن.
24. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة/ لمحمد الطنطاوي/ الطبعة الثانية (د . ت)/ دار المعارف/ القاهرة.
25. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين/ لإسماعيل باشا البغدادي/ دار إحياء التراث العربي/ (د . ط) 1951 م/ بيروت.
26. الوافي بالوفيات/ للصفدي/ تح: أحمد الأرناؤوط وآخر/ دار إحياء التراث العربي/ الطبعة الأولى 2000 م/ بيروت.
27. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ لابن خلكان/ تح: إحسان عباس/ دار صادر/ (د . ط) (د . ت)/ بيروت.

الآثار الاجتماعية والثقافية للانترنت على الشباب

دراسة ميدانية على طلبة جامعة طرابلس

د/ آمنة حسين مسعود الأزرق - عضو هيئة تدريس بجامعة الزيتونة - كلية الآداب - قسم علم الاجتماع

المقدمة

تعتبر شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) من أهم وسائل الاتصال، لما لها من أهمية واسعة في عملية الانتشار المعلوماتي، كما أنها إحدى متطلبات العصر الذي يعرف بعصر المعلومات، الذي تشكل فيه المعلومة مصدراً مهماً في إدراك الإنسان لما يحدث حوله. ولقد استطاعت شبكة الانترنت في سنوات قليلة أن تغير نمط الحياة العصرية، فهي تعد إحدى أهم موارد المعلومات في هذا العصر، وأكبر شبكة معلومات، وجزء هاماً في حياة الناس، وفي أنشطتهم اليومية بإعتبارها أكثر الوسائل الإعلامية السريعة في نشر المعرفة والمعلومات للأفراد والمجتمع، حيث يمكن لأي شخص متصل بالإنترنت أن يتجول في هذه الشبكة، وأن يحصل على جميع المعلومات من هذه الشبكة، وأن يتحدث مع شخص آخر من أي مكان في العالم.(غرايبة،2004 :172-173).

والإنترنت بوصفه أحد أبرز التقنيات في مجال شبكة المعلومات الدولية في العالم فقد احدث صيحة جديدة في حجم المعلومات المقدمة إلى الأنسان بكلفة أقل، ووقت أقصر، وإنجاز أكبر، وأصبح يتمتع بجاذبية عالية بين فئات المستخدمين نظراً إلى الخدمات التي ينتجها لهم مثل البريد الالكتروني، ونقل الملفات، والشبكة العنكبوتية، والأخبار، والتجارة الالكترونية، ونظراً للتغيرات الكبيرة التي يشهدها العالم في الوقت الراهن، فقد أصبح استخدام الانترنت في مجالات المعرفة المحتلفة من الأمور الأساسية لمواكبة هذه التطورات، وبخاصة في المجال التعليمي بكل أبعاده، سواء في الجانب الأكاديمي، أو الجانب التطبيقي للعملية التعليمية، لاسيما أن موتمر القوى المؤثرة في التعليم التكنولوجي الذي عقد في هيوستن بأمريكا 1999 ، قد أكد في توصياته على ضرورة إدخال الانترنت في قاعات المحاضرات، وتدريب أعضاء هيئة التدريس في الجامعات، والمعلمين في التعليم العام، على كيفية استخدام الانترنت في تصميم العملية التعليمية، وإعداد برامج تتناسب والتطور التكنولوجي.

وتقدم الانترنت للتعليم منافع عديدة وخدمات بحثية كبيرة، فمن خلالها يستطيع الطالب الدخول إلى المكتبات العالمية، والإطلاع على الناتج الفكري للعلماء والباحثين وهو في جامعته، فالإنترنت مستودع ضخم يحوي كتباً واوراقاً علمية وبيانات ومحاضرات وتسجيلات صوتية، مما يتيح

للمستخدمين كما هائلاً من المعرفة (منصور، 2004 :168). وعليه فإن هذه الدراسة تحاول الكشف عن اتجاهات الشباب الجامعي نحو استخدام الانترنت، وأهم الآثار الاجتماعية والثقافية المترتبة عنه.

مشكلة الدراسة:

إن التطور السريع للمعلوماتية يؤثر بشكل مباشر على الثقافات المختلفة وتعجز الدول أحيانا على مواجهة أبعاده وما يسببه من تغير في القيم والأخلاق والعادات والعلاقات الاجتماعية نتيجة لما يتعرض له الشباب الجامعي المستخدم (للانترنت) من المعلومات والمشاهد التي يصعب عليهم في الكثير من الأحيان التعامل معها ومع تكرار التعرض لمثل تلك المعلومات أو المشاهد تصبح مألوفة لديهم ويمكن أن يقبلوا بها حتى لو كانت بعيدة عن تقاليدهم وقيم مجتمعهم. ولقد شهد المجتمع الليبي في السنوات الأخيرة من التسعينات تطوراً هائلاً في شتى جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، وصاحب هذا التطور اتساع استخدام تقنية المعلومات والانترنت لدى شريحة كبيرة من أفراد المجتمع الليبي، وخاصة شريحة الشباب الجامعي، لما يتصف به في هذه المرحلة من مواكبة كل ما هو جديد ومتطور في تقنية المعلومات الانترنت، والذي قد تكون له بعض الانعكاسات السلبية نظراً لما هو موجود على هذه المواقع من مواد إباحية، وصور جنسية مثيرة تشجع على شيوع الرذيلة والإباحية في المجتمع، حيث تشكل هذه المواقع خطرا على فئة الشباب الجامعي، والتي قد تؤدي إلى تخليهم عن ثقافة مجتمعهم واستبدالها بثقافة وافدة لاتتلاءم مع واقعهم الاجتماعى وأنماطهم الحياتية، والتي يترتب عنها اضطراب اجتماعى وعدم استقرار فى العلاقات الاجتماعية وإضعاف الولاء للوطن، وإضعاف الروابط الأسرية وقيمتها الاجتماعية المتمثلة فى التنشئة الاجتماعية.

ومن هنا انبثقت مشكلة الدراسة فى محاولة للتعرف على االتأثيرات الاجتماعية والثقافية للأنترنت على الشباب .

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في التالي:

- تهتم الدراسة بشبكة المعلومات الدولية "الانترنت" للاستفادة من إيجابياتها ومواجهة ما يترتب على استخدامها من سلبيات يمكن أن تؤثر في ثقافة الشباب وتغير من سلوكهم واتجاهاتهم.

- تتيح شبكة المعلومات الدولية دخول ثقافات مختلفة قد تصبح ذات تأثير في الشباب لذلك ينبغي التعرف على سلبياتها لمعالجتها وإيجابياتها لدعمها.
- اهتمام أغلب الشـــباب بمواكبة التطور والتعرف على كل ما هو جديد في تقنية المعلومات، الأمر الذي يؤدي إلى ضـرورة معرفة أهم الآثار الاجتماعية والثقافية المترتبة على اسـتخدام الشـبكة ومجاولة الحد من سلبياتها.
- الاهتمام الخاص بأهمية فئة الشـباب في المجتمع الليبي ومعرفة أسـباب الإقبال المتزايد للشـباب لاستخدام شبكة المعلومات الدولية من أجل الإرتقاء بهذه الفئة.

أهداف الدراسة:

1- التعرف على أسباب استخدام الشباب الجامعي للانترنت.

2- معرفة نوعية المواقع التي يفضلها الشباب مستخدمي الإنترنت.

3- التعرف على الأساليب التي يمكن بمقتضاها تجنيب الطالب الجامعي من الانعكاسات السلبية للانترنت.

4- التعرف على مدى مواكبة الشـباب الجامعي لوسـائل الاتصـال الحديثة، وقدرتهم على التعامل معها والاستفادة منها.

5- محاولة الكشف عن الآثار الاجتماعية المترتبة على استخدام الشباب للانترنت.

تساؤلات الدراسة:

1- لماذا يقبل الشباب الجامعي على استخدام الانترنت؟

2- ما هي نوعية المواقع التي يفضلها الشباب الجامعي؟

3- ما هي الأساليب التي يمكن بمقتضاها تجنيب الطالب الجامعي الانعكاسات السلبية للانترنت؟

مفاهيم الدراسة

شبكة المعلومات الدولية: هي مجموعة من الشـبكات المتصلة معاً، بحيث تتألف هذه الشـــبكة من مجموعة من المراكز الموزعة في العالم وتنظم عملية الاتصـــال بين هذه المراكز بطرق اتصـــالات متعددة، وذلك بإســـتخدام التليفون أو باســـتخدام الأقمار الصـــناعية لربط المراكز المتباعدة. (عبد الكريم، الشنوان، 1996 : 126).

الانترنت: عبارة عن شبكة اتصالات تربط بين الحواسيب الآلية، أما عن طريق وصلات كابلية، أو بواسطة الأقمار الصناعية، معتمدة في ذلك على بروتوكولات الاتصالات التي تنظم عملية نقل المعلومات والبيانات واستقبالها بين هذه الحواسيب، سواء كانت فردية أو شبكات محلية أو اقليمية.(الشامي،2004 :159).

الثقافة: هي ما يسود المجتمع من مشاعر وأحاسيس وانفعالات وكذلك ما يتكون فيه من أراء وأفكار وتقاليد وعادات واتجاهات ومعتقدات وفلسفات بالإضافة إلى مايظهر فيه من بحوث ودراسات واختراعات تشكل كلها فى مجموعها أنشطة حركية متفاعلة مع بعضها يدور فى فلكها ويرتبط فيها كل فرد يعيش فى هذا المجتمع مما يجعله يتأثر بها حيث تنعكس على سلوكياته بصورة عامة فى كل موقف من المواقف الاجتماعية التي يمر بها و يتعرض لها فى حياته اليومية (عمر،1988 :96).

مفهوم الشباب:

مرحلة الشباب بأنها الفئة التي تمتد من سن (12–25) عاما بالنسبة للغالبية من أبناء المدن الذين ساروا سيراً طبعياً في نموهم وتعليمهم . (الشيباني،1973 :39). وبذلك فإن مفهوم الشباب في هذه الدراسة يعني:- " الأفراد الذين هم من (17– 25) عاماً، وهم الذين يجتمعون داخل نطاق الجامعة طلاباً نظاميين".

الإطار النظري:-

الدراسات السابقة

دراسة نجاة إبراهيم صوان (2004) بعنوان مجتمع الإنترنت في ليبيا .

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الخصائص الديمرغرافية والاجتماعية والثقافية لمستخدمي الإنترنت في ليبيا، وعلى الأبعاد الاجتماعية للإنترنت في المجتمع المعاصر من خلال تباين اختيار المضمون الإعلامى، وقد إجريت هذه الدراسة على مقاهي الإنترنت في مدنية الزاوية، وتم اختيار العينة عشوائياً واستخدمت استمارة الاستبيان لجمع البيانات.

وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

- أظهرت نتائج الدراسة أن أغلب أعضاء مجتمع الإنترنت هم من فئة الشباب ومن مستويات جامعية، وحالتهم الاجتماعية عزاب.

- كشـفت الدراسـة أن هناك بعض السـلبيات التي يؤديها اسـتخدام الانترنت كإقبال بعض مستخدمي الانترنت على مشاهدة المواقع الإباحية.

- أظهرت الدراسـة بعض إيجابيات الإنترنت مثل الاعتماد على الإنترنت في القيام بالبحوث، وتعلم برامج الكميبوتر، وتصميم الصفحات والمواقع، وتعلم اللغة الانجليزية وزيادة الثقافة العامة.

دراسة يعقوب يوسف الكندري وحمودة فهد القشعان (2005) بعنوان علاقة استخدام شبكة الانترنت بالعزلة الاجتماعية لدى طلاب جامعة الكويت

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة التأثيرات الاجتماعية المترتبة على استخدام الانترنت على الشباب الكويتي، وتكونت عينة الدراسة من (597) طالبا، واستخدمت استمارة الاستبيان لجمع البيانات.

نتائج الدراسة:-

- أشـارت نتائج الدراسـة إلى وجود علاقة إيجابية بين العزلة الاجتماعية ومتوسـط عدد السـاعات التي يقضيها الشخص على الانترنت.

- أن العزلة الاجتماعية تؤثر على جهاز المناعة الخاص بالإنسـان والتي ترتبط بحدوث أمراض صحية.

- أوضحت النتائج تكوين علاقات غير شرعية عبر الانترنت من خلال الدردشة.

دراسة National school boards foundation بعنوان (البحث في استخدام الأطفال للإنترنت وقواعده الإرشادية 2002).

تهدف هذه الدراسـة إلى التعرف على مدى اسـتخدام الأطفال للإنترنت بامريكا، وتكونت عينة الدراسة من (1700) واستخدمت استمارة الاستبيان لجمع البيانات.

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:-

- أن نسـبة (61 %) من أفراد العينة يجيدون اسـتخدام الانترنت إجادة تامة، وأن اسـتخدام الإنترنت بين الأطفال يزيد بزيادة السن.

- أن الإنترنت جعلت اتجاهات الأطفال إيجابية نحو المدرسة.

- أثرت الإنترنت على الوقت الذي يمضيه الطفل الأمريكي في مشاهدة التلفزيون لكنها لم تؤثر على باقي الأنشطة الاجتماعية داخل وخارج المنزل، بل فتحت مجالاً لعلاقات اجتماعية أكثر واعمق من خلال الدردشة والبريد الإلكتروني.

النظريات المفسرة للدراسة:-

1- نظرية الانتشار الثقافي: إن التطور غيرالمتساوي وغير المنتظم للمجتمعات الإنسانية، هو واقعة تاريخية، ومنه تنبع ظاهرة مهمة يطلق عليها (الانتشار الثقافى)، أوعملية تبادل العناصر بين المجتمعات المختلفة، ففى عملية (الانتشار الثقافي) التي تبدأ من المجتمعات الأكثر تطوراً وتنتقل إلى المجتمعات الأقل من حيث درجة التطور الاجتماعي، تتداخل وتتموج عناصر ومركبات منقولة من الثقافات العالمية مع العناصر والمركبات الداخلية للثقافة المحلية، مما يساعد على استمرار عملية تغير هذه المجتمعات. ويتم الانتشار الثقافي بطرق مختلفة، فهو يمكن أن يتم عن طريق الاتصال بين الأفراد من خلال التبادل التجاري، أو من خلال وسائل الاتصال والمواصلات، وفي عملية الانتشار الثقافي فإن العناصر المادية للثقافة تنتقل في العادة أسرع من العناصر غير المادية.(حسنين،2002 :214-215).

ويشير مفهوم الانتشار إلى العملية التي بوساطتها تنتشر بعض عناصر أو أنساق الثقافة أو أي اختراع أو نظام جديد من مكانه الأصلي أو المكان المتبنى به إلى المناطق المجاورة او الملاصقة لها، إلى أن ينتشر أو يتبنى في العالم كله مع ملاحظة أن العالم أصبح قرية صغيرة (متلاصقة)، وتكمن خطورة ذلك في تأثير الحضارة الثقافية الأقوى في الحضارات والثقافات الأضعف. حيث إن ما يحدث في أقصى الكرة الأرضية يمكن أن يصل إلى الإنسان خلال دقائق.

وتعد شبكة المعلومات الدولية المولود الجديد للتكنولوجيا الاتصالية، وهى وسيلة وأداة في الانتشار الثقافي بشكل كبير لأنها ذات شمولية وسرعة وعالمية في استخدامها، كما لها القدرة على تحويل الخيال إلى واقع، أو الشر إلى خير، أو الخير إلى شر مثل المواقع التى تشوه الثقافة العربية، حيث أصبحت الشبكة العصب الحيوي الذي يتنفس منه العالم كافة أفكاره وتحركاته وفعالياته. (عمر،2008 :49). كما أنها قلصت التكاليف ووفرت الوقت والجهد وحطمت حاجز الملكية لوسائل الانتشار المختلفة التقليدية سواء عن طريق الاحتكاك المباشر أو غير المباشر، وأصبحت مشاعة للجميع.

إن فئة الشـباب تحتاج إلى قيم العمل والتماسـك الاجتماعى والتضحية وبناء القدرة على تحمل المشـاق، بينما نجد الكثير من هذه المواد المنتشـرة بشـكل كبير على الشـبكة ترتكز وتوحي بقيم الاسـتهلاك والتحرر والتحلل الاجتماعى من الروابط والقيم الاجتماعية التقليدية، والتحرر من العلاقات الجنسـية، أي أنها تصـور حياة سـهلة جميلة يرغبها الشـباب، ولكن واقعه الاجتماعي والثقافي يتعارض معها، ومن هنا قد يقع الشـباب في حيرة وصـراع نفسـي اجتماعي بين ما يراه ويسمعه على شبكة المعلومات الدولية، وبين ما يعيشه أويجده بجواره في حياته اليومية وهذا قد يقود إلى (التحرر) بمفهومه السـلبي من السـلطة والأسـرة والمجتمع بأسـره، وقد ينتهي به الإحباط النفسـي المتولد عن هذا الصـراع إلى مختلف أشـكال الانحراف الاجتماعى والجريمة، وهذا واقع بعض شـبابنا اليوم الذى يهرب إلى تعاطي المخدرات والجريمة والانحراف أو التطرف الفكري أو التمرد على المجتمع والأسرة والثقافة. (الحوات،1993 :72).

2- نظرية التحديث الاجتماعي:-

تعتبر نظرية التحديث الاجتماعي من النظريات الجديدة التي دخلت العلوم الاجتماعية وخاصـة علم الاجتماع بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن لهذه النظرية بدايات تاريخية لا يمكن تجاهلها لدى مفكري اليونان والعرب، إلا إن أعمالهم وتصوراتهم يمكن اعتبارها أفكار طوبائية أو ما ينبغي أن يكون لتغيير أحوال المجتمع الإنسـاني وإدخال تجديد عليه (الحوات،1998 :230). والتحديث نوع من أنواع التغير الاجتماعي وأحد العوامل التي تؤدي إلى التنمية، وهو عملية شـاملة تؤثر فيها قوى خارجية وداخلية، مادية وثقافية متفاعلية، ويرتبط مفهوم التحديث أساساً بالتغير والتنمية، فهو يشـير إلى المرحلة التي تحول فيها المجتمع من حالة معينة إلى حالة مختلفة يفترض فيها أن المجتمع يسـير نحو الأفضـل(الدقس،1996: 168). كما أن التحديث حسـب النظرية يعبر على التغير في الأداء الوظيفي للفرد، أي أن التغير في عناصر البناء الاجتماعي هو الذي يؤدي إلى تغيير في قيم وشخصـية الشـباب، فزيادة اسـتخدام الشـباب لشـبكة الانترنت يسـاهم في اكتسـابهم قيم واتجاهات حديثة وفي تعميمهم للسـلوك بطريقة تتفق مع الأنسـان العصـري. أن الانترنت بوصـفه وسـيلة اتصـال حديثة أصبحت من أهم أدوات التنشـئة الحديثة التي يكتسـب من خلالها الشـباب مجموعة من القيم الإنسـانية اللازمة لبناء الشخصـية وتحديد اتجاهاته الحياتية، حيث أصبحت شـبكة الانترنت سـاحة للتفاعلات والتجاذبات بين القيم الموجودة في المجتمع والقيم الجديدة التي ظهرت نتيجة لظهور أشكال ومنافد جديدة للتواصل بين الشباب على شبكة الانترنت منها المواقع

وجماعات الدردشة والمحادثة وغيرها من الخدمات الآخرى الموجودة على شبكة الانترنت والتي تساهم في تغيير قيم وشخصية الشباب.

وتساعد شبكة الانترنت باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكات ووسائط متعددة وصوت وصورة وإشكال وخرائط وآليات بحث ومكتبات الكترونية في إيصال المعلومات للمتعلم في أقصر وقت وبأقل جهد وأكثر فائدة. كما تمكنه من نقل وتبادل المعلومات بينه وبين زملائه ومعلميه، ونشر ابحاته، والحصول على المعلومات المطلوبة من المكتبات العامة أو من مراكز المعلومات بسرعة كبيرة بالمقارنة بالطرق التقليدية، كما تساعده في التعليم عن بعد.

مفهوم شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

تعني الانترنت لغويا: ترابط بين الشبكات، وبعبارة آخرى شبكة الشبكات، حيث تتكون الانترنت من عدد كبير من شبكات الحاسب المترابطة والمتناثرة في أنحاء العالم، ويحكم ترابط تلك الأجهزة وتحادثها برتوكول موحد يسمى بروتوكول تراسل الانترنت (الفنتوخ،1998 :11).

وتم تعريفها في الكتاب الصادر عن برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة: "بأنها شبكة اتصالات دولية، تتألف من مجموعة من شبكات الحواسيب، تربط أكثر من (35) ألف شبكة، ومن مختلف شبكات الحاسوب في العالم، وهناك أكثر من (100) دولة في العالم لديها نوع ما من الارتباط وإمكانية الوصول إلى الشبكة (الدناني،2003 :33).

كما عرفت بأنها: شبكة عالمية من الحاسبات الآلية (Computers)، وتحتوي على شبكات منفصلة، موصلة بعضها مع بعض في العالم، مما يعطي لكل مستعمل للإنترنت القدرة على الاتصال بالآلات البعيدة عن بعضها، والشبكات المحلية البعيدة أيضاً، والاتصال بالحاسوب في أي مكان في العالم (الزيدي،2003 :112).

- **تطور الإنترنت:** ظهرت فكرة إنشاء شبكة الانترنت في الستينات خلال فترة الحرب الباردة في ظل السباق نحو التسليح العسكري بين أمريكا والاتحاد السوفيتي، خصوصاً بعد اطلاق الأخير القمر الصناعي "سبوتيك" 1957، وما كان رد الولايات المتحدة إلا بتأسيس وكالة مشروع الأبحاث المتطورة بتمويل من وزارة الدفاع الا مريكية (سلامة،2002 :127)، وفي عام 1964 تمكن العالم الامريكي بول باران Pool Baran من تصميم شبكة تعتمد على الإدارة المركزية لجهاز رئيسي، وبدات الانترنت عام 1996 تحت أسم " اربانت Arpente " في الولايات المتحدة الامريكية، كشبكة تابعة لوزارة الدفاع، والتي صممت من أجل دعم البحوث العسكرية، وقد روعي في تصميمها ضمان

اســتمراريتها في القيام بأعمالها الرئيســية، حتى في حال تعطل بعض أجزائها، وقد انعكســت هذه المرونة في بنية الشــبكة، من خلال بروتوكولات والتي تصــف طريقة تحزيم وتراســل المعلومات المشــفرة رقمياً في المســارات المتاحة عبر الشــبكة (الحيلة،2002 :352). وفي عام (1972)، عقد المؤتمرالدولي لاتصــالات الحاســوب بمدينة واشــنطن، وناقش المؤتمر الذي حضــره ممثلون من مختلف أنحاء العالم، اتفاقية حول بروتوكول الاتصــال بين الشــبكات المختلفة للحاســوب، وتم اختيار رئيساً للمجموعة التنفيدية للشبكة الدولية (internet work)، وثم تكليفها بوضع بروتوكول ويمكن اســتخدامه للاتصــال بأية شــبكة في العالم، وهذه البروتوكلات طورت نظم الاتصــالات الخاص بالإنترنت وشكلت أولى توسعاتها العالمية خارج نطاق الولايات المتحدة الأمريكية بانضمام جامعة لندن بانجلترا، والمؤسسة الملكية بالنرويج في أوائل السبعينيات وسمي هذا النشاط وقتها بمشــروع ربط الشــبكات، وفي عام(1973) ، بدأت البحوث في إعداد بروتوكول مقنن لنقل البيانات الهدف منه السماح لأجهزة الحواسب العاملة في مواقع الشبكة من الاتصال والتخاطب بعضها مع بعض، واستخدم في عام (1974) ، لأول مرة مصطلح (الإنترنت) من قبل العالمين "فينتون سيرف، وبوب خان" وتم تكريمهما باعتبارهما قد اخترعا الإنترنت. وفي نهاية ســنة (1980) ، أخذت الشــبكة في التوســع، حيث التصــق بها الكثير من الجامعات والشــركات في العالم أجمع. (المســلاتي،2010 ،56). وفي عام (1983) شهدت الشبكة زيادة في عدد مستخدميها من الأوساط الجامعية المدنية فأضطر البنتاغون إلى عزل القسم العسكري منها عن بقية الشبكة. هذا وكانت جمهورية تونس أول دولة عربية ترتبط بالشبكة عام (1991) تلها الكويت (1993) ثم مصر والامارات ولبنان والمغرب وغيرها.

- **أهمية الانترنت:**- لقد اســتقطب الانترنت ملايين المســتخدمين عبر العالم، بســبب تدفق المعلومات وسرعة الحصول عليها، وتنوعها وحرية الأفراد في المشاركة في عملية الاتصال، حيث يساعد الانترنت الأشخاص على التعارف وتبادل المعلومات والمنافع والمستندات والملفات بين المؤسسات والمصانع والشركات والأفراد، مما يساهم في تقليل التكلفة المادية لهم، وذلك لأن كل مستند أو ملف مرتبط بشبكة الانترنت يمكن تبادله مع حاسب آخر مرتبط بالشبكة، كما يساعد على عقد الندوات كتابياً وصوتياً ومرئياً من خلال شبكة الاتصالات المرتبطة بالانترنت كما يزيل الفوارق والحدود، ويمزج بين الثقافات. كما أن إدخال الانترنت في ميدان التعليم جعلها وســيلة إيضــاح تعليمية، تتضــمن كل ما ينشــده المدرس والطالب في قاعة الدرس الحقيقية من خلال المحاكاة، كأن يســتخدم طلاب الكيمياء مختبر افتراضــي يحاكون من خلاله التجربة الحقيقية.

(اليحياوي، 2002 :32). كما يساعد الانترنت في الاستفادة من الرسائل العلمية والكتب والمعلومات الخاصة بالعلوم التي لا يتيسر للإنسان وجودها في المكتبات العامة بسهولة، ونقل التكنولوجيا للمجتمعات المتطلعة لمزيد من التطور والتعليم والتعلم عن بعد، ومشاهدة الأفلام والأحداث العالمية فور حدوثها وبتفاصيل أوفى من تلك التي يقدمها الراديو و التليفزيون والصحف.

- استخدام الإنترنت في ليبيا:

دخلت شبكة الإنترنت في ليبيا عام (1998)، وبدأت بتزويد خدماتها شركة ليبيا للاتصالات التقنية، وبسرعة 200 mbps ميغابيت/ثانية، وسرعان ما انتشرت خدماتها على نطاق واسع، وخاصة حوالي سنة (2000)، كما ازداد التزويد بخدمة الإنترنت من قبل عدة شركات والجهات العامة التي لا تتعدى سرعتها mb 2/ ثانية في بداية الأمر، وهي: الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، المؤسسة الوطنية للنفط، الشركة العامة للاتصالات، مركز البحوث التقنية، جهاز تنمية الصادرات. وقد تزايد عدد مستخدمي الإنترنت في السنوات الأخيرة بشكل ملحوظ حتى فاق (2000.000) مليون مستخدم، والحقيقة أن هناك نمواً إيجابياً في استخدام الإنترنت في ليبيا على مختلف المستويات، وعلى سبيل المثال لا الحصر، منذ السنوات الأولى لهذا القرن بلغ العدد الإجمالي لمواقع الويب 116 موقعاً الكترونياً في سنة (2001)، وبلغ عدد صناديق البريد الإلكتروني(1000.000) في السنة نفسها، وتوجد حالياً لجنة عامة تشرف على الإنترنت في ليبيا وهي اللجنة العليا للإنترنت، رمز البلد للإنترنت هو(LY).

لقد بدأ الاهتمام بالإعداد لهذه المرحلة المعلوماتية من التطور المجتمعي الليبي بشكل لافت للنظر منذ سنة (1996)، حيث فتحت الكثير من المعاهد والمراكز التعليمية للتخصص في مجال تكنولوجيا المعلومات بمختلف فروعها، وإرسال البعثات إلى الخارج مثل اليابان وبريطانيا وإيطاليا وفرنسا وماليزيا...، وتمت الإستفادة من خدمات الخبراء المعنيين بالتكنولوجيا المعلوماتية والإلكترونات من عدد من الدول المتقدمة، وتم استخدام أكثر من (230) خبيراً، وإرسال بعثات طلابية متخصصة لأكثر من (5000) متدرب إلى الدول المتقدمة لدراسة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، هذا وقد رجع معظم هؤلاء للمشاركة في تنمية البلاد في مختلف المؤسسات بالقطاعات المختلفة. كما أجريت المئات من ورش العمل والتدريب في المدارس والجامعات الليبية، مما جعل الاستثمار يتضاعف في هذا المجال عدة مرات ليصل إلى معدل نمو حوالي أربعة أضعاف، فضلا عن إنشاء عدد كبير من المواقع والصفحات الإلكترونية لمختلف قطاعات التنمية

الاقتصـادية العامة والخاصـة، والإعلام والصـحافة والنفط، إلى جانب الصـفحات الإلكترونية الخاصـة بالمنظمات الخاصـة والجماعات والأفراد، وقلما توجد في ليبيا حالياً مؤسـسـة اعتبارية ليس لديها صفحة إلكترونية على شبكة المعلومات الدولية.

أن المسـتوى المنخفض في اسـتخدام الإنترنت في الاتحاد المغاربي بشـكل خاص له علاقة مباشـرة بالبنية التحتية الاتصـالية وأجهزة الحواسـب المسـتخدمة في الإنترنت، فضـلاً عن العوامل الأخرى من تعليم وثقافة واقتصاد واجتماع، وما إلى ذلك. (المسلاتي،2010: 55-58).

- الآثار السلبية والايجابية لشبكة المعلومات الدولية:-

أولاً : الآثار السلبية:-

- الغزو الثقافي حيث أنه يقوم على أسـاس تشـويه ومسـح الشـخصـية العربية وإشـعار الشـباب بالاغتراب وعدم الرضا والرفض للمجتمع وثقافته.

- انخفاض مهارات التواصل مع الآخرين والشعور بالعزلة.

- انتهاك الخصـوصـية من خلال تسـلل بعض مسـتخدمي الشـبكة لسـرقة البيانات والمعلومات الخاصة بالأفراد والمؤسسات، وتجارة الأطفال لأغراض الجنس والدعارة،

- بث الأفكار والأخبار الكاذبة عن الديانات السماوية من قبل المغرضين مرجع

- وجود مواقع موجهة للشباب تروج للدعارة والعلاقات العاطفية المشبوهة بإستخدام الصور.

- تهديد القيم والمعتقدات الدينية والقيم الاجتماعية وتغيرها وإحلال محلها القيم الثقافية الاستهلاكية والشبابية،

- خلق تطلعات لدى الشباب قد يعتبرها الشباب أساسية وقد يفشلون في تحقيقها، مما يؤدي إلى ظهور الكثير من الأمراض النفسية والاجتماعية.

- ضـعف الولاء للأسـرة واتسـاع الفجوة بين الأجيال (الآباء والأبناء) والثقافة باللغات الاجنبية واحترام الأجانب والشعور بالنقص.

- يؤدي الاسـتخدام المفرط للشـبكة إلى الهروب من مشـكلات الحياة الحقيقية التي يعجز المدمن على مواجهتها.

- يلجأ المستخدم إلى النوم العميق لفترة طويلة بعد التعب الشديد من استخدام الشبكة، وظهور آثار اضطرابات نفسية كالارتعاش وتحربك الأصابع بصورة مستمرة والقلق والتفكير المفرط في الشبكة وما يحدث فيها، والشعور بالعزلة والاكتئاب.

- تعليم السحر عبر الانترنت:- هناك بعض المواقع المتخصصة في تعليم السحر الأسود، وهذه المواقع تكون في البداية على هيئة لعبة مسلية يستطيع أي شخص الاستمتاع بها ثم تجربتها مع أصدقائه، ولكن هذه المواقع في الأصل تحاول اجتذاب أكبر عدد ممكن من الشباب لمواقع السحر، حيث ترسل مواقع السحر إلى كل زائر إليها البريد الألكتروني توضح لهم كيفية الاشتراك في هذه المواقع، وتسجل البيانات الشخصية، ثم بعد ذلك تتبع التعليمات حتى ينتهي الأمر إلى الدخول إلى اللعبة الألكترونية الخاصة بالسحر، والتي تتطلب من مشتركيها القيام بأشياء غريبة ومحرمة. (إسماعيل، 2001، :327.).

- الألعاب الألكترونية الموجودة عبر شبكة الانترنت والتي تتميز بالعنف واستخدام الأسلحة الحادة والقاتلة مثل السكاكين والبنادق والمسدسات وغيرها، والتي تؤثر سلباً على سلوك الشباب.

ثانياً: الآثار الإيجابية:

- الإنترنت مكتبة للأفراد من ضمن ما تحتويه من الكتب المتنوعة وفي مختلف العلوم والآداب، يمكن قراءتها وطباعتها أو نسخها بأكملها على الحاسب الشخصي، وهذا يمنح كل شخص فرصة استخدام الشبكة كمكتبة شخصية له يستطيع من خلالها الاطلاع على الموضوعات التي يرغب فيها.

- سرعة وصول المعلومات إلى الجماهير وكذلك زيادة تطور البحث العلمي وتسهيل الاتصال بين العلماء، وتعد خدمة البريد الإلكتروني من أكثر الخدمات استعمالاً في شبكة الإنترنت وهي خدمة تسمح بإرسال واستقبال رسائل عن طريق هذا البريد متضمنة قيمة تحقق الفائدة.

- زيادة وسائل الترفيه والتسلية، وذلك لشغل اوقات الفراغ.

- تعتبر حقيبة معلومات شخصية متنقلة مع الفرد المستخدم، حيث إن كل شخص قادر على بناء موقع يتضمن الموضوعات والمعلومات التي يريدها لأنه قادر على الوصول إلى هذا الموقع من أي مكان فى العالم.

- تسمح الشبكة المعلوماتية بإظهار المعلومات بأشكال مختلفة أي بوسائط عديدة نصوص - صور - رسومات - صوت حيث يقوم الفرد بتوظيفها في المجالات التي يسعى إليها وفي الوقت نفسه تدعم هذه المجالات.

- زيادة التجارة الإلكترونية بين دول العالم، وعقد الصفقات التجارية والتعرف على أخبار البورصة، وإجراء مكالمات هاتفية إلى مختلف أنحاء العالم، تكوين صداقات متعددة

- تمكن الشباب من البحث عن الموضوعات المهمة التي تخدم دراستهم في كافة المجالات بسرعة وبتكلفة قليلة جداً، والتعرف على كل جديد وتنمية مهاراتهم وهواياتهم، وكذلك يمكنهم الالتحاق بإحدى الجامعات التي تقدم خدمة التعليم عن بعد.(ضابات،عبد العظيم،2001 :530).

الإجراءات المنهجية للدراسة:-

أولاً: نوع الدراسة

نظراً لطبيعة الدراسة المتمثلة في أسباب استخدام الشباب الجامعي للإنترنت، ونوع المواقع التي يفضلها الشباب من مستخدمي الإنترنت، وما تتطلبه من تجميع للبيانات والحقائق من الواقع، وعرضها ومناقشتها وتفسيرها، لاستخلاص دلالاتها، فقد اتبع في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والذي يعد أحد الوسائل العلمية التي يستعملها الباحث للحصول على معلومات معينة، عن طريق وصف وتحليل ظاهرة أو وحدة محددة.

ثانياً: منهج الدراسة

بما أن هذه الدراسة من الدراسات الوصفية، فقد اعتمدت على المنهج الوصفي باستخدام المسح الاجتماعي بأسلوب العينة العشوائية المنتظمة، وذلك باستخدام استمارات البحث، لتوفير المعلومات حول الانترنت وانعكاساته على ثقافة الشباب .

ثالثاً: مجالات الدراسة

تتضمن مجالات الدراسة ثلاثة مجالات تتمثل في المجال البشري، والمجال المكاني، والمجال الزمني. ويمكن عرضها فيما يلي:

1- **المجال البشري**: ويتمثل المجال البشري للدراسة في الطلبة الليبيين بكلية العلوم بجامعة طرابلس.

2- المجال المكاني: وهو الرقعة الجغرافية التي يوجد بها مجتمع البحث، وقد اختير لإجراء هذه الدراسة كلية العلوم بجامعة طرابلس، والتي تعد من أعرق الجامعات الليبية مساحة ومكانة أكاديمية وإمكانيات علمية ومادية،

المجال الزمني: ويتمثل في الفترة التي تم فيها جمع البيانات المتعلقة بالدراسة الميدانية من مجتمع البحث، وقد استغرقت الفترة من 6/ 3 / 2018 إلى 23/ 3/ 2018 .

رابعاً: عينة الدراسة وطريقة اختيارها

بما أن موضوع الدراسة يتعلق بمعرفة مدى تأثير الانترنت على الشباب الليبي، فقد تم اختيار الطلبة الليبيين بكلية العلوم بجامعة طرابلس، لأنهم الفئة التي يمكن من خلالها لمس التأثيرات الاجتماعية والثقافية للانترنت على الشباب الليبي، وقد تم اختيار هذه الفئة من طلاب وطالبات كلية العلوم والبالغ عددهم (2309) موزعين على أربع عشر قسماً. وقد تم تحديد حجم العينة بنسبة (12 %) من حجم مجتمع الدراسة. وبذلك تكونت عينة البحث من (236) مفردة على اعتبار أن هذا الحجم مناسب لدراسة موضوع البحث، ويمكن الباحثة من الإجابة على تساؤلات الدراسة، والجدول التالي يبين عدد طلبة كلية العلوم وعدد المستخدمين وعينة الدراسة:

جدول (1) يبين إحصائية عدد طلبة كلية العلوم وعدد المستخدمين وعينة الدراسة

ر.م	القسم	عدد الطلبة	عدد المستخدمين	عينة الدراسة	النسبة المئوية %
1	كيمياء	308	258	31	% 30.9
2	علوم الرياضة	38	29	3	% 3.4
3	الجيولوجيا	125	104	13	% 12.4
4	علوم حياة	308	228	27	% 27.3
5	علوم طبيعية	134	112	14	% 13.4
6	علم حيوان	92	62	8	% 7.4
7	الرياضيات	44	44	5	% 5.2
8	الجيوفيزياء	158	143	17	% 17.1

9	علم النبات	288	235	28	% 28.2
10	الغلاف الجوي	64	53	6	% 6.3
11	الحاسب الآلي	109	109	13	% 13
12	علوم الأرض	332	287	35	% 34.4
13	فيزياء	144	161	19	% 19.3
14	الإحصاء	165	138	17	% 16.5
	المجموع	2309	1963	236	

خامساً: أدوات جمع البيانات

تم الاعتماد في هذه الدراسة على " استمارة الاستبيان" كأداة رئيسة للحصول على المعلومات والبيانات المطلوبة، باعتبارها أفضل وسيلة لجمع المعلومات حول آراء واتجاهات المبحوثين ولما تتسم به من سهولة في تبويبها وتحليلها وذلك بالإجابة على تساؤلات الدراسة، وقد اشتملت الاستبانة على ما يأتي: احتوت الأداة في صورتها الأولية على (63) بند موزعة على البيانات الأولية لمجتمع الدراسة ومحاورالدراسة، وقد تم تعديل وإعادة صياغة وحذف بعض البنود، بعد عرضها على لجنة من المحكمين، حيث أصبحت الأداة مكونة من (51) بنداً.

أ) البيانات الأولية للمبحوثين: شملت الدراسة المعلومات الديموجرافية كالسن والجنس وغيرها من المعلومات ذات الصلة.

ب) المحورالأول: ويشمل البيانات المرتبطة بمستخدم الانترنت.

ج) المحورالثاني: واشتمل على الانعكاسات السلبية لاستخدام الانترنت.

د) المحورالثالث: واشتمل على الانعكاسات الايجابية لاستخدام الانترنت.

وبما أن التحكيم من العناصر المهمة في بناء صحيفة الاستبيان، فإن الباحثة قد عرضت صحيفة الاستبيان في صورتها المبدئية على مجموعة من الخبراء والمختصين الذين لهم خبرة واسعة في مجال البحث العلمي في ميدان علم الاجتماع، بغية التأكد من صلاحية الصحيفة قبل التطبيق، ومعرفة مواطن الضعف فيها، ولقد استفادت الباحثة من جميع الملاحظات التي

أبداها المحكمون وقامت بإعادة صياغتها بناءً على ملاحظاتهم واقتراحاتهم سواء من حيث الصياغة، أو ترتيب طرح الأسئلة، كما تم إدخال عدة أسئلة جديدة وإلغاء أخرى ثبت عدم جدواها في البحث وعدم إعطائها المردود المطلوب منها، ومن ثم تم عرضها عليهم للمرة الثانية، وقد أجمعوا على صلاحيتها للتطبيق الميداني، وتم وضعها في صورتها النهائية.

سادساً: خطوات التحليل الإحصائي

بعد الانتهاء من مرحلة جمع البيانات والمعلومات من خلال استمارة الاستبيان، بذات عملية تحليل البيانات ومعالجتها إحصائياً باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS)، حيث بدأت عملية الترميز، وهي تحويل البيانات إلى رموز رقمية، حيث أعطيت أرقام لكل المتغيرات التي احتوتها الاستمارة وبذلك أصبحت جاهزة للإدخال إلى الحاسوب، وإجراء التحليلات الإحصائية عليها، وقد تم استخدام أسلوب التحليل الوصفي في عرض خصائص العينة وتحليل خصائص المتغير الواحد، ويشمل الجداول البسيطة لحساب النسب المئوية للتكرارات، للتعرف على توزيع استجابة أفراد العينة على كل فقرة من فقرات الاستبيان، وحساب المتوسط الحسابي " المرجح أو الموزون" ، نظراً لاختلاف أهمية كل عبارة عن أهمية العبارة الأخرى، أو كون هذه العبارات مقرونة بأوزان مختلفة بإستخدم مقياس ثلاثي التدرج لاستجابات أفراد عينة الدراسة، وذلك لمعرفة مدى ارتفاع أو انخفاض استجابات عينة الدراسة عن كل عبارة، كما استخدام الانحراف المعياري للتعرف على مدى انحراف استجابات أفراد البحث لكل عبارة من العبارات ومتغيرات البحث.

نتائج البيانات الأولية

- أوضحت نتائج الدراسة أن نسبة (66.5 %) من الإناث كن أكثر قابلية لاستخدام الإنترنت مقابل (33.5 %) من الذكور.

- أن أغلب الطلاب يمتلكون جهاز حاسوب ومتصل بالانترنت وذلك بنسبة (70.9 %) مقابل(29.1 %) من الطلاب ليس لديهم جهاز حاسوب خاص بهم.

- أن نسبة(56.1 %) من الطلاب يدخلون للانترنت وهم في البيت وهذا يؤكد الانتشار السريع لهذه الشبكة في المجتمع الليبي.

- أن معظم الطلاب يستخدمون الانترنت لغرض الدراسة وذلك بنسبة (63.9%)، وأن ما نسبتهم (30.9%) يفضلون المواقع الثقافية.

- أن نسبة (29.1%)أ من أفراد العينة يستخدمون الانترنت لغرض البحث العلمي، بينما ما نسبتهم (23%) لغرض الرياضة، و(14.3%) للتسلية بنسبة، والدردشة بنسبة (11.7%) ومتابعة الأخباربنسبة (8.7%). وهذا يعني أن أغلب الطلاب يستخدمون الانترنت لغرض البحث والدراسة.

نتائج الآثار السلبية لشبكة الانترنت

- أشارت النتائج إلى أن نسبة (47.0%) من أفراد عينة الدراسة لم يزيد مصروفهم الشخصي بسبب استخدامهم لشبكة المعلومات الدولية، وذلك راجع إلى استخدامهم للانترنت من البيت.

- أن نسبة (44.3%) يرون أن استخدام الانترنت لا يساعد في زيادة الانحراف، والذين كانت استجاباتهم إلى حد ما بنسبة (34.8%) أما الذين قالوا: نعم فنسبتهم (20.9%).وهذا راجع إلى استخدامهم للانترنت لغرض الدراسة.

- أن نسبة (49.6%) من أفراد العينة أجابوا بأن الانترنت لا يهدر وقتهم دون فائدة، في حين ما نسبتهم(34.3%) أجابوا إلى حد ما، وما نسبتهم (16.1%) أجابوا بهذر الانترنت لوقتهم دون فائدة. وهذا يعني أن الطلاب يستفيدوا من تصفح الانترنت دون إهدار للوقت.

- أن نسبة (55.7%) من أفراد العينة لا يشغلهم الانترنت عن مواصلة الدراسة، بينما ما نسبتهم (26.5%)إلى حد ما يشغلهم، و (17.8%) يشغلهم عن الدراسة. وذلك راجع إلى استفادتهم منه في الدراسة.

- تبين من النتائج أن نسبة (1.604%) من أفراد العينة أجابوا بأن الانترنت لم يولد لديهم الشك وعدم الفهم للكثير من القضايا، بينما ما نسبتهم (29.1%) أجابوا إلى حد ما، و(15.7%) أجابوا بنعم. وهذا يعني أن الطلاب أكثر وعيا وإدراكا لما يحيط بهم من القضايا.

- أن نسبة (93.0%) من أفراد العينة أجابوا بأن الانترنت لم تجعلهم يشكون في قيم دينهم الإسلامي، في حين ما نسبتهم (3.5%) أجابوا إلى حد ما ، و(3.5%) أجابوا بنعم . وهذا يعني أن الطلاب أكثر تمسكاً بقيم دينهم الإسلامي.

- أشارت النتائج إلى أن نسبة (54.3%) من أفراد العينة لم يشغلهم الانترنت عن الالتزام بمواعيدهم، في حين ما نسبتهم (32.6%) شغلهم إلى حد ما، و (13.0%) اشغلهم. وهذا يعني أن الطلاب كانوا أكثر حرصا في مواعيدهم رغم تصفحهم للانترنت.

- أن نسبة (78.7%) لم يكسبهم الانترنت عادات غير جيدة، بينما ما نسبتهم (14.3%) اكسبهم إلى حد ما، و(7.0%) اكسبهم. وهذا يدل على أن الطلاب أكثر تمسكا بعادات وتقاليد وقيم مجتمعهم.

- أن نسبة (49.6%) من أفراد العينة أجابوا بأن الانترنت لم يهدر وقتهم بدون فائدة، بينما ما نسبتهم (34.3%) أجابوا إلى حد ما، و(16.1%) أجابوا بنعم.

أن نسبة (81.7%) من أفراد عينة الدراسة لم يشكك الانترنت في أفكارهم بالقيم والمعتقدات التي يؤمنون بها، بينما ما نسبتهم(10.4%) شكك إلى حد ما، و(7.8%) شكك في أفكارهم. هذا يدل على أن الطلاب أكثر حرصا وحفاظا على قيمهم ومعتقداتهم.

نتائج الآثار الإيجابية للانترنت

- أن نسبة (0.5281%) من أفراد العينة يتيح لهم الانترنت فرصة التعبير عن الرأي، وما نسبتهم (17.0) أجابوا إلى حد ما، و(4.3)ا أجابوا بلا.

- أن نسبة (69.1%) من أفراد العينة أجابوا بأن الانترنت عرفهم على الكثير من القضايا العالمية، و(22.6%) إلى حد ما، و(8.3%)ا أجابوا بلا..وهذا يعنى أن أغلب الطلاب حريصين على معرفة أحبار العالم.

- أن نسبة (70.9%) من أفراد العينة طور الانترنت علاقتهم مع أصدقائهم، في حين ما نسبتهم(17.8%) طورها إلى حد ما، و(11.3%)أجابوا بلا. وهذا يعني أن الطلاب لديهم القدرة على التواصل الاجتماعي وتكوين العلاقات الاجتماعية عبر الانترنت.

- أشارت النتائج إلى أن (63.0%)من أفراد العينة زاد الانترنت من توسيع مداركهم الفكرية، و(30.0%) إلى حد ما، في حين ما نسبتهم (7.0%) لم يوسع مداركهم. وربما يرجع ذلك إلى اهتمام الطلاب بالبحث والتقصي عن المعلومات من الانترنت للاستفادة.

- أوضحت النتائج أن نسبة (53.0%) من أفراد العينة جعلهم الانترنت أكثر تمسكاً بقيم وعادات مجتمعهم، في حين ما نسبتهم (35.7%) أجابوا إلى حد ما، و(11.3%) أجابوا بلا. وهذا يدل على تمسك الطلاب بعاداتهم وتقاليدهم دون أي تأثير خارجي.

- أن نسبة (49.6%) من أفراد العينة عزز الانترنت لديهم الشعور القومي، في حين ما نسبتهم (33.0%) أجابوا إلى حد ما، و(17.4%) أجابوا بلا. وهذا يعني أن الطلاب معتزين بوطنيتهم وشعورهم القومي اتجاه بلادهم.

- أن نسبة (54.3%) من أفراد عينة الدراسة شجعهم الانترنت على تقدير القيم والأعراف والتقاليد، بينما ما نسبتهم (29.6%) أجابوا إلى حد ما، و(16.1%) أجابوا بلا. وهذا يعني أن معظم الطلاب متماسكين بعادات وتقاليد مجتمعهم.

- أشارت النتائج إلى أن نسبة (51.7%) من أفراد العينة أتاح لهم الانترنت الفرصة لتعلم لغات عديدة، في حين ما نسبتهم(27.4%) أجابوا إلى حد ما، و(20.9%)أجابوا بلا. ربما يرجع ذلك إلى اهتمام الطلاب بتعلم لغات أخرى.

- تبين من النتائج أن نسبة (36.5%) من أفراد عينة الدراسة أشاروا إلى أن استخدامهم للانترنت زاد من تحصيلهم الدراسي، في حين ما نسبتهم(40.4%) إلى حد ما، و (23.0%) أشاروا إلى عدم زيادة تحصيلهم. ويرجع ذلك إلى اهتمامهم بالبحث والاطلاع عبر الانترنت.

- أن نسبة(36.5%) من أفراد العينة أجابوا بأن الانترنت أنعكس على سلوكهم نحو الأفضل، في حين ما نسبتهم (45.7%) أجابوا انعكس إلى حد ما، و (17.8%) لم ينعكس عليهم نحو الأفضل.وهذا يعني أن غالبية الطلاب يفضلون المواقع المفيدة في الانترنت.

المراجع:

1- الحيلة، محمد محمود، تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق، عمان، دار المسرة، 2002 .

2- الحوات، علي، النظرية الاجتماعية اتجاهات أساسية، مالطا، منشورات شركة الجا، .1998

3- الدناني، عبد المالك ردمان، الوظيفة الإعلامية لشبكة الانترنت، الإسكندرية، دار المعارف،2003

4- الشامي، عبد الرحمن محمد، استخدام الشباب الجامعي للانترنت، الكويت، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 88، 2004 .

5- الشيباني، عمر محمد التومي، الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب، بنغازي، الدار العربية للكتاب، 1973.

6- الزيدي، مفيد، قضايا العولمة والمعلوماتية، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع،2003 .

7- المسلاتي، محمد مفتاح، تأثيرات الإنترنت على الفرد والمجتمع، مجلة كلية الآداب جامعة طرابلس، العدد14، 2010 .

8- اليحياوي، يحي، العولمة والتكنولوجيا والثقافة، بيروت، دار الطليعة، 2002 .

9- حسنين، جمال مجدي، دراسات اجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002.

10- صابات، خليل، عبد العظيم جمال، وسائل الاتصال ونشأتها وتطورها، القاهرة، مكتبة الأنجلو ال

11- إسماعيل، الغريب زاهر، تكنولوجيا المعلومات وتحديد التعليم، القاهرة،عالم الكتب،2001.

مصرية، 2001.

12- على الهادي الحوات: التغلغل والتسلل الأجنبي داخل الوطن العربي، طرابلس، اللجنة الشعبية العامة للعدل والأمن العام، 1993.

13- عبد الكريم، زياد، الشنوان، دعوة، المدخل الشامل إلى علم الحاسوب، عمان، دار الفكر،.1996

14- غرابيه، فوزي: أساليب البحث العلمي، لبنان، ط، 3دار وائل للنشر والتوزيع، ، 2003.

15- منصور، تحسين بشير، استخدام ا لانترنت ودوافعها لدى طلبة جامعة البحرين، الكويت، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 86 ،2004 .

عصر التنوير

والإيمان بالتقدم وتقديس الإنسان

مقدمة من د.علي خليفة محمد أجويلي - عضو هيئة التدريس بجامعة العواته - قسم علم الاجتماع

خطة البحث

إن عرض موضوع البحث يتناول عدة نقاط :-

1- العهد الديكارتي.
2- التنوير كنزعة إنسانية.
3- الهجوم على اللاهوت السياسي.
4- ديانة التقدم.

أهمية البحث:

1- لقد جاء التنوير في القرن الثامن عشر ليرفع شعاراُ في غاية الأهمية بعد أن تأسس على ما سبقه من مراحل وهو (لا سلطان على العقل إلا العقل نفسه) هنا جاءت سلطة العقل لتنير الطريق من أجل إنتاج قيم التقدم وصيانة كرامة العقل الإنساني والإصلاح في المسار الحضاري الذي يؤول بناء إلى التقدم.
2- أن يبدأ بالنهضة أي الإصلاح الديني وثورة العلم وثورة مجالات الإنسانيات وهي قرأت التراث اليوناني برمته من منظور عقلي وأنساني.

أهداف البحث:

1- أن تخضع لكل فكر أو تراث للفحص العلمي والواعي إلى رسالة سامية.
2- أن التنوير مرحلة مهمة للغاية من مراحل تطور لفكر الإنساني.
3- التحرر العقل الإنساني من ربقة رجال الدين.
4- لكي نرتقي ببلادنا لطور النضوج الفكري حتى نلحق بالعالم الذي سبقنا في كل المجالات والقيم الحضارية يتحتم علينا أن نحدد موقفنا بوضوح وحضاري.

مقدمة

لكي نرتقي ببلادنا لطور النضوج الفكري حتى نلحق بالعالم الذي سبقنا في كل المجالات والقيم الحضارية يتحتم علينا أن نحدد موقفنا بوضوح فكري حتى لا نبشر بما لا نؤمن ولا نسلك في طريق نمطي غير عقلاني يتناقض مع العلم والخير.

ولكوننا شعوبا متدنية يلعب الدين دوراً هاماً في فكر وتصرفات الناس يلزمنا أن نتعامل مع العامة بمنتهى الحذر في مجال الدين لكي لا نؤذي مشاعرهم أو ننفرهم من رسالة التنوير وفي نفس الوقت نتحاشى تهم التكفير من أعداء النور لذا تحتاج عملية محو الجهل (وليس محو الأمية) إلى حكمة وحنكة بل تدريب لتوصيل الرسالة التنويرية للفئة المستهدفة من ضحايا الاستغلال في أحسن وأنسب أسلوب.

أي أن نخضع لكل فكر أو تراث للفحص العلمي والواعي ..... ما هو وحي أو رسالة سامية أو تعليم سليم يتمشى مع كل ما يبنى الإنسان ويريه حضارياً وروحياً من الباطل والمدسوس سواء كان تاريخي أو تقليدي، وذلك فيما نسميه بالديانات الإبراهيمية، على أن يكون البحث والنقد قائم على موضوعية محايدة وعدم المساس بالعقائد واحترام الرأي الآخر.

ونحن كامثقفين ومفكرين، الذين أبدوا بصادق النية لنشر فكر وروح الحق بلا خداع ولانفاق لاخراج شعوبنا من عبودية الجهل والطغيان الانتهازي سواء الديني أو السياسي.

عصر التنوير

الايمان بالتقدم وتقديس الإنسان

أولا: العهد الديكارتي:

إذا كان عصر النهضة قد شهد ميلاد فكرة التقدم كمفهوم صار يواجه روح العصر، فإن القرن الثامن عشر، قرن التنوير شهد نمواً وتطوراً واتساعاً لهذه الفكرة، فلقد كانت فكرة التقدم في البدء قاصرة على الجانب الفكري والعملي، لكن بعد أن ظهر عدد من المفكرين من أمثال "فونتنيل" "وسان بيير" أنتقل مركز الاهتمام بالتقدم من مجال العلوم الطبيعية إلى مجال الحياة الإنسانية وصار تحسين الأحوال الاجتماعية والإنسانية للبشر ليس أمراً مستحيلاً بل أمراً متاحاً وممكناً.

وسوف يكون مفيداً لموضوع كتابنا أن نتوقف قليلاً عند كل من "فونتيل وسان بيير" بوصفهما من المفكرين الذين ساهموا في تطوير وتأصيل مفهوم التقدم مع مطلع عصر التنوير، ويُعد فونتيل ممثلاً للحقبة المحصورة بين عهد المفكرين الممثلين للقرن السابع عشر وعهد المفكرين الممثلين للقرن الثامن عشر، وربما تمكن تسمية هذه الحقبة أو هذه الفترة بالعهد الديكارتي ولا نعني بذلك المذهب الميتافيزيقي لديكارت أو أية نظرية من نظرياته التي عُرف بها كالمعاني الفطرية.

بل إننا نعني فقط المبادئ العامة التي قدر لها أن تترك أثراً في تلاميذه وفي الواقع الثقافي الفرنسي والأوروبي مثل ثبات قوانين الطبيعة، عدم الوثوق في سلطة القديم والمتوارث الإيمان بسلطة العقل، احترام كل ما هو إنساني(1).

ويعود الفضل لفونتيل في أنه غرس تدريجياً في القرن الثامن عشر هذا الاهتمام بالتقدم، وكان ديكارتياً يؤمن بأن أوروبا تستطيع بفضل العلم والعقل لا أن تساوي العصور القديمة فحسب بل تفوقها أيضاً، وقد أعلن أن جميع الناس مصنعون من مادة واحدة وأننا لا تقل في القيمة عن أفلاطون وهو ميروسي بل أننا نزيد عليهم في الكم الذي نملكه من الخبرة البشرية المتراكمة، فما لدينا الآن من المعارف أغنى بكثير ما لديهم وما يعرفه اليوم أي عالم من العلماء المحدثين يزيد عشرات المرات عما كان يعرفه عالم يوناني مثلا، وطالما سيستمر الناس في جمع المعارف فسيكون التطور محتوماً، وليس هناك من سبب يدعونا إلى أن نتوقع توقف أو انقطاع ذلك(2).

أما سان بيير والذي يُعد أيضاً تلميذاً لديكارت فقد كانت له إسهامات عميقة وهامة في تطوير فكرة التقدم، فقد كان متفائلا بمستقبل البشرية، ولذلك فقد نظر باستخفاف شديد إلى المشكلات المعقدة التي تتحدى العقل الإنساني ونظر إلى الطبيعة الإنسانية وكأنها أمر مجرد.

وأعتمد ببساطة على الأفكار الديكارتية مثل سيادة العقل الإنساني والتنوير العقلي، والثقة بالإنسان، إمكان السيطرة على الطبيعة.

والجانب المهم في أفكار بيير يتمثل في أنه أستطاع أن ينقل فكرة التقدم من مجال العلم إلى مجال الأخلاق والمجتمع وذهب إلى أمكان خلق حكومات مستنيرة وأمن بأن التقدم سيمضي إلى مالا نهاية(3).

ثانيا: التنوير كنزعة إنسانية:

إن الإيمان بالتقدم والوثوق بالإنسان هما الأساسي الذي قامت عليه حركة التنوير في فرنسا وأوروبا خلال القرن الثامن عشر ففي هذا القرن بدأ الناس متفائلون بمصير الإنسان، خاصة الإنسان الفرد، وكان هناك شبه اتفاق بين أهل الفكر على أن الإنسانية تتقدم بخطى سريعة في كافة المجالات العلمية والاقتصادية والحضارية والاجتماعية والإنسانية والفنية.

وعندما نتأمل كتابات عصر التنوير نلاحظ أنها تتجه أتجاهاً واضحاً وصريحاً نحو قضايا الواقع الإنساني، بحيث يمكن يحق أن نطلق على حركة التنوير أسم النزعة الإنسانية أو الحركة الهيومانية Humahism بمعنى أن الإنسان كان فيها هو المحور الذي تركز حوله الاهتمامات.

يقول "ديدور" (1769-1784): ونخص بالذكر كائناً (واحداً) علينا ألا نتجاهله على الأطلاق، فلو قصينا الإنسان أو الكائن المفكر المتأمل عن ظهر البسيطة، فإن مشهد الطبيعة بجلاله وتأثيره، لن يزيد حينئذ عن مشهد سوداوي صامت.

إن وجود الإنسان هو الذي يجعل الأشياء الأخرى مثيرة للاهتمام، فلماذا لا نجعله المركز الذي تتركز عليه شتى النواحي، إن الإنسان هو الكلمة الوحيدة التي علينا أن نبدأ منها(4).

والجدير بالذكر أن اهتمام عصر التنوير بالإنسان لم يقتصر على الجانب العقلي فقط بل أمتد أيضاً إلى مشاعره وعواطفه وغرائزه، وهذا ما عبر عنه راندال بقوله "التأكيد على الجانب الأقل حظاً من العقل في الطبيعة البشرية(5).

فإذا كان عصر النهضة قد ركز على الجانب العقلي من الإنسان فإن عصر التنوير كان تعبيراً عن الاعتقاد بأن الحياة أوسع من الذكاء، وأن العالم أكثر أتساعاً وغنى من العالم الذي يصوره علم الفيزياء، ووفقاً لهذه الرؤية الجديدة يصبح عالم الخبرة الإنسانية بكل شمولة وإتساعه هو العالم الأكثر حقيقة وصدقاً، فالخبرة بكل ثرواتها وتنوعها وحرارتها وعمقها يمكن أن تبدو أعظم وأروع بكثير من أي صيغة عقلية جافة يفرضها العقل البارد الآلي.

بل أن الفنون كلها والأساطير والديانات ليس سوى تحليات لهذا العالم الثري الذي يسمى الخبرة الإنسانية(6)، ولقد كان "جان حاك روسو" هو فاتحة ذلك التيار الرومانتيكي الذي ركز على ذلك الجانب المهمل من التجربة الإنسانية وأفسح مكاناً كبيراً لما يمكن أن نسميه بالذكاء العاطفي.

لقد كان عصر التنوير هو عصر الإنسان بأجمل صورة وفيه ناضل المفكرون من أجل تحرير الإنسان؟ عقله وروحه وحواسه، كبداية لإنطلاق العلوم والفنون وكحافز على تقدم الإنسانية أو كانت عظمة الإنسان في هذا العصر تدفعه إلى تحرير ذاته وتحرير عقله بعقله، وهذا هو المعنى الأعمق للتنوير أو في هذا المعنى يقول كانط: "أن تنوير بعض العقول بواسطة التربية آمرين، أما تنوير عصر بأكمله فهي مهمة شاقة وطويلة(7).

ثالثا: الهجوم على اللاهوت السياسي:

ربط العديد من فلاسفة عصر التنوير بين التقدم وبين التحرر من سلطة الكنيسة، وغالباً ما أرتبط نقدهم للذين بنقدهم للتسلط والقمع الذي يمارسه رجال الدين خاصة، لو مارسوا السلطة السياسية أو على الأقل تحالفوا معها، ففي رأي "ديدرو" أن اللاهوت والأخلاقيات المشتقة منه يلعبان دوراً معاً كساً ومضاداً لحقوق الإنسان، ويقفان في طريق حريته، ومن رأيه أن رجال الدين عادة ما يحاربون العقل ويحضون على الجهل ويروجون لمعتقداتهم اللامعقولة لأن في ذلك ضماناً لامتيازاتهم ولاستمرار وجودهم فالتحالف بين الدين والسيادة يعود بالفائدة على الطغاة فلهؤلاء مصلحة في تسميم عقول الناس بالخرافات وفي اختراع الأشباح لتخويفهم وبث الذعر في نفوسهم(8)، وبالتالي في تخويل الإنسان الحر إلى عبد ذليل.

ولا يختلف رأي "هلفشيوس" (1715-1771) كثيراً عن رأي "ديدرو" فهو أيضاً كان يدعو بصورة دائمة إلى تقليص نفوذ الكنيسة في فرنسا وهاجمها من وجهة نظر اجتماعية وليست لا هوتيه.

فهو يرفض وجهة نظر الكاثوليكية في تمجيد العزوبة والفقر، وهو يتهم السيطرة الكاثوليكية على التعليم لأنها تعوق التقدم الفني والعلمي فحسب، بل لأنها تمكن رجال الدين من تشكيل ذهن الطفل وإخضاعه للسيطرة الكهنوتية التامة(9).

ويرى "هلفشيوس" أيضاً أن الجهل والأحكام المسبقة هما مصدر الجرائم كافة ومنبع جميع الأمراض والمصائب التي تحل بالجنس البشري، والأمم التي يسودها الجهل والأحكام المسبقة لا تستطيع أن تحافظ على قوته وعظمتها وتقدمها، وأول ما يصطدم به تقدم الأمم ونهوض العقل هو نفوذ الدين، أو الأذى التي تسببه المذاهب اللاهوتية أمر فعلي أما الخير الذي ينشأ عنها فهو وهم، والوحي من نظر "هلفلشيوس" ليس سوى وسيلة لحجب الحقيقة ذلك لأن الفكر الديني لا يتفق مع مبادئ التفكير الصحيح فالتعليم الذي تدعو إليه السلطات الدينية مشجع بروح القلم والتسلط والنفاق، فمعظم الديانات تقريباً تحرم استخدام العقل وتعتبره جريمة من الجرائم ونزوغ نحو الشك والالحاد(10) ومع ذلك فإن "هلفشيوس" لم يكن على ما يبدو مبالاً لخرق التقاليد الدينية والتنكر لها تماماً، فهو برغم إذانته الصارمة لأنماط الفكر الديني التقليدي، إلا أنه ارتضى أحياناً أن يطلق أسم "الديانة الكوونية" على تلك المبادئ الأخلاقية السامية المستوحاه من تعاليم الفلاسفة الكبار، وهذه الديانة الأخيرة تتنافى مع اللاهوت التقليدي.

فهي تنطوي على قيم أخلاقية خاصة ليس مصدرها الوحي ولكن مصدرها الطبيعة والعقل البشري، ومبادئ هذه الأخلاقيات الإنسانية يشبه مبادئ الرياضيات من حيث قابليتها للإثبات والبرهان، وهذه الديانة الكونية من وجهة نظرة تتفق مع المصالح العامة وتحقق السعادة البشرية وتتجاوز الخلافات والصرعات والأنقسامات التي تنشأ نتيجة التعصب(11).

ولا يمكن لأي باحث أن يتحدث عن نقد الدين في عصر التنوير دون أن يذكر المفكر الألماني "دي هو لباخ" ولد عام 1733، وهذا المفكر بلغ في هجومه على اللاهوت حداً لم يصل إليه أحداً من مفكري عصر التنوير، وقد تميزت كتاباته بالهجوم الشرس على الميحية، ففي 1761 أصدر كتاباً بعنوان "المسيحية في خطر" ويُعد هذا الكتاب هجوماً مباشراً على تحالف الدين مع الطيغان بأنه (أفيون الشعوب) يقول (دي هولباخ) "أن الديانة هي فن تخدير الناس بالحماسة لتحول بينهم وبين مناهضة المساوي والمظالم التي يعانونها من حكامهم، ولم يُعد فن الحكم إلا مجرد الإفادة من أخطاء وخمول الذهن والنفس، وهي ما عُرفت فيه الأمم بفعل الخرافة، وبتهديد الناس بالقوى الخفية أستطاعت الكنيسة والدولة أن تفرض على الناس أن يعانوا ويحتملوا في صمت ما يلقون

من عنت وشقاء من القوى المرئية، وفرض عليهم أن يأملوا في السعادة في الحياة الآخر إذا وافقوا على أن يكونوا بائسين في هذه الحياة الدنيا"(12).

رابعا: ديانة التقدم:

بلغت فكرة التقدم في عصر التنوير أقصى ذروتها، حيث تحولت إلى اعتقاد أقرب إلى اليقين، فلم يكن هناك أدنى شك في أن الإنسانية تمضي إلى الأمام ولا يمكن أن تُعود مرة أخرى إلى الوراء.

وباستثناء "جان جاك روسو" يكاد جميع مفكري عصر التنوير يلتقون حول فكرة تقدم الإنسانية، وهذا ما يشير إليه "سيدني بولارد" بقوله "أنه لما يدعو للدهشة ذلك القدر العظيم من الاتفاق في اتجاه الفكر والبداية والمقصد بين هذه المجموعة الكبيرة من الرجال الموهوبين المفكرين من جماعة الموسوعين وغيرهم من قادة الفكر من معاصريهم من أمثال "فولتير، ومونتسكيو"، وتورجو حتى روسو" ولا نجد شبيها لذلك الأتفاق الفكري إلا عندما ظهرت الماركسية أو هذا الاتفاق على نقطة البداية والهدف جعلهم يتفقون كذلك في التفاؤل المسرف بمستقبل جماعتهم إذا هي حكمها العقل والعلم، وكانوا مثقفين على أن عصرهم قد بلغ من الحضارة والتهذيب حداً لم يصل إليه البشر قبل ذلك، ولم تكن هناك بوادر أو علامات تدل على أن ذلك المستوى سيصاب بنكسة ما، بل العكس من ذلك كان المنهج العلمي الذي بدأ يسود كل نواحي الفكر والنشاط الإنساني في عصرهم يدل على أن مثلهم الأعلى للمجتمع الصالح كان وشيك التحقق(13).

أن الأساس الذي قامت عليه ديانة التقدم عند فلاسفة التنوير هو العقل فقد كان "ديدرو" يؤمن بتقدم العقل البشري، وبامكانية قيام نظام اجتماعي يحكمه العقل، ويعتبر "ديدرو" تقدم العقل البشري دواء فعالاً ضد جميع أمراض المجتمع، وكان واثقاً من أن الحقيقة كفيلة مع الأيام بتحقيق كل ما تقتضيه مصلحة البشرية، وهو لا يوضح لنا كيف يتم ذلك، لكن كل ما يعرفه أن الحقيقة ستنتصر دوماً في النهاية، وأنها ستظل تنتصر مع الأيام(14).

ويعزو "هلفشيوس" إلى التعليم القائم على العقل دوراً تنويرياً وتقدمياً "أن التعليم قادر على التأثير في كل شيء أن كل التقدم حتى في الأخلاق يتوقف على أنتشار المعرفة وتدريب الذكاء أقضى على الجهل وبذلك تقضي على كل بذور الشر"(15).

أما "دي هولباخ" فقد أمن بأن الحقيقة وحدها كفيلة بأن تقود أبناء الأرض إلى السعادة الكاملة، ولن يستقر سلطان الحرية ويضع حداً لعذابات البشر والأمم إلا بنشر الأفكار المثقفة مع

العقل، وبالنضال ضد الأحكام المسبقة وبالدعوة إلى تحقيق العدالة الإنسانية وإذا كانت المجتمعات لم تصل بعد إلى السعادة الكاملة فإن ذلك سببه الجهالة والابتعاد عن العقل(16).

ويرى "دي هولباخ" أن نشر الحقيقة عادة ما يصطدم دائماً بمعارضة الطغاة ومضطهدي الشعوب ويساعدهم على ذلك تخاذل الشعوب المضطهدة نفسها، لأن الشعوب كثيراً ما تخشى الحرية وتنفر من العقل وتهرب من الحقيقة وتقدس القيم القديمة، وتدافع عن التقاليد المتوارثة، ولاشك أن إستسلام الجماهير للوهم ولإغواء الخرافة واللاعقل هو واحد من أهم العوامل التي تساعد على ترسيخ القهر وتخلف الحضارات والمجتمعات الإنسانية(17).

وقد بلغ الإيمان بالتقدم ذروته مع قيام الثورة الفرنسية التي برهنت على إمكانية امتلاك البشر لمصيرهم ومنحت الكثيرين الأمل في أن العقل يمكن أن يتحقق في التاريخ، والمفكر الذي استطاع أن يلخص في فكرة أمال وطموحات ذلك العصر بكل ثقة وطموح هو "كوندرسيه" (1743-1794م) والمفارقة الغريبة والمؤلمة أن "كوندرسيه" المؤمن بالثورة والتنوير كان هو نفسه أحد ضحاياها، فقد دفعه الخوف من "روبسبير" إلى الفرار للنجاة بحياته، ولم يجد سبيلاً سوى أن يختبئ داخل غرفة خلفية في أحد المطاعم، ولكنه انتحر في آخر الأمر حتى ينجو من مقصلة الطاغية، والمدهش أكثر أن يتناسى "كوندرسيه" قدره ويعكف وهو في مخيئة علي كتاب واحد من أروع ما كتب في موضوع التقدم هو "تاريخ تقدم الروح الإنساني"(18).

وقد قام "كوندرسيه" بتقسيم التاريخ الإنساني إلى ست مراحل:

أثنان منها للعصر القديم، واثنان للعصر الوسيط، واثنان للعصر الحديث، وأن الثورة الفرنسية تمثل بداية عصر جديد من عصور المجد الإنساني، ولا يعنينا هنا أن نتعرض بالتفصيل لهذه المراحل ولكن الأهم أن نشير إلى ما قدمه "كوندرسيه" عن دلالات ولامح العصر الجديد، فقد بشر بيوتوبيا جديدة تنبثق من انتشار المعرفة ومن القوة التي تمنحها المعرفة للإنسان للتغلب على العوائق الطبيعية والعقلية التي تقف في وجه سعادته، وقد أعتقد "كوندرسيه" أن التقدم سيحقق ثلاثة أهداف: مساواة متزايدة بين الأمم والشعوب، محو الفوارق الطبقية، تقديماً عقلانياً وأخلاقياً ينجم عن الهدفين الأولين، لقد تم توقع "كوندرسيه" أن يكون التقدم تصدعدياً وأن يسير بالأحوال الاجتماعية والإنسانية نحو الكمال ويؤدي في النهاية إلى تحسين وتطوير القوى العقلية والخلقية والطبيعية للجنس البشري كله دون تمييز بين أبيض أو أسود أو غني وفقير (19).

ويبدو أن كوندرسيه الذي أعتنق ديانة التقدم وأمن الحرية لم يمنع الخوف والرعب والعزلة من أن يحلم بتحقيق الفردوس الأرضي، وينتظر معزياً نفسه بالأمل ذلك اليوم ستشرق فيه الشمس "على أرض لا يوجد فيها سوى أحرار، لا يخضعون لسيد غير العقل، بعد أن يكون الطغاة والعبيد والكهنة وعملاؤهم الأغبياء والمنافقون قد اختفوا جميعاً"(20).

وربما يكون ملائماً لموضوعنا أن نختتم هذا الفصل بهذه الرسالة التي كتبت عام 1784 على قبة مستديرة في كنيسة القديسة مرجريت في مدينة "جزتا Gotha" في ألمانيا لتقرأها الأجيال القادمة ونصها:

"يشغل جيلنا أسعد دوار في القرن الثامن عشر، فالأباظرة والملوك، ينزلون من علیائهم الرهيبة، محتقرين الأبهة والعظمة ليصبحوا أباء وأصدقاء لشعبهم وموضع أسرار لهم، ويمزق الديني ثوبة الرهباني لكي يظهر في جوهره الألهي، ويخطو التنوير خطوات كبيرة، الحقد الطائفي والاضطهاد من أجل الضمير أخذان في الزوال، ومحبة الإنسان وحرية الفكر تكسبان المكانة العليا، والعلوم والفنون أخذة بالأزهار، الصناع والفنانون يدركون الكمال والمعرفة الناقصة تنمو بين جميع الطبقات هذا وصف صادق لعصرنا، لا تنظروا من على إلينا إذا أرتفعتم أكثر مما نرى، بل عليكم، أن تعرفوا من الصورة التي رسمناها لكم مقدار ما جاهدنا بشجاعة وقوة لرفعكم إلى المستوى الذي أنتم فيه الآن ولتستطيعوا البقاء فيه، أعملوا الشيء ذاته لمن يخلفكم وكونوا سعداء(21)

1) ثورة العقل والتنوير:

يقول رسل : (إن حركة التنوير لم تكن مرتبطة ارتباطا دائما بأية مدرسة فلسفية معينة، وإنما كانت نتيجة الصراعات الدينية الدموية غير الحاسمة التي شهدها القرنان السادس عشر والسابع عشر) .ويقول أيضا : (إن حركة التنوير كانت مرتبطة أيضاً بانتشار المعرفة العلمية).وفي موضع آخر : (كان عصر التنوير في جوهره عودة إلى تقدير النشاط العقلي المستقل، تستهدف بالمعنى الحرفي، نشر النور، مدفوعة بروح من التفاني والحماس) . (كما كانت حركة التنوير قوة لا تعرف حدودا سياسية).

بينما يصف بعض المؤرخين عصر التنوير، بأنه : (العصر الذي حاول أن يجعل كل مجال من مجالات الحياة والفكر مجالا دنيويا).

ويرى (أرنولد توينبي) أن الدين في معظم العصور، وعند عامة الناس، كان هو السمة الغالبة على اهتماماتهم، ولقد ثار عصر التنوير على هذه العادة، وحاول التخلص من المسيحية في جميع

المجالات، ما عدا ما يضمن منها تأمين الأغراض النفعية، ومما يثبت صحة العلم الطبيعى، ويوطد أسس الأخلاق الإجتماعية.

وبفضل حركة التنوير كان هناك أولا التأكيد المفرط للعقل، ومعه الأمل الهادىء في أننا لو أعملنا عقولنا بمزيد من القوة في المشكلات التي تواجهنا، لحلت كافة صعوباتنا إلى الأبد .

ولكن ما طبيعة هذا العقل الذي ثار، وانتصر، فكان التتوير؟

يتكون هذا العقل، في الوقت ذاته، مما تتكون منه النفس، ثم يتكامل معها، وهو يحتوى ذلك النشاط الباطني الذي - عندما يعمل في عناصر المعرفة الحسية - يقدم إلينا فكرا خالصا ، يتفرع فيما بعد إلى قوى أو ملكات، وتمر هذه الملكات بعد ذلك مرورا سريعا بقدرة العقل على الإستنباط، لأن الأخير ليس سوى امتداد لا يضيف شيئا إلى - المعرفة، ما دام أنه يفرض صدق العناصر الأولى التي تستنبط منها جميع العناصر الأخرى، ولكنهم على الأخص يلحون على بيان قيمته في تمييز الحقائق، لأن الحقيقة هي على علاقة موافقة أو مباينة ، نجزم بها في شان الأفكار.

- العقل عند كانط

- كما أن هذا العقل في رأي كانط، هو عقل إنسانى خالص، وهو صانع الطبيعة ، إلا أنه ليس عقل مفكر مفرد، بل هو ذات ترانسندنتإليه، تمثل الذهن في ذاته، أو الفهم الخالص فى كل فكر إنسانى . ولذلك ذهبت الفلسفة النقدية عند كانط إلى أن الطبيعة ليست نتاجا تعسفيا أو لا عقليا، بل عقليا بالضرورة . وبعبارة أخرى أن العقل يمثل بالضرورة طريقة الإنسان في النظر إلى الأشياء .

ومن ناحية أخرى، كان العقل في القرن الثامن عشر، يمثل تيارات الفكر الأساسية وروافدها التي تلاطمت على الساحة الأوروبية أساسا ، وصاغت المزاج الفكري لإنسان عصر التنوير داخل القارة الأوروبية . وقد كانت لهذا العقل السيادة الحضارية بعد ظلام دامس، إمتد في أوروبا منذ إنهيار الإمبراطورية الرومانية حتى انبعاث حركات الإصلاح والنهضة والتنوير، وانعقد لهذا العقل لواء السيادة الحضارية على مدى خمسة قرون، ولا يزال متصدرا مسيرة الحضارة العلمية بثورته الهائلة.

ولم يكن تحول العقل من جاهلية وظلام العصور الوسطى إلى العصر الحديث أمرا ميسورة، بل كان صراعا طاحنا، ومعارك، وانقسامات و اتهامات بالكفر والزندقة، و أحكام بالإعدام، و التعذيب و الحرمان . وقد تحول العقل تدريجيا بين صعود وهبوط، لكنه استمر في ثورته ، وكما هو الحال دائما في جميع مراحل التحول الاجتماعي التاريخي لاستكشاف رؤى جديدة متقدمة، ظهرت فرق

وجماعات ذات عقول متمردة ثائرة، كالعاصفة المدمرة، وليس في هذا ما يخيف، طالما تو فرت سبل الحوار.

هكذا أصبح الواقع الجديد للعقل المستنير يفرض تحدياته، وكان لابد من المواجهة، وكانت مواجهة ما هو تقليدى موروث أمرا ضروريا، ومن ثم لزم التخلي عن التقديس الأعمى ، والإجلال الخاضع لكتب وأسفار مأثورة موروثة عن قديسين عاشوا في ماضى العصور الوسطى حتى باتت عقيمة فيما بعد. وكان من الضروري أمام ثورة هذا العقل، رصد الواقع واستقراء أحداثه، وفهمه في ضوء نور كاشف جديد غير كتابات القدماء، التي أصبح لا حول لها ولا قوة، وكان هذا هو نور العقل .

ولقد توجه العقل الجديد إلى الطبيعة و المجتمع و الإنسان، وأخضع حصاده من المعلومات لمبدأ الفحص والتمحيص و المراجعة، والتفسير والإختبار والتجريب والتحقق.

ولقد أدرك العقل الثائر في عصر التنوير أن النعيم ليس في السماء وحدها ، بل على الأرض أيضا، حيث يمكن بلوغ الكمال والتقدم معا، بعد أن كان مضطهدا **زمنا** طويلا، بسبب قمع المسيحية التقليدية، وسيطرة رجال الدين وبخاصة في العصور الوسطى .

لذلك كان عصر التنوير في القرن الثامن عشر ، ومن ورائه العقل ، ثائرا متمردة، من أجل الإصلاح والتقدم وتحطيم سلطان الكنيسة .

وكان العقل المستنير هو الذي يشرع في العمل مستخدما الحكم والتشبيه والمعيار العام، وكان هو الذي يستكشف ويصدر الكلمة الفاصلة. وقد أكد رجال التنوير أنه لم تكن هناك وظيفة أسمى من وظيفته ، ما دام أنه مكلف باستجلاء الحقيقة وكشف الأخطاء، و على أساس هذا العقل وحده، تقوم وظيفة الفلسفة ومهمة العلم .

وتزداد فاعلية هذا العقل الثائر الذي يتبين له كل شيء بواسطة قدرته المفيدة : إذ أنه يتجه بالعلوم والفنون نحو الكمال ، وهو ما سوف يؤدي إلى سعادة البشرية . ومجمل القول ، أنه هو الذي سوف ينير الكل إنسان يوجد في هذا العالم ، ما دام أنه هو التنوير.

وكانت كلمة التنوير على رأس الصفات التي رصف بها القرن الثامن عشر، و التي ربط المفكرون بينها وبين ثورة العقل الإنساني، فرددوها ووصفوا أنفسهم بها. وكان رجال هذا العصر مستنيرين عن حق، فكانوا هم أصحاب العقول الجسورة ، حملة المشاعل و المصابيح التي كان وميضها هاديا لهم في أفكارهم وأعمالهم .

ولقد رأى كانط أن التنوير بالنسبة للإنسان هو بمثابة أزمة من ازمات نموه، و إرادة لخروجه من طفولته ، لأنه إذا كان الإنسان في القرون السابقة قد ظل تحت

الوصاية، فإن ذلك كان بسبب خطأه ، إذ لم يكن لديه من الشجاعة ما يمكنه من استخدام عقله، وكان دائما فى حاجة إلى أمر خارجي، ولكنه تنبه، وبدأ يفكر بنفسه.

هذا ومن ناحية أخرى جاءت ثورة العقل وما تبعها من حركة التنوير ضد الكنيسة المسيحية في فرنسا التي كانت تمثل السلطة الهائلة، وتملك نصيبا كبيرا من الثروة الوطنية، و أرض الوطن، فكانت تستنزف مزيدا من الثروة من أيدي العلمانيين إلى أيدى رجال الكنيسة عن طريق الوصية و التوريث .

كما رفضت أن تدفع أية ضرائب أكثر من المنح أو الهبات الإختيارية، واحتفظت بآلاف الفلاحين في أراضيها، في استرقاق فعلى.

كما أفادت الكنيسة من الوثائق الزائفة والمعجزات الكاذبة وسيطرت على كل المدارس والجامعات تقريبا، وعن طريقها أشربت اذهان الشباب بالسخافات المخدرة المنافية للعقل ، وكان ذلك هو السبب في ثورة العقل وهجومه عليها .

كما استغلت الكنيسة الدولة في فرض رقابتها على حرية الكلام والصحافة، ومن هنا بذلت كل ما في وسعها الخنق التنمية الفكرية في فرنسا ، واشتعلت نار الحروب الدينية التي دمرتها تقريبا ولقد أدى ذلك إلى تشكك العقل ، إلى حد أنه لم يعد يخشى رجال الدين ، وإحراجهم علنا بالأسئلة العميقة . وجذع رجال الدين من كثرة عدد الفرنسيين الذين فارقوا الحياة ، رافضين تناول الأسرار المقدسة للكنيسة .

وبذلك تخطت حركة التنوير في فرنسا ، في القرن الثامن عشر .بفضل ثورة العقل مرحلة الإصلاح الديني ، وقفزت قفزة مباغتة من عصر النهضة إلى عصر التنوير.

المصادر والمراجع

1. ج.ب. بيوري: فكرة تقدم، ترجمة. أحمد حمدي محمود، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 1982، ص 111-112.

2. راندال: تكوين العقل الحديث، الجزء الأول، ترجمة: د.جورج طعمة، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، 1965، ص 571.

3. ترتداد رحل. حكمة الضرب-الجزء الثاني - الفلسفة الحدتية والمعاصرة ترجمة - د. فؤاد زكريا – عالم المعارف العدد (70)-1983 ص43 .

4. راندال: تكوين العقل الحديث، الجزء الأول، ص24.

5. د.نازلي إسماعيل حسين: النقد في عصر التنوير، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ص 43.

6. ف. فولغين: فلسفة الأنوار، ترجمة هنرييت عبودي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، سبتمبر 1981، ص113.

7. ول ديورانت: قصة الحضارة، أوروبا الوسطى، المجلد التاسع عشر، العدد 38، ترجمة محمد علي أبودرة، مكتبة الأسرة، مصر، ص117.

المصادروالمراجع :-

1. ج.ب. بيوري: فكرة تقدم، ترجمة. أحمد حمدي محمود، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 1982، ص 111-112.

2. راندال: تكوين العقل الحديث، الجزء الأول، ترجمة: د.جورج طعمة، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، 1965، ص 571.

3. ترتداد رحل. حكمة الضرب-الجزء الثاني - الفلسفة الحدتية والمعاصرة ترجمة - د. فؤاد زكريا –عالم المعارف العدد (70)-1983 ص43 .

4. راندال: تكوين العقل الحديث، الجزء الأول، ص24.

5. د.نازلي إسماعيل حسين: النقد في عصر التنوير، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ص 43.

6. ف. فولغين: فلسفة الأنوار، ترجمة هنريت عبودي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، سبتمبر 1981، ص113.

7. ول ديورانت: قصة الحضارة، أوروبا الوسطى، المجلد التاسع عشر، العدد 38، ترجمة محمد علي أبودرة، مكتبة الأسرة، مصر، ص117.

الدعم الليبي للحركة الوطنية التونسية (1945م-1955م)

إعداد د مفتاح مجيد الشريف - محاضر بقسم التاريخ بكلية التربية / جامعة بني وليد

ملخص البحث

يتناول البحث دعم الشعب الليبي للحركة الوطنية التونسية ، التي كانت تكافح الاحتلال الفرنسي، وتسعى للحصول على الاستقلال، وقد لجأ العديد من أفرادها إلى ليبيا هرباً من قمع سلطات الاحتلال ، ولتحقيق عدة أهداف ، منها ما هو عسكري بإعداد وتدريب متطوعيها؛ للقيام بعمليات حربية انطلاقاً من الأراضي الليبية، ومنها ما هو سياسي وهو الدعاية للقضية التونسية على منابر الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة.

وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة نقاط ، تتناول الأولى موقف الحركة الوطنية التونسية من فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، والذي انقسم إلى فريقين أحدهما مؤيد لدول المحور، وآخر التزم الحياد من كلا القوتين ، وهذا كان رأي الزعيم الحبيب بورقيبة.

وتتناول النقطة الثانية الدعم الليبي للحركة الوطنية التونسية خلال فترة حكم الإدارة العسكرية، والتي تميزت بإحكام القبضة الأمنية على الأقاليم الثلاثة لليبيا؛ وذلك خوفاً من تضامن شعوب المغرب العربي ، وقيام ثورة تجلب المتاعب للدول الاستعمارية. وتم خلال هذه الفترة تهريب الزعيم الحبيب بورقيبة عبر الأراضي الليبية إلى مصر، وقد قامت جمعية عمر المختار والمؤتمر الوطني الطرابلسي بدور كبير في دعم الحركة الوطنية التونسية.

أما النقطة الثالثة فتتحدث عن الدعم الليبي للحركة الوطنية التونسية خلال فترة الاستقلال، والتي تميزت باحتضان متطوعي الحركة الوطنية التونسية، وتدريبهم وانطلاقهم للقيام بعمليات حربية في العمق التونسي.

الدعم الليبي للحركة الوطنية التونسية (1945م-1955م)

مقدمة

اتسمت العلاقات الليبية التونسية على مر التاريخ ؛ بالنضال المشترك الذي تعززه روابط العروبة والإسلام والجوار، فنلاحظ الدعم المتبادل بين أبناء القطرين كلما تعرض أحدهما لضيم الاحتلال ، بل أُنشِئَت قيادة مشتركة للمجاهدين تحارب الاستعمار الفرنسي والإيطالي ، تولى زعامتها خليفة ابن عسكر من ليبيا ومحمد الدغباجي من تونس ، وذلك منذُ بداية الحرب العالمية الأولى. وما موضوع البحث هذا إلا حلقة من حلقات النضال المشترك بين الشعبين، والذي سيلقى فيه الضوء على مجهودات الليبيين قيادات وأفراد وحكومةً في دعم الحركة الوطنية التونسية، بالرغم من وقوع ليبيا تحت ضغوطات القوات الأجنبية المتواجدة على أراضيها.

إن ندرة المراجع التي تتناول هذا الموضوع شكلت صعوبة في إنجازه ، وقد اعتمد الباحث على مرجعين مهمين أغنت البحث بمعلومات قيمة، أولهما للمناضل التونسي عبدالله عبعاب، والآخر للمناضل الليبي يوسف مادي، أما باقي مضان البحث فهي نتفاً متفرقة من بعض الكتب ، وكذلك من مقالات على شبكة المعلومات الدولية. وقد قُسم البحث إلى ثلاثة نقاط رئيسة هي على النحو التالي:

أولاً- الحركة الوطنية التونسية خلال الحرب العالمية الثانية.

ثانياً- الدعم الليبي للحركة الوطنية التونسية خلال فترة الإدارة العسكرية 1945م-1951م.

ثالثاً- الدعم الليبي للحركة الوطنية التونسية خلال فترة الاستقلال 1952م-1956م.

أولاً- الحركة الوطنية التونسية خلال الحرب العالمية الثانية.

عند نشوب الحرب العالمية الثانية رأت الحركة الوطنية التونسية إمكانية الاستفادة من المتغيرات التي تمخضت عن هذه الحرب، خاصة وأن أحد فصولها دارت على الأراضي التونسية، وقد شددت فرنسا قبضتها على تونس تلافياً لحدوث أي مقاومة قد تؤثر على المجهود الحربي الفرنسي، وقامت بسجن قادة الحركة الوطنية، والذين أخذوا في توجيه الشعب تماشياً مع تطورات الأوضاع العسكرية على الأرض.

ا- موقف الحركة الوطنية التونسية من فرنسا.

كانت للحرب العالمية الثانية تداعيات سياسية واقتصادية واجتماعية في تونس، حيث حدّت من نشاط الحركة الوطنية التونسية ، والتي يتزعمها الحزب الدستوري الجديد الذي اضطر بعض أعضائه البارزين من تكوين دواوين سياسية سرية تقود نشاط الحزب أثناء اعتقال أغلب قادته مثل الحبيب بورقيبة، وصالح بن يوسف ، وسليمان بن سليمان. وفي 14 فبراير 1940م قامت فرنسا بحملة اعتقالات شملت الوطنيين وخاصة أعضاء الحزب وقُدم للمحكمة العسكرية أعضاء الديوان السياسي للحزب (الباهي الادغم[1]، الهادي خفشة، الهادي السعيد، أحمد الخبثاني) ؛ بتهمة التآمر ، وقد وصلت الأحكام ضدهم إلى 20 سنة مع الأشغال الشاقة[2]، وأرسل البعض منهم إلى سجن لامبازlambcse في الجزائر؛ وذلك لمنع أي تأثير لهم على الشعب، كما تم نقل زعماء الحزب الدستوري الحر المعتقلين إلى حصن نيكولا بمرسيليا[3] ؛ لتلافي أي تأثيرات للحرب الدائرة بالقرب من تونس على الداخل.

وقد اتسمت حركة المقاومة في هذه الظروف بالأعمال السلمية، حيث تمت إعادة تنظيم صفوف الحزب الدستوري الجديد ، ونشر الأعمال الوطنية في مختلف وسائل الإعلان كالإذاعة والصحافة، والقيام بعقد الجلسات والتجمعات الخطابية والمظاهرات[4] المنددة بالاحتلال. أما الشعب التونسي عامة فقد كان منحازاً إلى الألمان والإيطاليين؛ وذلك نظراً لمعاناتهم من جور المحتل الفرنسي الذي سلبهم حريتهم واستولى على أراضيهم وخيراتهم.

وكان موقف زعيم الحزب الدستوري الحر السيد الحبيب بورقيبة[5] من دول المحور ، وهو عدم الانحياز إليها ضد قوات الحلفاء، حيث إنه أثناء وجوده في أوروبا كان مطلعاً على مجريات الحرب وكانت المؤشرات تدل على انتصار قوات الحلفاء، وقد عبر عن ذلك في رسالة سرية بعث بها إلى الحبيب ثامر من حصن سان نيكولاSanit Nicolas ، حيث جاء فيها "إن المانيا لن تربح الحرب ولا يمكنها أن تربحها، وسوف تسحق كالحجر بين فكي العملاقين الروسي والإنجليزي المسيطرين على البحار وذوي القدرات الصناعية غير المحدودة، وآمركم أنتم المناضلين بالاتصال بالفرنسيين من أنصار ديغول؛ لتنسيق نضالنا في الخفية. وينبغي أن يكون دعمنا بلا قيد أو شرط؛ لأن المسألة قضية موت أو حياة بالنسبة لتونس"[6].

نلاحظ من خلال هذه الرسالة اطلاع السيد بورقيبة على مجريات الأحداث العالمية، والاستشراف الصائب لمآل الأمور بين قوات المحور والحلفاء، وكان هذا الرأي المستند على

معطيات عملية يخالف رأي الشعب التونسي وعدد كبير من قادة الحزب الدستوري الحر. وقد أسهم هذا الرأي الحيادي في تجنيب الشعب التونسي والحركة الوطنية ردت فعل انتقامية قد تتخذها فرنسا؛ عند فوز الحلفاء بالحرب.

وفي يناير 1943م افرجت السلطات الألمانية على بورقيبة، وتم ترحيله إلى إيطاليا، وحاولت المانيا الحصول منه على تصريح يؤيد قوات المحور، ويوجه نداء إلى الشعب التونسي بدعمها والوقوف إلى جانبها، وحاول بورقيبة تجنب اتخاذ موقف مؤيد لقوات المحور. إلا أنه وقع تحت الضغوط الإيطالية والتي دفعته إلى توجيه خطاب إلى الشعب التونسي عبر إذاعة راديو باري Bari دعا فيه إلى توحيد الصفوف وتدعيم النضال الوطني[7]. وقد تنصل بورقيبة عن إعطاء أي وعود لصالح المحور، حيث قال "ليس بإمكاني عمل أي شيء من دون رئيس دولتي الباي، فعليكم الاتصال به"[8] ورفض أي تعاون مع المحور إلا في حالة الاعتراف باستقلال تونس.

وقد عاد السيد بورقيبة إلى تونس في 7أبريل1943م بعد خمس سنوات قضاها رهن الاعتقال. وما لبث أن هزمت قوات المحور وانتصر الحلفاء على الأراضي التونسية في 13 مايو1943م، الأمر الذي أدى إلى فرار العديد من قادة الحركة الوطنية التونسية، منهم الحبيب تامر ، يوسف الرويس، الحبيب بو قطفة، الهادي السعيد.[9]

ب- أسباب رحلة بورقيبة إلى مصر.

إن تلاشي قوة الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة المتمثلة في فرنسا وبريطانيا، وظهور قوة أخرى كبرى

(الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية)؛ أدى إلى حدوث متغيرات دولية جديدة، حيث كان التوجه نحو إقرار حق الشعوب في تقرير مصيرها، كما نص عليه مؤتمر سان فرنسيسكو المنعقد في يناير 1945م . كما أن تأسيس جامعة الدول العربية في مارس 1945م[10]، والتي تهدف إلى دعم التضامن بين العرب ومؤازرة الدول العربية المحتلة ومساعدتها على نيل استقلالها.

وكان لهذه التطورات الأثر الكبير في دفع قيادة الحزب الدستوري الحر إلى تدويل القضية التونسية، بهدف الضغط على فرنسا من قبل المؤسسات العربية والدولية لتحقيق الاستقلال، فرأى قادة الحزب ضرورة إيفاد زعيم الحزب السيد الحبيب بورقيبة إلى القاهرة؛ لإقناع الدول العربية المنظمة إلى الجامعة العربية بتبني القضية التونسية وعرضها في المحافل الدولية[11]، ولهذا

فقد سافر بورقيبة إلى مصر بعد أربعة أيام فقط من إعلان تأسيس جامعة الدول العربية، وبما أنه كان مطارداً من سلطات الاحتلال الفرنسية، أضطر أن يتنقل خفية نحو ليبيا عبر البحر، فهو لا يملك جواز سفر حتى يمكنه الوصول إلى القاهرة بالطرق الرسمية؛ فاضطر أن يستعين بإخوانه في ليبيا لتأمين سفره هذا.

ثانياً- الدعم الليبي للحركة الوطنية التونسية خلال فترة الإدارة العسكرية 1945م-1951م.

اتسمت فترة حكم الإدارة العسكرية في ليبيا (1943م-1951م) بالتضييق على الليبيين أمنيا وفصل ليبيا إلى ثلاثة أقاليم كل أقليم بمثابة دولة منفصله، وهذا ما جعل من عمليات دعم الحركة الوطنية التونسية أمراً محفوفاً بالمخاطر، وهذا لم يفت في عضد الليبيين، بل وقفوا بكل قوة مع إخوانهم .

ا- الأوضاع الأمنية في ليبيا خلال حكم الإدارة العسكرية 1945م-1951م.

شهدت ليبيا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية تغيرات كبيرة تمثلت في طرد المحتل الإيطالي، ووقوعها تحت حكم الإدارة العسكرية البريطانية في برقة وطرابلس، والإدارة الفرنسية في فزان. وقد تم الاتفاق بين القائد البريطاني مونتغمري Montgomery ونظيره الفرنسي لوكلير Leclerc في 26يناير 1943م على أن يكون الحد الفاصل بين الإدارتين هو خط عرض 28 شمالاً. ثم احتل الفرنسيون غدامس وتم ضمها إلى منطقة إدارتهم،[12]وضمت فزان إلى الإدارة الفرنسية في جنوب الجزائر، وقد حكمت المنطقة بواسطة إدارة عسكرية مباشرة يمثلها ضباط الحاميات الذين يقومون بالمهام السياسية والإدارية والأمنية.

وقد خضعت المنطقة إلى تدابير أمنية صارمة، حيث خطب الجنرال لوكلير في أعيان المنطقة وأكد على أن فرنسا دخلت فزان بالقوة ولن تخرج منها إلا بالقوة . وقد عاش الإقليم في عزلة تامة، حيث منعت عنه فرنسا أي اتصال بطرابلس، وقد اضطر أعضاء اللجنة السرية بأن يتفقوا مع تاجر بضائع من طرابلس[13] بأن يورد لهم المنشورات والمطبوعات ويخفيها في صناديق الفواكه. وتناقض فرنسا هذا الفعل حيث ذكرت في تقريرها المقدم للجمعية العامة الأمم المتحدة أن دخول الصحف من طرابلس وبرقة ومصر وتونس مسموح به.[14]

كما منعت السلطات الفرنسية إنشاء فروع للأحزاب الوطنية، حيث يذكر السيد مصطفى ميزران رئيس الحزب الوطني بطرابلس في تصريح له لصحيفة الأهرام بأن الفرنسيين قد فصلوا فزان بستار حديدي، وقد طلبنا من المدير الفرنسي السماح بإفتتاح فرع للحزب في فزان ولكنه رفض.[15] وعند سؤال اللجنة الرباعية[16] السلطات العسكرية الفرنسية عن شكوى مقدمة من الحزب الوطني الطرابلسي مفادها أنه قدم للسلطات الفرنسية بفزان طلب فتح فرع للحزب في عام 1946م، إلا أنه رفض طلبه؛ وأجاب ممثل الإدارة العسكرية الفرنسية أنه سيبحث الأمر.[17] إلا أنه لم يتم منح أي موافقة لإفتتاح فروع للأحزاب الوطنية بفزان.

وقد تعاونت المخابرات الفرنسية مع نظيرتها الإنجليزية في مناطق سيطرة الأخيرة، حيث توجد العديد من الدلائل على ذلك، وهي تتمثل في متابعة نشاط الحركة الوطنية التونسية في طرابلس، وكذلك رصد ومتابعة بعض الشخصيات الليبية التي تؤوي وتؤمن أعضاء الحركة الوطنية التونسية المتواجدين على الأراضي الليبية .

أما عن منطقة برقة فقد قسمت إلى سبع مناطق تولى إدارتها المحلية ضباط بريطانيون، وقد استخدم الجنيه المصري كعملة يتم تداولها في الإقليم. وبالنسبة إلى طرابلس فقد فصلت تماماً عن برقة وكذلك فزان، وكانت الإدارة المحلية بها يتولى شؤونها 263 من رجال الجيش البريطاني، يساعدهم مدنيون منهم 873إيطالياً و688عربياً، وقد تداولت عملة خاصة بالإقليم أطلق عليها اسم المال وحدد بنحو 480 مال للجنيه الاسترليني.[18]

نلاحظ مما سبق أن ليبيا وقعت تحت الاحتلال من قبل بريطانيا وفرنسا، ووضعت تحت الحكم العسكري، الذي أحكم قبضته عليها بفصل ولاياتها الثلاث ، وقد تعاونت الأجهزة الأمنية الفرنسية والبريطانية في ضبط هذه المستعمرة والحيلولة دون تقديمها الدعم للحركة الوطنية التونسية والجزائرية، والتي تأويها العناصر الوطنية الليبية، والتي عرضت نفسها للخطر من أجل هذا الهدف النبيل. وقد احتضن الشعب الليبي العديد من قيادات الحركة الوطنية التونسية وقدم لها الدعم المادي والإيواء والتنقل ومن أهم هذه الشخصيات السيد الحبيب بورقيبة ، زعيم الحزب الدستوري الحر وذلك إبان رحلته إلى مصر من أجل قضية بلاده.

ب- رحلة الحبيب أبورقيبة عبر الاراضي الليبية إلى مصر.

كان اختيار بورقيبة للسفر إلى مصر عبر ليبيا، بالرغم من وقوعها تحت الحكم الاستعماري؛ مبنيا على إيمانه بأن الشعب الليبي سيقدم له كل الدعم لوصوله سالماً إلى وجهته ، ففي 26 مارس

1945م وصل بورقيبة خفية إلى صفاقس وحل ضيفاً عند أحد اصدقائه الوطنيين وهو خليفة أحواص، والذي يملك مركباً شراعياً وضعه تحت تصرف الحزب. وعند حلول الليل ركب بورقيبة المركب صحبة الريس علي الزاهي ومعاونه محمد عون[19]، قاصدين جزيرة قرقنة[20]، والتي وصلها يوم 27مارس. ثم أبحر إلى جزيرة فروة بالقرب من السحل الليبي ، والتي نزل بها في2 أبريل ومكث بها ستة أيام.[21] وفي هذا الصدد يذكر الصافي سعيد في كتابه بورقيبة سيره شبه محرمة بأن القارب اقترب من ساحل صبراته، وتم نزول خليفة أحواص ومحمد عون إلى البر للقاء الشخص الذي سيكون في انتظارهم، ولم يتمكنا من التواصل معه.[22]

ويتناقض هذا السرد مع ما ذكره السيد حافظ معمر في مقال له ، بأن السيد بورقيبة وصل إلى جزيرة فروة قادما من جزيرة قرقنة، وتسلل أحد مرافقيه واسمه محمد العون نحو شاطيء الجزيرة ، وقصد منزل الشيخ مصطفى القروي، وبعد تناول أمر نزول بورقيبة إلى الجزيرة عاد محمد العون إلى أبورقيبة حاملاً له رسالة تفيد بتعذر النزول في هذا اليوم ، وينصح بالبقاء بعيداً عن النقطة الحدودية، والانتظار حتى اليوم التالي حتى يغادر رجال الشرطة المتواجدين في الجزيرة.[23]

وعندما علم الشيخ القروي بأهمية الضيف وأنه من زعماء الحركة الوطنية التونسية، قام في اليوم التالي بالتنسيق مع أحد أصدقائه المخلصين بتأمين نزول بورقيبة مع مرافقه إلى شاطيء تيبودا[24]، وأمّن له مكاناً للإقامة، وطلب من بورقيبة أن يرتدي لباساً ليبياً حتى لا يلفت الأنظار إليه، ثم حل ضيفاً على عائلة الطوينيين،[25] ومنها أستأنف السير إلى صبراته بعد تأمين الطريق. مما سبق نستنتج أن السلطات البريطانية تفرض قبضة أمنية شديدة على ليبيا، فجزيرة فروة وهي صغيرة وشبه مهجورة ويقطنها عدد بسيط من السكان ؛ لم تنجو من دوريات التفتيش التي تقوم بها الشرطة كل حين. وما اعتذار الشيخ القروي من استقبال بورقيبة إلا خوفاً عليه وعلى نفسة من الشرطة، ولما علم أن بورقيبة من المناضلين فقد جازف باستقباله معرضاً نفسه للخطر نصرةً لإخوته التونسيين.

وقد واصل أبورقيبة رحلتة في حماية أخوته الليبيين، حيث استقل القطار من مدينة الزاوية إلى مدينة طرابلس، وقد كان في استقباله أحد قادة الحركة الوطنية في ليبيا وهو السيد مصطفى حسين باشا "مصطفى ميزران"[26] وقد أمن له الإقامة إلى أن سنحت له الفرصة لإرسالة إلى مصراته مع رسالة توصية إلى أحمد السويحلي، وعند وصوله إلى مصراته مكث بها ثلاثة أيام للاستعلام عن أصول عائلته بها، ثم ركب الكوريرا

(شاحنة البريد) متخفياً في الزي الشعبي الليبي متوجهاً إلى بنغازي.[27]

وعند وصوله إلى بنغازي زار ابورقيبة عائلة كانون التونسية، وذلك لبحث إمكانية تهريبه إلى مصر؛ إلا أنهم اعتذروا عن مساعدته لوجود الشرطة المتحركة وأحكام القبضة الأمنية للإنجليز، وكذلك مراقبة المخابرات الفرنسية للسيد أبورقيبة، فخافوا من تبعات هذا الامر. وعندها تدخل المناضل يوسف مادي [28] لتأمين رحلة أبورقيبة تجاه مصر، وكان أبورقيبة في ضيافة السيد عمر باشا الكيخيا، وتم الاتفاق على إطلاق اسم محمد المليان على أبورقيبة، والسفر في وسيلة نقل عامة مع ارتداء الزي الشعبي الليبي؛ وذلك لتمويه الشرطة وأجهزة المخابرات التي تتبعه.[29]

ولما توقفت الشاحنة في مدينة المرج ، صعد على متنها أحد رجال المخابرات الفرنسية وهو المعروف "بسيدي بوغرارة"[30]ويدعي أنه ولي صالح، وهو متواجد في منطقتي المرج ودرنة منذ بداية الحرب العالمية الأولى، ويؤكد هذا أن السيد بورقيبة كان تحت مراقبة المخابرات الفرنسية منذ قدومه إلى بنغازي. وعند الوصول إلى درنة سأل سائق الشاحنة أبورقيبة عن مكان النزول فأجابه أنه يريد فندق الوادي، وذلك لتمويه المخابرات الفرنسية، وعند حلول الليل توجهت المجموعة إلى منزل يوسف مادي في أطراف المدينة.[31]

وأثناء الإقامة بالمنزل المذكور خرج أابورقيبة يتنزه في شارع روما واشترى بعض السمك لإعداد العشاء حيث كان مغرماً بالسمك[32]، مخالفاً لتعليمات يوسف مادي القاضية بعدم مغادرة البيت نهائياً؛ حرصاً على سلامة زعيم الحركة الوطنية التونسية، وعند عودة يوسف مادي أنّبه على هذا العمل ، واعتبر أن بورقيبة بل والقضية التونسية أمانة في عنقه. وفي الليلة نفسها طرق الباب عون المخابرات الفرنسية أبو غرارة وهو يسأل عن أبورقيبة،[33] إلا أن يوسف مادي انكر وجوده، وقرر ترحيله غداً فجراً ؛ لأنه أدرك أن الشرطة ستقبض عليه غداً صباحاً.

وفي الصباح استقل أبورقيبة ورفيقه شاحنة كانت متجهه نحو طبرق بعد التنسيق مع الباشا علي العبيدي، ومن ثم استقلوا الدواب لعبور النقطة الحدودية عند السلوم،[34]وتسهيلاً لتنقلهم فقد زودهم الشيخ علي العبيدي برسالة توصية إلى الشيخ ميكائيل وهو من قبيلة حبّوُن[35] القاطنة عند الحدود الليبية المصرية؛ وذلك لتأمين عبورهم بسلام.

أما بالنسبة ليوسف مادي فقد كان بانتظار قدوم السلطات الإنجليزية للبحث عن بورقيبة، حيث قدم في نفس اليوم الذي غادر فيه أبورقيبة مجموعة تألفت من سيرجنت إنجليزي وفرنسي

واثنين من التوانسة ونائب عريف ليبي، ومعهم جواب من المتصرفية بتفتيش المنزل.[36]وهذا يؤكد علم المخابرات الفرنسية بتحركات أبورقيبة وسعيهم للقبض عليه، كما يدل على التعاون الوثيق بين السلطات الانجليزية والمخابرات الفرنسية. ولعلنا ندرك من خلال هذا السرد، مدى التضحية التي قام بها المناضل يوسف مادي نصرةً للحركة الوطنية التونسية.

ج- دعم جمعية عمر المختار للحركة الوطنية التونسية.

كان لجمعية عمر المختار[37] دورُ قوميُ مسانداً للحركات الوطنية في الوطن العربي عامةً وفي المغرب العربي بصورة خاصة. وشهدت الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تدفق العديد من شباب المغرب العربي من دول (تونس، الجزائر، المغرب) وذلك للالتحاق بالمؤسسات العلمية، والبعض الآخر كان هدفهم دعم قضية أوطانهم بغية الحصول على الاستقلال. وكانت جمعية عمر المختار تستقبل هؤلاء الشباب وتقدم لهم يد العون من أجل مواصلة الرحلة إلى مصر، حيث قام عضوا الجمعية السيد محمود مخلوف والسيد المهدي المطردي باستخراج وثائق سفر من الإدارة العسكرية للشباب، وذلك بمهنة رعاة أغنام حيث يتم نقلهم في الشاحنات التي تنقل الأغنام لغرض التصدير إلى مصر.[38]

وعند تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة،[39]كان السيد محمد بشير المغيربي سكرتير عام جمعية عمر المختار، على اتصال مستمر بالأخوة المناضلين التونسيين في القاهرة ، ومنهم الحبيب تامر، والحبيب بورقيبة، وإبراهيم طوبال، وصالح بن يوسف، والمنجي سليم؛ وذلك لتقديم العون لهم خاصة عند عبورهم ليبيا.[40]

وبالتنسيق مع جمعية عمر المختار زار السيد أبورقيبة بنغازي في أغسطس 1948م، وكان في استقباله السيد سكرتير الجمعية محمود مخلوف، والسفير المصري ببنغازي، وبهذه المناسبة أحيت الجمعية حفلاً كبيراً في سوق الجمعة، حضره السفير المصري السيد أحمد بهجت، ورئيس الجمعية، وعدد من وجهاء مدينة بنغازي، وقد القى ابورقيبة كلمة عن القضية التونسية[41] ورغبته في جلب الدعم لها بغية تحقيق الاستقلال. وقد حدث سوء فهم في كلمته حيث أشار إلى أن النضال في المغرب العربي نتج عنه آلاف الشهداء ولم يلق ذلك إشارة في وسائل الإعلام، بينما النضال في المشرق الذي يتمثل في المظاهرات ويلقى اهتماماً إعلاميا، وقد فهم القنصل المصري أن الكلام مقصود به مصر، فمنع أبورقيبة من العودة إلى مصر، وقد تدخل السيد مصطفى ابن عامر رئيس الجمعية، والسادة محمود مخلوف، والمهدي

المطردي، وبشير المغيربي، حيث قاموا بزيارة القنصل المصري صحبة أبورقيبة، واستطاعوا إقناعه بالعدول عن قراره[42]، حيث إن أبورقيبة لا يقصد مصر ولا يسيء إليها.

وقد استغل أبورقيبة وجوده في بنغازي وعلاقته الطيبة مع زعماء جمعية عمر المختار؛ وطلب من بشير المغيربي أن يقوم بتنظيم لقاء له مع الأمير إدريس السنوسي، وتم ذلك في نفس اليوم، حيث استقل السيارة كل من أبورقيبة، وبشير المغيربي، ومحمد مخلوف متجهين إلى قصر الأمير في ضواحي بنغازي، وخلال اللقاء طلب أبورقيبة من الأمير فتح مكتب للمغرب العربي في بنغازي برئاسة الدكتور الحبيب ثامر، وقد وافق الأمير إدريس على فتح المكتب.[43]

وقد بلغ التنسيق والتعاون بين جمعية عمر المختار وأبورقيبة مستوى عالياً ، وكانت طلباته كلها مجابة، وخاصة فيما يتعلق بالتقصي حول الأشخاص التونسيين الوافدين إلى بنغازي، والذين يرغبون في التوجه نحو مصر. وفي برقية بعث بها أبورقيبة إلى محمود مخلوف سكرتير الجمعية بتاريخ 1949/6/20م، جاء فيها "إلى حضرة المجاهد الأستاذ محمود مخلوف، تحية وسلاماً وبعد: فقد وصلتنا برقيتكم بشأن الأخ يوسف دِبال وهو من الإخوان الوطنيين لدينا" ويطلب منه في هذه البرقية أن لا يتساهلوا فيمن يطلب السفر إلى مصر؛ وذلك لحدوث مشاكل يصعب التغلب عليها،[44] وفي ختام الرسالة يتوجه بالشكر إلى أعضاء الجمعية للعناية التي يولونها بإخوانهم المجاهدين التونسيين، وتقديم المساعدة اللازمة لهم.

ويبدو أن هدف الحبيب بورقيبة من زيارته لبنغازي؛ الاجتماع مع العديد من الشخصيات التونسية من أنصار الحزب الدستوري الحر؛ وذلك للعمل على إمكانية قيام ثورة مسلحة في تونس[45]، وقد صرح بذلك للصحافة عند عودته لمصر. ولم ينس بورقيبة مواقف أعضاء جمعية عمر المختار المساندة للحركة الوطنية التونسية، حيث دعا السيد بشير المغيربي، والسيد محمود مخلوف إلى زيارة تونس في مناسبتين مختلفتين، إحداهما في 1957م والأخرى في 1962م[46]. ولكن لم يذكر مجهودات الجمعية الكبيرة الداعمة لتونس من خلال خطاباته العديدة بمناسبة الاستقلال. كما أن المؤرخين والكتاب التونسيين تجاهلوا هذه المواقف الوطنية التي انتهجتها جمعية عمر المختار وكذلك الأحزاب الوطنية والعديد من الوطنيين الليبيين.

د- دعم القوى الوطنية في طرابلس للحركة الوطنية التونسية.

كان للقوى الوطنية في طرابلس دوراً كبيراً في دعم الحركة الوطنية التونسية، ولعل قرب طرابلس من الحدود التونسية جعلها مأوى للعديد من المناضلين التونسيين كلما ضاقت بهم السبل

في بلادهم ، كما أن العوامل العرقية والدينية والكفاح المشترك ضد المحتل ساهمت في احتضان الشعب الليبي لإخوانهم التونسيين.

استقبلت القوى الوطنية في طرابلس العديد من المناضلين التونسيين وقدمت لهم يد العون، بالرغم من القبضة الأمنية الإنجليزية، ومتابعة المخابرات الفرنسية لتحركات التونسيين، وكان المؤتمر الوطني الطرابلسي[47] من أبرز الهيئات التي دعمت حركات المقاومة الوطنية في المغرب العربي عامة وفي تونس بصفة خاصة[48]. ولعل من أهم الشخصيات التي دعمت بسخاء هو رجل الأعمال الليبي السيد محمد الكريكشي، وهو أحد قيادات حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي، وكان يستضيف قيادات الحركات الوطنية في المغرب العربي، ومنهم المناضلين التونسيين مثل الباهي الأدغم، والمنجي سليم، وغيرهم من الشخصيات المهمة.[49]

ويقوم السيد الكريكشي بتأمين الإقامة والتنقل لهؤلاء القادة؛ حرصاً عليهم من خطر المخابرات الفرنسية، والتي قامت بالعديد من محاولات الاغتيال ضدهم، وتبرع بمنزل له يقع في شارع ميزران بطرابلس وخصصه لإيواء أعضاء الحركة الوطنية التونسية[50]. وقد تم تكريمه نتيجة أعماله الوطنية هذه من قبل الأمين باي ملك تونس، كما قام الرئيس الحبيب أبورقيبة بتكريمة عند وصوله للسلطة[51]؛ وذلك عرفاناً بمجهوداته في نصرة الحركة الوطنية التونسية.

كما أن السيد مصطفى ميزران أحد قيادات حزب المؤتمر الوطني، كان له دوراً كبيراً في مساندة أعضاء الحركة الوطنية التونسية، فكان يوفر لهم الحماية من خطر المخابرات الفرنسية. وفي هذا الصدد يذكر السيد عبدالله عبعاب عند دخوله إلى ليبيا قد استقبلني الحاج صالح خماج في مدينة العجيلات ، وقام بنقلي إلى طرابلس حيث أنه لا يوجد لدي مال، وقد زودني بعنوان شخص تونسي يدعى محمد بوزناد[52] . وفي يوم 10 يونيو 1948م قام محمد بوزناد بالاتصال بالسيد مصطفى ميزران ؛ حيث أنه خاف على نفسه وعلى ضيفه إن علمت به المخابرات الفرنسية، واطلعه على وضعه فقال له " اطمئن وأهنأ بالاً ، أنت في بلدك وليس في مقدور الفرنسيين أخذك من عندنا" وتم إيوائه في فيلا ملك لمصطفى ميزران[53].

وفي 25 أغسطس 1948م زار كل من الحبيب أبورقيبة وعبدالله عبعاب طرابلس، وكان هدفه مقابلة المنجي سليم أحد قيادات الحزب الدستوري الحر، حيث كان الأخير مقيماً بتونس، وعند وصولهما طرابلس طلب أبورقيبة من المختار الوريمي أن يتصل بالسيد مصطفى ميزران؛ وذلك للاستعانة به في الحصول على إذن الإقامة من الحاكم الإنجليزي، وكذلك تأمين تحركاته وتذليل كل

الصعاب التي قد تواجهه. وعند وصول مصطفى ميزران طلب من أبورقيبة مغادرة الفندق فوراً؛ وذلك لإن الإقامة فيه تشكل خطراً على حياته، ويرجع ذلك إلى أن مالك الفندق فرنسي[54] ، وقد أمن له مكاناً لإقامته في فندق المهاري، كما لبى طلب أبورقيبه بخصوص منحه وثيقة إقامة من الحاكم الإنجليزي ، فأتصل بصديقيه بوزيد دهان، وأبوبكر بوسهمين واللذين دبرا مقابلة أبورقيبة بالحاكم وتم منحهُ إقامة عن طريقهما بشرط عدم القيام بأي نشاط سياسي؛ خشية إثارة المتاعب من قبل المخابرات الفرنسية.

مما سبق يتضح مدى اهتمام القيادات الوطنية في ليبيا بالحركة الوطنية التونسية، بتوفير الحماية لعناصرها من خطر الفرنسيين، والذين يتحركون بكل حرية داخل طرابلس وبتواطيء من السلطات الحاكمة الإنجليزية، كما أن الليبيين يعتبرون التونسيين أخوة لهم وجب عليهم حمايتهم مهما كلف الامر.

ثالثاً- الدعم الليبي للحركة الوطنية التونسية خلال فترة الاستقلال1952م-1956م.

عند استقلال ليبيا تحولت طرابلس إلى قاعدة أساسية تقدم الدعم للحركة الوطنية التونسية؛ وذلك لعدة أسباب أهمها أن ليبيا دولة مستقلة منذ 24 ديسمبر 1951م الأمر الذي يتيح لقيادات وأعضاء الحركة حرية الإقامة والتحرك في طرابلس دون قيد ، وعلاوة على ذلك وجود قوى وطنية مساندة للمقاومة التونسية، كما أن اتساع الحدود بين البلدين وعدم السيطرة عليها بفاعلية؛ ساعد على تدفق التونسيين إلى ليبيا كلما ضاق بهم الحال وشدد المحتل عليهم الخناق.

ا – موقف الحركة الوطنية التونسية والشعب التونسي من استقلال ليبيا.

إن قادة الحركة الوطنية التونسية يعولون كثيراً على استقلال ليبيا، حيث إن ليبيا بحكم موقعها الجغرافي تكون قاعدة ونقطة انطلاق للمجاهدين التونسيين باتجاه تونس [55]، كما أنه يمكنهم ’إعداد وتدريب وتسليح منتسبي الحركة الوطنية، والزج بهم عبر الحدود القريبة إلى مناطق العمليات. وعند إعلان استقلال ليبيا ادرك الشعب التونسي وقياداته الوطنية أن الحصول على الاستقلال أصبح قريباً ، وأن استقلال ليبيا ما هو إلا الخطوة الأولى التي تليها استقلال باقي دول المغرب العربي. فعمت الفرحة العديد من المدن والقرى التونسية.

و أرسلت برقيات التهاني إلى طرابلس ابتهاجاً بالاستقلال ، فأرسل الحبيب أبورقيبة رسائل تهنئة إلى كل من الأمير إدريس السنوسي وإلى المناضل السيد بشير بك السعداوي[56]. كما أقام الحزب الدستوري الحر في 1949/11/25م حفلتين بهذه المناسبة، أحدهما في ساحة الحلفاويين حيث

خطب الكاتب العام للحزب الدستوري الحر السيد صالح بن يوسف في جماهير غفيرة ، مهنئاً الشعب الليبي على نيله استقلاله تتويجاً لكفاحه وجهاده الطويل، ودعا الشعب التونسي إلى استمرار الكفاح لنيل الاستقلال فاليوم ليبيا وغداً تونس.[57] أما الحفل الثاني فقد أقيم بساحة الغنم وفيه ألقى السيد المنجي سليم مدير الحزب الدستوري الحر خطاباً هنأ فيه الشعب الليبي على نيل استقلاله[58]، مشيراً إلى التضحيات الجسيمة التي دفعها الشعب الليبي للوصول إلى مبتغاه، مخاطباً الشعب التونسي بالسير على هذا المنوال.

كما احتفلت مدينة صفاقس بهذا النصر للشعب الليبي، ورفعت الزينه والرايات على الدكاكين، وبعثت برسائل التهنئة إلى قيادات الحركة الوطنية في ليبيا.[59] فقد بعث السيد الهادي شاكر برقيتين أحدهما إلى الأمير إدريس السنوسي والأخرى إلى المناضل بشير السعداوي، ويهني فيهما القيادات الوطنية والشعب الليبي بما تحقق له من الأماني الغالية بنيله استقلاله. ولم تغب المرأة التونسية عن هذا الحدث المهم ، حيث قامت السيدة بشيرة ابن مراد رئيسة الاتحاد الإسلامي التونسي بإرسال برقية إلى السيد بشير السعداوي رئيس الحزب الوطني الطرابلسي في 1949/11/23م تحمل تهاني المرأة التونسية إلى الشعب الليبي وأخواتهن في ليبيا بهذه المناسبة [60].

وفي هذا الصدد بعث السيد المختار بن عطية باسم تجار أسواق مدينة تونس رسالة إلى رئيس المؤتمر الوطني بطرابلس السيد بشير السعداوي، يعرب فيها عن تهاني الشعب التونسي إلى الشعب الليبي الشقيق بمناسبة تقرير استقلاله من طرف هيئة الأمم المتحدة[61].

مما سبق نرى أن الشعب التونسي بكل أطيافه من قيادات في الحركة الوطنية وتجار والاتحاد النسائي، قد عبر عن فرحته باستقلال ليبيا ، واعتبار ذلك بارقة أمل نحو استقلال تونس، كما يبين هذا التفاعل الكبير الروابط العميقة بين الشعبين، فاستقلال ليبيا يعد مقدمة لاستقلال تونس ، فهذا الحدث العظيم يشد من ازر الشعب التونسي، ويحفزه على التصميم من أجل نيل استقلاله.

ب- حركة المقاومة الوطنية التونسية في طرابلس.

شهدت الفترة بين يناير 1952م واكتوبر في نفس السنة موجة من الأعمال العسكرية الفرنسية ضد حركة المقاومة الوطنية التونسية، فقد قبض على 5269 شخصاً، وحكم على 2306 منهم بأحكام مختلفة وصل بعضها إلى الإعدام، وأدى هذا إلى توجه العديد من المعارضين الفارين من الاضطهاد إلى طرابلس، وكان على رأس أولئك المقاومين المناضلين الدستوريين علي الزليطني[62]، و

محمد مراد بوخريص، اللذين وصلا طرابلس[63] وأخذا في مساعدة إخوانهم المطاردين في تونس بغية تهريبهم إلى ليبيا؛ وذلك لتنظيم صفوفهم والاعداد لتكوين حركة مقاومة تنطلق من طرابلس.

وإزاء هذا العنف قرر زعيم الحزب الدستوري الحر الحبيب أبورقيبة مواجهة قوات الاحتلال بالمقاومة المسلحة، بالرغم من سياسة الملاينة التي انتهجها، وقد استقر رأيه على تكليف على الزليطني وإنشاء مركز لتدريب المتطوعين التونسيين، وكذلك الإشراف على عمليات تهريب السلاح وإيواء الجرحى خلال العمليات الحربية.[64]

وقد عين أبورقيبة ضباط للإشراف على التدريب العسكري على رأسهم عزالدين عزوز، ومجموعة من السياسيين للإشراف العام والاتصال بالحزب وبالسلطات الليبية وبعض الشخصيات الوطنية في طرابلس، ومنهم مراد بوخريص والطيب سليم وعلي النائلي وعلى رأسهم علي الزليطني؛[65] والذي اختاره أبورقيبة لإن أصوله ليبية وله أقارب في طرابلس يمكن الاستفادة من خدماتهم في ’إنجاح هذه العملية.

وشرع الزليطني في تنفيذ المهمة بافتتاح مكتب للحزب الدستوري الحر في شارع الرشيد بطرابلس، كما أجر فيلا في منطقة قرقارش لإيواء المتطوعين، واتخذا فريق العمل مزرعة لشخص تونسي يدعى الشاذلي ربانة كمقر للتدريب والإيواء ، وتقع على مسافة سبعة كيلومترات عن منطقة قصر بن غشير .[66] وقد ذكر التقرير الاستخباراتي الفرنسي معلومات دقيقة عن مكان التدريب تمثلت في الآتي: تبلغ مساحة المزرعة 125 هكتاراً ، ويوجد بها مبنى يتكون من ثمانية غرف منها أربعة استخدمت لإيواء الجنود وغرفتان أحدهما لآمر المعسكر والثانية تستخدم كمكتب، والأخيرتان إحداهما مطبخ والأخرى مخبز، ويتم التدريب على مسافة كيلومتر من هذا المبنى.[67] إن هذه الوصف الدقيق للمعسكر يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك مدى الاختراق الاستخباراتي لمجندي الحزب الدستوري، بالرغم من الاجراءات الأمنية التي قام بها الحزب بالتأكد من شخصية المتطوعين وذلك بالتعاون مع محافظ غريان السيد أحمد سوف المحمودي، حيث زوده على الزليطني بقائمة تضم أسماء جميع هيئات الشُعب الدستورية بتونس[68].

وساعد العديد من الوطنيين الليبيين إخوانهم التونسيين في تنفيذ هذا البرنامج، فقد عمل السيد الهادي المشيرقي على تقديم يد العون إلى السيد علي الزليطني؛ تمثل في تذليل بعض الصعاب والتنسيق مع الحكومة الليبية. كما أن السيد محمد الكريكشي وهو عضوٌ في البرلمان، استطاع أن يتحصل على

موافقة الحكومة على منح التونسيين التابعين لحركة المقاومة حق اللجوء السياسي[69]، وبهذا أصبح التونسيون يتجولون بحرية داخل ليبيا.

وقد أشاد الكاتب حمدي الزليطني في كتابه علي الزليطني بالدور المهم الذي الذي قامت به ليبيا تجاه تونس، في حين تنكر أبورقيبة لهذا الدور حيث قال: إن الدول العربية لم تقدم المساعدة للحركة الوطنية التونسية، ولم ترسل حتى رصاصة واحدة، وذكر أن ليبيا وضعت أراضيها الحدودية الغربية تحت تصرف التونسيين، وهذا شيء عظيم ، وقد كان الليبيون فريحين بهذا الواجب.[70]

ج- الامداد بالسلاح.

كانت مصادر السلاح التي تتزود بها حركة المقاومة التونسية في طرابلس متعددة، منها ما تم جلبه من مصر عن طريق السيد صالح بن يوسف[71]، وأغلب الأسلحة كانت من مخلفات الحرب العالمية والتي تركت بليبيا إثر انهزام قوات المحور، وقد وجدت هذه الأسلحة عند مجندين كوماندس فرحات حشاد، عند دخولهم الأراضي التونسية والقضاء على أغلبهم من قبل الجيش الفرنسي، حيث يذكر التقرير الفرنسي بأن الأسلحة التي كانت بصحبة المجموعة هي من نوع ألماني وإيطالي، وكان يتم شراؤها بأسعار مختلفة حسب نوع السلاح وحالته، فبلغ سعر البندقية من1000-3000 فرنك والمسدس بقيمة 2000 فرنك، أما القنابل اليدوية فيتراوح سعرها من 50 إلى 100 فرنك للقطعة. وقد ضبط مع الكوماندس 17 بندقية و136 قنبلة يدوية و5100 خرطوشة[72].

وقد قام الليبيون بعملية شراء ونقل هذه الأسلحة وتخزينها في أماكن آمنة؛ بغية نقلها إلى تونس، وتتم عملية نقلها أولاً من طرابلس إلى زوارة عن طريق البحر، ثم تشحن إلى منطقة أبي كماش بواسطة أحد الوطنيين الليبيين يدعى مسعود الزواري، وثم يتم نقلها بحراً إلى الأراضي التونسية متى سنحت الظروف الأمنية، حيث وفرت المقاومة التونسية مركباً يملكه رمضان بن راكس[73] ويتم الشحن ليلاً وتنزل الشحنة في البر التونسي عند نقطة غير مراقبة من قبل الجيش الفرنسي.

كما قام بعض الليبيين بنقل السلاح إلى الأراضي التونسية عبر طريق نالوت ثم تهريبه عند المناطق الحدودية في الجنوب التونسي ، ومن ضمن المجموعة التي قامت بهذا العمل السيد محمود الشويرف وهو قريب السيد علي الزليطني، والذي استخدم سيارته الخاصة في نقل الأسلحة الخاصة بحركة المقاومة من طرابلس إلى جبال نالوت ، وقد وضع سيارته تحت تصرف الحركة الوطنية التونسية حيث يستخدمها على الزليطني في تنقلاته، كما دعم رجال المقاومة بالتموين عند مكوثهم في فيلا بقرقارش.[74]

د- الاشتراك في العمليات الحربية.

لم يقتصر دور الليبيين على تقديم الدعم فقط وتوفير السلاح وتهريبه بل تعدى هذا إلى مرحلة المشاركة الفعلية في عمليات المقاومة المسلحة داخل تونس، ففي سنة 1953م عبرت مجموعة مسلحة من المجاهدين الليبيين (فريق المحاميد) من منطقة نالوت إلى تونس عن طريق جبال أذهيبة؛ وذلك لتلافي القوات الفرنسية المتمركزة في المعبر الحدودي، وهذه أسماء لبعض المجاهدين الليبيين الذين عبروا الحدود وقد تعذر ذكر البعض الآخر لعدم وضوح الخط في الوثيقة:

1- عمر بن عمار الباروني،
2- محمد السنوسي الجياجي.
3- عمر بن عيسى المحضاوي.
4- عثمان بن سالم اللملومي.
5- محمود اللملومي.
6- غرس الله بن أحمد المحضاوي.
7- المختار المشلوس الحرازي.
8- محمد الحارس اللملومي.
9- أحمد المحمودي(خبير ليبي).[75]

كما قام مجموعة من المجاهدين الليبيين بإيصال السلاح إلى كوماندس فرحات حشاد أثناء قيامة بالعمليات الحربية داخل العمق التونسي، فيذكر التقرير الاستخباري الفرنسي أن العملية تمت بدعم ليبي ، فهي أول عملية حربية داخل العمق التونسي تنطلق من الأراضي الليبية، حيث قام اثنان من الليبيين هما مبروك الزناتي وحسن بو شوّة بإيصال حمولة من الأسلحة إلى جبال مطماطة[76] داخل التراب التونسي.

إن هذه المجهودات الكبيرة التي قام بها الليبيون تجاه إخوانهم التونسيين، من إقامة على الأرض الليبية رغم وجود القوات الفرنسية والإنجليزية، و تقديم الدعم المادي بالمال والسلاح والإيواء وتأمين قيادات الحركة ومجنديها، وتعدى الأمر إلى المشاركة الفعلية في العمليات الحربية داخل الأراضي التونسية. إن هذا العمل حري بأن يسجله التاريخ ، وأن لا يتم تجاهله ونكرانه، كما فعل

الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، عندما صرح في مؤتمر صفاقس يوم 15نوفمبر 1955م بأنه لم تصلنا ولو خرطوشة واحدة من إخواننا في الشرق.[77] وما ورد في متن هذا البحث يدحض ما ذكره الرئيس التونسي ويكشف جلياً الدور المشّرف الذي قام به الليبيون تجاه إخوتهم في تونس. وعلاوة على هذا فإن كل الكتاب والمؤرخين التونسيين الذين كتبوا عن الحركة الوطنية التونسية، لم يتطرقوا إلى هذا الدور البطولي بتاتاً باستثناء الدكتور عليّه الصغير فقد صدح بالحقيقة، وتحدث عن جزئية من دعم ليبيا لتونس عند إنشاء كوماندس فرحات حشاد.

الخاتمة

مما سبق نخلص إلى النتائج الآتية:

- عند نهاية الحرب العالمية الثانية قرر زعماء الحركة الوطنية التونسية الاستفادة من المتغيرات الدولية الجديدة، لجلب الدعم العربي والدولي للقضية التونسية.

- بالرغم من تواجد القوات الاستعمارية على الأراضي الليبية ؛ فإن القوى الوطنية الليبية قدمت الدعم لزعماء

الحركة الوطنية التونسية، دون خوف من ملاحقة تلك القوى، فقاموا باستقبال الزعيم أبورقيبة ، وتأمين الإقامة والتنقل حتى وصوله بأمان إلى الحدود المصرية.

- ساندت جمعية عمر المختار ببنغازي أعضاء وزعماء الحركة الوطنية التونسية ، فقامت بتسهيل مرور المتطوعين المتوجهين إلى مصر، ومنحهم تصاريح رسمية، وكان لها دور كبير في مناصرة حركات التحرر في المغرب العربي وخاصة تونس.

- كما قام قادة المؤتمر الوطني الطرابلسي ، بالعمل على منح قادة وأعضاء الحركة الوطنية التونسية حق اللجوء السياسي، ووفروا أماكن آمنة لإقامة وتدريب المتطوعين.

- وأصبحت الأراضي الليبية قاعدة لانطلاق العمليات الحربية ضد الاحتلال الفرنسي، وقد قدم الليبيون السلاح والذخائر لحركة المقاومة التونسية ، بل شارك بعضهم في العمليات الحربية داخل العمق التونسي.

- إن موقف القوى الوطنية الليبية تجاه إخوانهم التونسيين؛ أدى إلى تلكؤ القوات الفرنسية من مغادرة ليبيا بالرغم من إعلان الاستقلال.

الـهوامــش

1- الباهي الادغم، (1913م-1998م) ولد في باب الأقواس بتونس العاصمة، من أب من أصل ليبي وأم جزائرية، كان له دوراً بارزاً في الحركة الوطنية التونسية، وكان محركاً اساسياً في الحزب الدستوري، سجن في الفترة من 1939م حتى 1944م، ثم انتخب أميناً عاماً للحزب إثر مؤتمر صفاقس المنعقد في نوفمبر 1955م. وبعد الاستقلال تولى منصب كاتب الدولة للرئاسة والدفاع لمدة خمسة عشر عاماً، ثم الوزير الأول خلال الفترة من 1969م حتى 1970م. عبدالرحمن الأدغم: الزعامة الهادئة، ذكريات وشهادات وخواطر، (ط1، تونس، نيرفانا للنشر، 2019م).

2- عبد المجيد كريّم وآخرون: موجز تاريخ الحركة الوطنية(مقاربة) 1881م-1964م،(تونس، المعهد الأعلى للحركة الوطنية بجامعة منوبة،2008)،ص 108.

3- نفس المرجع، نفس الصفحة.

4-محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ترجمة محمد الشاوش ومحمد عجينة، (ط1، تونس، دار سراس للنشر، 1999م)، ص127.

5- الحبيب بورقيبة، ولد في 1903/8/3م بحي الطرابلسية بالمنستير، وينتمي إلى عائلة ابورقيبة ذات الأصول الليبية، حيث هاجر جده من مدينة مصراته إلى تونس في 1795م، اتم تعليمه الثانوي بالمعهد الصادقي، وواصل تعليمه في فرنسا حيث تحصل على ليسانس الحقوق والعلوم السياسية ف سنة 1927م. وقد انضم إلى الحزب الدستوري سنة 1933م، ثم انشق عنه واسس الحزب الدستوري الحر سنة 1934م، اعتقل في 10 ابريل سنة 1938م إثر مظاهرة شعبية ضد الاحتلال، ونقل إلى مرسيليا حيث اعتقل بها حتى 10 ديسمبر 1942م، ثم سجن في ليون في حصن سان نيكولا، ثم نقله الالمان إلى إيطاليا ومنها إلى تونس حيث اطلق سراحه في 7 ابريل 1943م، وفي سنة 1945م سافر إلى مصر لدعم القضية خارجياً كما زار الولايات المتحدة لهذا الغرض، ثم رجع إلى تونس في 2يناير 1952م، واعتقل في 18 يناير 1952م 'إثر الثورة المسلحة في تونس، ثم اطلق سراحه في 1مايو 1955، وعاد إلى تونس ووقع اتفاقية تمنح الاستقلال الداخلي لتونس. وفي 20 مارس 1956م تم توقيع اتفاقية الاستقلال التام ، وشكل ابورقيبة اول حكومة بعد الاستقلال. www.bibliotheque.nat.tn

6- الطاهر بالخوجة: الحبيب بورقيبة. سيرة زعيم ، شهادة على العصر،(ط1، القاهرة، الدار الثقافية للنشر،1999م)،ص5.

7- عبدالمجيد كريّم وآخرون، مرجع سابق ، ص118.

8- كهلا كاضم حلمي و حمادي سلمان حمادي: "موقف الحركة الوطنية أثناء الحرب العالمية الثانية 1939م-1945م"، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية ، العدد الأول ، مارس 2013، ص59.

9- نفس المرجع، ص61.

10-سعيد جلاوي: النظام البورقيبي وقضايا المغرب العربي1956م-1987م،(رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعدالله، 2016م)، ص44.

11- عبدالمجيد كريّم وآخرون، مرجع سابق، ص125.

12- نقولا زيادة: محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال،(القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، 1958م)، ص122.

13- تحصل التاجر عبدالرحمن المصري على موافقة من القنصلية الفرنسية في طرابلس بمزاولة العمل التجاري مع إقليم فزان. انظر طلحة جبريل : محطات من تاريخ ليبيا، مذكرات محمد عثمان الصيد، (ط1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1996م)، ص35.

14- عمر جفال: العلاقات الليبية الفرنسية وموقف الجزائر منها 1941م-1962م،(رسالة دكتوراه غير منشورة، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2018م/2019م)، ص113.

15- ايليتش نيكولاي بروشين: تاريخ ليبيا منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، ترجمة وتقديم عماد حاتم ، (بيروت، دار الكتاب الجديد، 2001م)، ص275.

16- لجنة التحقيق الرباعية، بعد وضع معاهدة الصلح الإيطالية موضع التنفيذ في 15سبتمبر1947م، شرع وكلاء خارجية الدول في تنفيذ الشروط المتعلقة بالمستعمرات الإيطالية؛ لسبر أراء سكانها بخصوص مستقبل دولهم، وكان ممثلي الدول الأربع كالتالي: - جون ا. أرثر(الولايات المتحدة)- ف.ا. ستافورد(بريطانية)- يورن دي روزير(فرنسا)- ن.أ.كلينوف(الاتحاد السوفيتي). مجيد خدوري: ليبيا الحديثة، ترجمة نقولا زيادة ،(بيروت، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر،1966م)، ص143.

17- عمر جفال ، مرجع سابق، ص113.

18- نقولا زيادة، مرجع سابق، 125.

19- الصافي سعيد: بورقيبة سيره شبه محرمة،(ط1، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر،2000م)، ص135.

20- قرقنة، يقع أرخبيل قرقنة شرقي تونس على مسافة33كم عن صفاقس ، ويبلغ امتداده 40 كم وعرضه لا يزيد عن 5كم. ar.wikipedia.org

21- سعيد جلاوي، مرجع سابق، ص 44.

22- الصافي سعيد، مرجع سابق، ص 136.

23- حافظ سعيد: مقال عن نزول بورقيبة إلى جزيرة فروة ، بتاريخ 5يناير2019م،ص1 على صفحة بوابة افريقيا الإخبارية،،

24- تيبودا، قرية على ساحل البحر تبعد أربعة كيلومترات عن مركز مدينة زوارة. موقع البوابة نيوز على شبكة المعلومات الدولية.www.alawabhnws.com

25- حافظ سعيد، مرجع سابق، ص1.

26- مصطفى ميزران، ولد في طرابلس سنة1898م، وقد شغل عدة مناصب منها رئيس الحزب الوطني، اختير مندوباً عن طرابلس في المجلس الاستشاري للأمم المتحدة ، وكان من ابرز الداعمين لحركات التحرر في المغرب العربي، بعد الاستقلال اصبح نائبا عن طرابلس ، وكان من ابرز المعارضين . مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية بتاريخ 20 يناير 2012م.www.Libya now

27- الصافي سعيد، مرجع سابق، ص136.

28- يوسف سليمان مادي، ولد المجاهد يوسف مادي ببنغازي سنة 1922م، وبدأ كفاحه في 1945م مع الشعب التونسي، وفي سنة 1948م تطوع للجهاد في فلسطين رفقة 880 ليبياً . وقد تعرض للسجن عدة مرات في عهد الإدارة الإنجليزية سنة 1948م. وفي 1955م ساهم في تمويل جيش التحرير الجزائري، وفتح مدرستين لتعليم أبناء وبنات الشهداء الجزائريين وعلى نفقته، كما ساند حركة التحرير الفلسطينية. مصطفى حامد رحومة وآخرون: دور يوسف مادي في حركات التحرر العربية،(طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي،1991م) ، ص20.

29- مصطفى حامد رحومة وآخرون، مرجع سابق، 166.

30- سيدي بوغرارة، ضابط مخابرات فرنسي برتبة ملازم أول، كان يتقمص شخصية ولي صالح يعالج الناس مجاناً، وتم التعرف على هويته اثناء حادث سير حيث تدحرجت به السيارة ووجد بها أجهزة اتصال لاسلكية، وجوازات سفر متعددة ووثيقة شخصية. مصطفى حامد وآخرون، مرجع سابق، ص170.

31- مصطفى حامد رحومة وآخرون، مرجع سابق، ص167.

32- الصافي سعيد، مرجع سابق، ص 134.

33- مصطفى حامد رحومة وآخرون، مرجع سابق، ص171.

34- الصافي سعيد ، مرجع سابق، ص136.

35- مصطفى حامد رحومة وآخرون، مرجع سابق، ص173

36- نفس المرجع السابق ، صص174،173.

37- جمعية عمر المختار، أسست في القاهرة بعد هزيمة إيطاليا ، تحت اسم جمعية عمر المختار الرياضية للشباب الليبي ، في 31يناير 1942م، اول رئيس لها مصطفى بن عامر ، وهي تزاول النشاطات غير السياسية ، من ثقافية ورياضية وخيرية. إلا انها تفاعلت مع احداث ليبيا ونادت بالاستقلال وبوحدة ليبيا. الهادي إبراهيم المشيرقي: ذكريات في نصف قرن من الأحداث الاجتماعية والسياسية،(طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1980م)، ص 214.

38- محمد بشير المغيربي: وثائق جمعية عمر المختار(صفحة من تاريخ ليبيا)، (ط1، القاهرة ، مؤسسة دار الهلال، 1993م)، ص455.

39- قررت الحركات الوطنية في الأقطار المغربية الثلاث(تونس، الجزائر، المغرب) توحيد جهودها لتحقيق الاستقلال لشعوبها، فعقدت مؤتمراً في 17 فبراير 1947م في القاهرة، وانتهى إلى العمل على استقلال أقطار المغرب العربي وجلاء القوات الأجنبية عنها، وإنشاء مكتب موحد تحت اسم "مكتب المغرب العربي" . الحبيب تامر: هذه تونس ،(القاهرة، مكتب المغرب العربي،1948م)، ص111.

40- محمد بشير المغيربي، مرجع سابق، ص455.

41- عبدالله عبعاب: شهادة للتاريخ ، مذكرات1917م-1961م،(تونس، مطبعة التسفير الفني،2010م)،ج1،ص ص 114،115 .

42- محمد بشير المغيربي ، مرجع سابق، ص 456.

43- عبدالله عبعاب، مرجع سابق، ص 118.

44- وثيقة منشورة وهي رسالة من ابورقيبة إلى محمود مخلوف، منشورة في مجلة الوطن، العدد 135 بتاريخ 1948/8/3م، ضمن كتاب وثائق جمعية عمر المختار، مرجع سابق ، ص471.

45- الطاهر عبدالله: الحركة الوطنية التونسية ، رؤية شعبية قومية جديدة، (ط2، تونس، دار المعارف للطباعة والنشر، 1990م)، ص73.

46- محمد بشير المغيربي، مرجع سابق ، ص 457.

47- بعد نشر مخطط بيفن سيفورزا عمت المظاهرات المنددة به طرابلس ، وفي 14مايو 1949م اتحد الحزب الوطني والجبهة الوطنية المتحدة، وتم إنشاء هيئة واحدة تحت اسم المؤتمر الوطني الطرابلسي بقيادة بشير السعداوي، وقد حاور زعماء المؤتمر السنوسية ، ورفعوا راية ليبيا مستقلة وموحدة تحت الزعامة السنوسية ، وذلك بعد تشبث زعماء برقة بادريس السنوسي. مجيد خدوري ، مرجع سابق، ص ص 123،122.

48- الطاهر عبدالله، مرجع سابق، ص334.

49- محمد محمد المفتي، "وجهاء طرابلس وحركة الاستقلال المغاربي" ، مقال على شبكة المعلومات الدولية بتاريخ2014/11/17م، ص1.ص www.aminmazon.com

50- الحبيب قرار: لتحي تونس ،(تونس، مطبعة بوسلامة، 1996م)، ص 172.

51- محمد محمد المفتي، مرجع سابق، ص92.

52- عبدالله عبعاب، مرجع سابق، ص92.

53- مصطفى ميزران، ولد في طرابلس سنة1898م، وقد شغل عدة مناصب منها رئيس الحزب الوطني، اختير مندوباً عن طرابلس في المجلس الاستشاري للأمم المتحدة ، وكان من ابرز الداعمين لحركات التحرر في المغرب العربي، بعد الاستقلال اصبح نائبا عن طرابلس ، وكان من ابرز المعارضين . مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية بتاريخ 20 يناير 2012م.www.Libya now

54- عبدالله عبعاب، مرجع سابق، ص93.

55- الطاهر عبدالله، مرجع سابق. ص234.

56- الزهرة، عدد12017 ، 26 نوفمبر 1949م.

57- الزهرة 12018 ، 27 نوفمبر1949م.

58- نفس المرجع.

59- الزهرة عدد 12016، 25 نوفمبر 1949م.

60- الزهرة عدد 12019، 29 نوفمبر 1949م.

61- الزهرة عدد 12016، مرجع سابق.

62- علي الزليطني، من اصل ليبي ولد سنة 1914م، وكان رئيس جامعة تونس والاحواز للحزب الدستوري الجديد، لجأ إلى طرابلس في مارس 1954م واصبح ممثل الحزب فيها، ، واشرف على تدريب عدد من التونسيين على السلاح ، وقف إلى جانب صالح بن يوسف ضد بورقيبة ، وقد حكم عليه سنة1957م عشرين سنة اشغال شاقة ؛ بتهمة التآمر على أمن الدولة. علي الزليطني، مرجع سابق ، ص239. او الحبيبي قرار، مرجع سابق، ص67.

63- عميرة علية الصغير: "كوماندس فرحات حشاد" مجلة روافد ،عدد8، سنة2003م، ضمن كتاب علي الزليطني، مرجع سابق، ص 239.

64- نفس المرجع ، ص 238.

65- شهادة المناضل حمادي غرس ، مقابلة بالمرسى بتاريخ 12فبراير2012، ضمن كتاب علي الزليطني، مرجع سابق، ص215.

66- عبدالله عبعاب، مرجع سابق، ص237.

67- Chaibi Lotfi, " Rapport de synthese sur L Organisation Neo – destorrienne en Libye" Rawafid NO 6, (2002), p.35

68- علي الزليطني، مرجع سابق، ص128.

69- نفس المرجع، ص218.

70- نفس المرجع، نفس الصفحة.

71- عبدالله عبعاب، مرجع سابق، 128.

72- Chaibi Lotfi, ibid.,pp. 46, 48.

73- Ibid., p. 55.

74- علي الزليطني، مرجع سابق، ص192.

75- وثيقة منشورة بعنوان "فريق المحاميد"، ضمن كتاب شهادة للتاريخ ، مرجع سابق ، ص 402.

76- Chaibi Lotfi, ibid.,p. 51.

77- علي الزليطني، مرجع سابق ،ص 218. .

التجارة في ولاية طرابلس الغرب وتأثير الوضع الأمني (1835- 1911م)

أ. دلال علي السوري الشتيوي **أ. إلهام حسين خليفة السائح**

كلية التربية الزهراء / جامعة الجفارة كلية التربية الزهراء / جامعة الجفارة

المقدمة :

احتلت ولاية طرابلس الغرب مكانة بارزة بفضل موقعها التاريخي والجغرافي الهام الذي ساحل الجنوبي للبحر المتوسط ويمتد نحو الصحراء في الجنوب التي تتخللها الكثير من الواحات التي كانت تمر عبرها طرق القوافل التجارية حتى أصبحت مركزاً وسوقاً تجارياً هاماً وأعطاها دوراً متنوعاً وحيوياً.

تعتبر التجارة مصدراً مهماً دخل الولاية ، فقد قام التجارة الليبيون بدور نشط في هذا المجال ، فقد ربطوا المنتوجات الأفريقية بالأسواق الأوروبية، إذ كانت ولاية طرابلس الغرب مركزاً تجارياً لتبادل سلع أفريقيا جنوب الصحراء، ومنتوجات أوروبا شمال المتوسط، بالإضافة إلى إيصال المنتوجات المحلية إلى الأسواق الأوروبية المختلفة وبالعكس.

أهمية الدَّراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على واحدة من أهم المركز التجارية بالشمال الإفريقي والتي كان لها دور بارز في الحركة التجارية في الاتصال بين المشرق والشمال وما وراء الصحراء وجعلها من أهم الحواضر الإسلامية.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع، وقيمته التاريخية في إطار تاريخ المغرب العربي الحديث ارتأينا إبراز التجارة في طرابلس الغرب خلال العهد العثماني الثاني ودورها في ربط شمال أفريقيا بجنوب بدول الساحل الأفريقي، وربط هذه الأخيرة بدول أوروبا، وذلك من خلال دراسة م وسومة ب "**التجارة في طرابلس الغرب وتأثير الوضع الأمني 1835- 1911م**".

أسباب ودو افع اختيار الموضوع:

من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار الدراسة:

1- إن طرابلس الغرب كغيرها من الدول الإفريقية التي تحتاج إلى مزيد من البحوث - والدراسات للحصول على بيانات وافية عن هذه المنطقة.

2- قلة المعلومات عن طرابلس الغرب التي تعد من أهم البلدان العربية والتي كان لها الدور - البارز في مناطق الشمال الإفريقي تجارياً بالرغم ما تعرضت له من صراعات وحروب طيلة الحقبة التاريخية.

3- إبراز أهمية التجارة في طرابلس الغرب كمنطقة تجارية تاريخية خاصة في علاقاتها مع الدول الإفريقية والأوروبية.

أهداف الدَّراسة:

تتمثل أهداف الدراسة في إبراز جانب مهم من جوانب تاريخ طرابلس الغرب والمتمثل في التجارة في ولاية طرابلس الغرب والكشف عن استراتيجية التبادل التجاري لطرابلس الغرب وأهم المحطات والسلع التجارية التي تصدر إلى الأسواق الخارجية خلال العهد العثماني الثاني، وتأثير الوضع الأمني على التجارة في تلك الفترة، ودورها في التبادل الحضاري بين الدول، كما أنها تهدف إلى تقديم الحقيقة التاريخية حول هذا الموضوع.

إشكالية الدَّراسة:

تنطلق تساؤلات هذا البحث من كون موضوعه هو محاولة لمعالجة إشكالية رئيسية تتعلق بالدور التجاري الذي كانت تقوم به طرابلس الغرب خلال العهد العثماني الثاني وتأثير الوضع الأمني عليها، وبالإضافة إلى هذا التساؤل الجوهري، قمنا بطرح عدة أسئلة فرعية، أهمها:

- كيف كانت التجارة في استراتيجية ولاية طرابلس الغرب؟

- كيف كان أثر الوضع الأمني على تجارة طرابلس الغرب؟

- كيف ساهمت الطرق التجارية في انتعاش التجارة الخارجية؟ وماهي أهم محطاتها؟

- ما الدور الذي لعبه الموقع الجغرافي لطرابلس في إنعاش حركة التبادل التجاري بين الدول ؟

-ما هي أهم السلع التجارية التي أسهمت في اقتصاد طرابلس؟ وما هي أهم الأسواق التجارية ؟

منهجية الدَّراسة:

للإجابة عما أثرناه من تساؤلات ومن أجل الوصول إلى الحقائق فقد اعتمدنا على المناهج الآتية: الوصف، والتأريخ، والتحليل. ففي البداية كان علينا القيام بعملية جمع وعرض مادة الموضوع. ثم تتبعناها بالتقصي والسرد، وذلك بوضعها في إطارها التاريخي، حتى نستطيع تتبع إشكاليات الموضوع بكل تشعيباتها للوصول إلى غاياتنا، المتمثلة في محاولة الإجابة على الإشكالية المطروحة.

قسمت الدَّراسة إلى مقدمة و خمسة محاور وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع .

المحور الأول / الموقع الجغرافي وأهميته لطر ابلس الغرب :

لعب الموقع الجغرافي لطرابلس الغرب دوراً هاماً في تاريخها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وفي تطورها البشري، فهي تمتد لمسافة(1900) كم على السواحل الجنوبية لحوض المتوسط تقريباً، ولا يفصلها عن سواحل أوروبا إلا هذا البحر الذي لم يكن في أي وقت من الأوقات عقبة يصعب اجتيازها، كما أن أراضيها تتوغل إلى داخل إفريقيا لمسافة تتراوح ما بين (1900-2000كم)، وترتبط بنطاق بلاد السودان وغربي إفريقيا بمجموعة من طرق القوافل الصحراوية التي قدمت أدواراً عظيمة الأهمية في النقل والتجارة بين البحر المتوسط وبلاد جنوب الصحراء الكبرى . هذا كان مقدار الازدهار الاقتصادي والحضاري لطرابلس الغرب يقاس بأمرين: الأول: بطول سواحلها على ضفاف المتوسط، والثاني بكونها أقرب نقطة تصل دول الشمال الإفريقي وشمال المتوسط ببلدان جنوب الصحراء. وبهذا الموقع الجغرافي المتميز تهيأت ولاية طرابلس الغرب لأن تكون حلقة الوصل بين غيرها من الدول ممن يحدها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، وهذا الموقع أيضا هو الذي جعل الليبيين يتوجهون لممارسة التجارة منذ القدم. هذه التجارة التي لعبت دوراً كبيراً في الحياة الاقتصادية للبلاد، من خلال خطوط ومراكز رئيسية تنتشر في طول البلاد وعرضها، وتتقاطع فيما بينها لتشكل شبكة متداخله من

الطـرق ولتنقـل القوافـل عبرهـا أصـنافا متعـددة مـن البضـائع الأفريقيـة والأوربيـة والمشـرقية والمغاربيـة . وسـاهمت بـذلك في انتعـاش التبـادل التجـاري بـين بلـدان الشـمال والجنوب في العصر الحديث و بشكل واسع [1].

المحور الثاني / تجارة القـو افل الصحراوية:

كانـت ولايـة طـرابلس الغـرب محـط العديـد مـن القوافـل التجاريـة ، ووصـفت بأنهـا مكـة البحـر الأبـيض المتوسـط لكبـر حجـم القوافـل الوافـدة مـن أفريقيـا والمتجهـة منهـا إليهـا، ولما تحويه من بائع مختلفة[2].

أ- طرق القو افل التجارية:

في مطلـع القـرن التاسـع عشـر المـيلادي كانـت ولايـة طـرابلس الغـرب أفضـل قاعـدة للانطـلاق نحـو أفريقيـا. إذ تعتبر مـن أقـرب الطـرق إلى أفريقيـا مـن ناحيـة والعلاقـات الطيبـة بينهمـا وبـين ممالـك أفريقيـا جنـوب الصـحراء مـن ناحيـة أخـرى، ولـم ينافسـها أحـد في هـذا المجال حتى ظهور المواصلات الحديثة [3].

كـان يجلـب مـن أفريقيـا عـاج الفيـل، وريـش النعـام، و اللوبـان، وغبـار الـذهب والشـمع والجلـود، وكـان جـزء مـن هـذه البضـائع يسـتفاد منـه محليـاً ويصـدر البـاقي إلى أوروبـا مثـل ريـش النعـام بعـد ترتيبـه وتنظيفـه، والجلـود بعـد تصـنيعها ودباغتهـا، والتي تصـدر إلى إنجلترا ، وأمريكـا وتعـود القوافـل إلى أفريقيـا محملـة بكميـات مـن الملبوسـات القطنيـة والصـوفية والحرير، والشاي، والبن، والسكر والمرايا[4].

تسـلك القوافـل التجاريـة مـن ولايـة طـرابلس الغـرب إلى أفريقيـا عـدة طـرق أهمهـا ثـلاث طـرق رئيسـية : الأول مـن طـرابلس مـرورا بسـرت و مـرزق وبلمـا إلى برنـو أو عبـر تبسـتي غلى واداي أو مـن غـات إلـى الهوسـا، والثـاني مـن طـرابلس إلـى فسـاطو، وغـات إلـى أغـاديس ودمرجـو، وزنـدار ثـم كانو[5] . وقـد بلـغ عـدد الأبـل المحملـة بالبضـائع المختلفـة، والمتجهـة مـن غـات إلـى هـذه المنـاطق عـام "1327هـ - 1909م " (2000) جمـل، بينمـا وصـل عـدد الإبـل الـواردة ليهـا في العـام نفسـها (1500) جمـل [6]. أمـا الطريـق الثالـث فيتجـه مـن بنغـازي إلى تشاد مروراً بإجدابيا فأوجله والكفرة، ومنها إلى تشاد[7].

ب- تنظيم القوافل وآلية العمل والحركة :

كانت القوافل تنظم من قبل التجارة في الغالب، كل حسب تجارته أو حصته من السلع والبضائع، فقد كانت يتم تنظيم هذه الرحلات التجارية لحساب عدد من التجار بمختل دياناتهم، يتفق فيها بينهم على حصة أو نصيب كل منهم من هذه التجارة بحسب مساهمة كل فرد منهم فيه، مع السماح لبعض رجال القافلة من أصحاب البضائع بالمشاركة فيها، وتوكل مهمة تسيير القافة والإشراف عليها لشخص يدعى "باشا القافلة " جرت العادة أن يكون من المسلمين، ويتحمل منظم القافلة تكاليف النقل والمرشدين وايجار الإبل والضرائب المدفوعة[8].

نظراً لكبر حجم التجارة مع أفريقيا وكثرة التجارة الطرابلسيين المترددين عليها والأموال المستثمرة في هذا المجال، وعلى الأخص في نيجيريا، جرى في سنة 1270هـ - 1853م تعيين وكيل للتجار الطرابلسيين في نيجيريا للمحافظة على أموالهم من الضياع نتيجة لأي طارئ يحدث[9].

اكتسبت العديد من المناطق الداخلية في الولاية أهمية بالغة ، لوقوعها على طرق تجارة القوافل من أمثال مدينة مرزق مركز لواء فزان، غات، غدامس، إذ كانت هذه المدن بمثابة محطات تجارية لراحة القوافل واستبدال الإبل وإيجارها والتبادل التجاري والبيع والشراء، فقد ذكر الحشائي أن مدينة مرزق ((محط رجال القوافل السودانية والصحراوية وهي منتصف الطريق لمن قدم من طرابلس قاصداً مدينة برنو، وكان ياتيها الركب التواتي قاصداً حج بيت لله الحرام، ويتألف من الآلاف من البشر فيقيم هناك مقدار خمسة أيام يبيع ويشتري ثم يسافر))[10].

كانت مدينة غدامس محطة لتجارة القوافل تفوق في أهميتها المحطات التجارية الأخرى لوقوعها في جنوب الولاية ولاختصاص أهلها بالتجارة ، إذ كانت لهم مندبون أو وكلاء في المراكز التجارية الأخرى، وكانت لهم الفضل في إحياء تجارة السودان مع أهل تون، وتوغلهم داخل أفريقيا، بالإضافة إلى غدامس ملتقى عدة طرق تجارية، أهمها الطريق الذي يتجه إلى الصحراء الجزائر، ثم إلى أراضي المغرب مروراً بعدة مناطق جزائرية مثل تمسانين، وتيدي كلت، وتوات، وطريق آخر يتجه منها إلى تمبكتو[11].

وتعد غات مركزاً تجارياً هاماً لتجارة القوافل إذ كان يدخلها قرابة الثلاثين ألف جمل في السنة محملة بشتى أنواع البضائع، وتوجد بها عدة مخازن للبضائع، بالإضافة إلى عمل أكثر سكانها بالتجارة [12].

حققت تجارة القوافل في الفترة الممتدة ما بين عامي 1872- 1881م، عائداً قدره (140) ألف ليرة تركية سنوياً، وأخذت بعد ذلك في الانخفاض فسجل (24750) ليرة تركية في الفترة الواقعة بين عامي 1892- 1901م، وذلك بسبب النفوذ الفرنسي واحتكاره لتجارة تمبكتو وتحول مسار التجارة من كانو إلى لاغوس ثم إلى إنجلترا بفعل العلاقات التي أقامتها إنجلترا مع نيجيريا، الأمر الذي أدى إلى تحول مسار التجارة إلى طريق آخر أيسر وأسرع ، وأفقد ولاية طرابلس الغرب مصدراً مهما من مصادر دخلها[13].

بالإضافة إلى أعمال الابتزاز حيث استحدث" جامي بك" قائمقام غات ضريبة مقدارها مجيديان على كل جمل يخرج من غات متجهاً إلى إفريقيا، فضلاً عن أعمال السلب والنهب التي تتعرض لها القوافل التجارية بسبب فقدان الأمن، وعدم تأمين الحماية لها[14].

المحور الثالث/ التجارة البحرية:

تعتبر التجارة البحرية الحلقة الثانية في تكملة مسار التجارة مع أفريقيا إلى أوروبا فضلاً عن التجارة الخاصة بولاية طرابلس الغرب، وما يصاحبها من تصدير للمنتوجات المحلية، واستيراد للمنتوجات الأوروبية، لغرض الاستهلاك المحلي وإعادة التصدير إلى أفريقيا، ويمكن تصنيف المنتوجات المحلية ذات الصبغة التجارية إلى الآتي:

أ- الصادرات :-

شملت السلع والبضائع المصدرة من موانئ الولاية أصنافاً مختلفة من المنتجات المحلية والإفريقية. فقد كانت مادة الحلفاء المصدر الأساسي للصادرات من الولاية إلى أوروبا.

يعتبر نبات الحلفاء من أنواع النباتات التي تنمو بطريقة طبيعية في المناطق القريبة من مدينة طرابلس ومن المواد الخام الرئيسة لصناعة الورق في أوروبا، وتعتبر إنجلترا، وإسكتلندا من أكبر الأسواق التي تصدر إليها، وكانت تجمع في الغالب لهذا الغرض، ووفق

الأسعار التي تحددها إنجلترا حسب قاعدة العرض والطلب، إذ كانت الأسعار تتراوح بين تسعة قروش وسبعة عشر قرشاً للقنطار الواحد[15].

كان التجار يقومون الشراء، والتصدير، والحبس عن طرق آلات لهذا الغرض أعدت في مناطق منابت هذا النبات لينقل بعدها إلى الموانئ للتصدير، وقد بلغت كلفة نقله ما بين تسعة شلنات وأحد عشر شلناً للطن الواحد، وقد بلغ معدل التصدير لإنجلترا في الفترة الممتدة ما بين عامي 1902- 1911م ثلاثين ألف طن بأسعار تتراوح ما بين خمسة وخمسون وأثنين وسبعين شلناً للطن الواحد[16].

ومن أهم موانى تصدير الحلفاء ميناء زواره، ومصراته، والخمس، و زليتن[17]، وتتراوح لرواج تجارة الحلفاء والطلب عليها كانت تفد إلى طرابلس العديد من القوافل المحملة بهذا النبات وصل عددها سنة 1894م إلى(21176) جملاً بلغ قدره ما تحمله من حلفاء (11026.60) ديناراً ذهبياً، الأمر الذي جعل الأهالي يندفعون لجمع هذا النبات والإتجار به دون مراعاة للطرق السليمة لكيفية جمعه، حيث كان النبات يقتلع بجذوره دون حصاده مما أدى إلى اندثار وانقراضه من الولاية[18].

كانت ولاية طرابلس الغرب تصدر إلى جانب الحلفاء منتوجات أخرى، لا يقل في قيمتها عن مردود نبات الحلفاء، وإذ كانت تصدر الشعير والحمضيات والطيور الداجنة والبيض والفاكهة والماشية والزيت والحنة والحصر والسمن والمنسوجات المحلية[19]، ومن أهم الأسواق المصدر إليها إنجلترا التي بلغت قيمة الصادرات إليها ما يقرب من (135) ألف ليرة تركية سنوياً، وبلجيكيا، والنمسا، وألمانيا، وتونس حيث بلغت قيمة الصادرات لهذه البلدان مجتمعة (12800) ليرة سنوياً ومصر التي بلغ متوسط الصادرات إليها (13969) ليرة تركية، بالإضافة إلى الصادرات إلى دول أخرى مثل إيطاليا و هولندا التي بلغت قيمة الصادرات إليها ما يقرب من(379400) ليرة تركية وكان يمنع التصدير وخصوصاً الحبوب والأغنام في سنوات القحط لسد حاجات الولاية منهما[20].

ب- المستوردات :

إن سياسة الانفتاح التجاري، وفتح الأسواق المحلية أمام المستوردات الأجنبية، والتي اتبعتها الدولة العثمانية في مناطق ولاياتها المختلفة، فقد شهدت حركة المستوردات إلى الولاية تصاعداً مستمراً، سواء كان للاستهلاك المحلي أو لإعادة التصدير إلى الولاية،

وشمل ذلك مختلف أنواع السلع والمنتجات المجلوبة من أوروبا والدولة العثمانية وتونس ومصر. إذ كانت ولاية طرابلس الغرب تستورد الشاي، والآنية الزجاجية والمشروبات الروحية، والأخشاب وبعض أنواع الأقمشة، والحمضيات، وقد بلغت قيمة الواردات في السنين الأخيرة من العهد العثماني الثاني ما جملته (475680) ليرة تركية [21].

المحور الرابع / الأسواق المحلية :

لقد ساعد الاستقرار النسبي الذي شهدته طرابلس الغرب خلال العهد العثماني الثاني على خلق نوع من الانتعاش الاقتصادي، لاسيما منتصف القرن التاسع عشر، فقد حدث تطور في الأنشطة الاقتصادية، اقترن اسم الأسواق المحلية في الغالب بأسماء البضائع المباعة فيها أو أسم اليوم الذي تعقد فيه، مثل سوق الحلفاء وسوق الجمعة، وكان لكل مركز رئيس من مراكز الولاية سوقه الخاص به والذي يعقد أسبوعياً ومن أشهرها سوق الجمعة بمركز الولاية وأسواق الزاوية، و زوارة، ومصراته، وغريان، ويفرن، و نالوت، وترهونة، وبن وليد، ومن أسواق جنوب الولاية سوق غدامس، وسوق غات، وجالو، والكفرة، ويعتبر سوق بنغازي من أهم الأسواق المتصرفية، بالإضافة إلى الأسواق الأخرى مثل سوق إجدابيا، وقمينس، وسلوق، والمرج ، ودرنة، وغيرها[22].

ويتم إنشاء مثل هذه الأسواق عن طريق جمع التبرعات لهذا الغرض من الأهالي من حيث تكاليف الإنشاء، أو الأرض المقام عليها السوق بعد تقديم طلب بالخصوص إلى السلطات وأخذ الموافقة على ذلك، ولا يجوز نقلها إلا بإذن الحكومة وهي التي تحدد موعد انعقاد السوق[23].

يباع في هذه الأسواق الحيوانات، والمنتوجات الزراعية، والمنسوجات وغيرها، وكان كثيراً ما يتم شراء الأبقار من هذه لأسواق لغرض التصدير وبالأخص إلى مالطا عن طريق ميناء طرابلس، وبنغازي، ومن أسواق ثانوية إلى مصر، وذلك بواسطة تجار أو ممثلين تجاريين لهذا الغرض بلغ عددهم سنة 1911م (15) مصراً في طرابلس و(6) في بنغازي هذا وقد يصل عدد الأبقار التي قد تتواجد في السوق الواحد ما بين (200) إلى (250) رأساً [24].

استقطبت التجارة العديد من الناس ممن امتهنوا هذه الحرفة وبرزوا فيها، وقد بلغ عدد المشتغلين بالتصدير والاستيراد سنة 1910م إلى(646) تاجراً منهم (458) من العرب والباقي من جنسيات مختلفة [25].

وجد بولاية طرابلس الغرب خلال تلك الفترة العديد من الوكالات التجارية والبنوك الأوروبية مثل البنك الألماني ، والبنك التجاري الإيطالي، وبنك روما، وجميعها تعمل إما لحسابها ، أو لحساب بنوك أخرى[26]. إن وجود مثل هذه المصارف يهدف إلى السيطرة على مقدرات الولاية الاقتصادية وربطها بالاقتصاد الأوروبي وإغراق أهلها بالديون المشروطة، وخصوصاً تلك الخدمات التي تقدمها المصاريف الإيطالية، التي اقترنت بشرط مجحفة مثل مصادرة الأراضي في حالة عدم القدرة على الدفع، إذ كان نشاط المصارف الإيطالية في ولاية طرابلس يهدف إلى جعل الولاية سوقاً للمنتوجات الإيطالية، وضرب الاقتصاد المحلي ، بالإضافة إلى دعم المؤسسات الإيطالية الموجودة داخل الولاية، ويعد هذا النشاط جزءاً من السياسة الإيطالية التي ترمي إلى احتلال الولاية وهو ما يعرف باسم " التوغل السلمي" الذي اتخذ فيما بعد ذريعة لاحتلال البلاد بحجة حماية المصالح الإيطالية في الولاية .

المحور الخامس / الوضع الأمني و انعكاسه :

نظراً لأهمية الأمن وضرورة استتبابه بين الأفراد عملت سلطات الولاية على إنشاء مراكز للشرطة تعرف باسم " كركون أو كميسون" أوكلت إليها مهمة القبض على المجرمين والمخالفين، وتقديمهم إلى المحاكم المختصة، والمحافظة على الأمن العام، كما أنشئت فرق من الهجانة [*]، مهمتها المحافظة على أمن القوافل التجارية ، ومطاردة قطاع الطرق في خارج مناطق العمران.

وهنا يمكن القول بأن تغيراً قد طرأ على نواحي الأمن والمحافظة على القانون في ولاية طرابلس الغرب، ولكن قيام مثل هذه المؤسسات الأمنية لا يعني أن الأمن قد استقر في الولاية بدرجة اندثرت معها أعمال السرقة ، والقتل ، إن وجود مثل هذه الأفعال له ما يبرر في نظر مرتكبيها فقد ذكرت صحيفة الترقي أن سبب كثرة وقائع السرقات والقتل بغرض السرقة يعود إلى شدة الفقر[27]. كما أن قلة عدد الأجهزة الأمنية الموجودة هي

الأخرى أتاحت المجال لقطاع الطرق وخصوصاً في مناطق جنوب الولاية للسطو على القوافل التجارية .

إن عدم أمن طرق القوافل التجارية أدى إلى تناقص الرحلات التجارية المتجهة إلى هذه المناطق بسبب فقدان أمن الطرق، مما كان له أثره السيئ على الأحوال الاقتصادية في الولاية ، حيث انخفض حجم التبادل التجاري بين الولاية ودول جنوب الصحراء وفقدت ولاية طرابلس الغرب دور الوسيط التجاري بين هذه الدول ودول أوروبا شمال المتوسط.

وردت إلى الولاية العديد من الشكاوي التي توضح عدم استقرار الأمن في مناطق جنوب الولاية وتبلغ عن القوافل التجارية التي تم السطو عليها وتطلب اتخاذ التدابير اللازمة للحيلولة دون تكرار مثل هذه الأفعال فقد جاء في تقرير قدمه قائمقام غدامس إلى الوالي بتاريخ 30 مايو 1901م أن مدينة غدامس أصبحت مدينة مهملة ، ولم يكن بها سوى ثلاثة أنفار من الجندرمة ، وأن قرية سناون أصبحت معقلاً لقطاع الطرق وقد تواطأ معهم بعض المشايخ، وهي بحاجة إلى عشرين فرداً من أفراد الجندرمة المشاة وعشرة من الهجانة لإعادة الأمور إلى سابق عهدها[28]، وجاء في رسالة أخرى بعث بها قائمقام غات إلى متصرف فزان بخصوص عدم استتاب الأمن في هذه المنطقة والتحريض الفرنسي للقبائل التي تحت سيطرتها على أعمال السلب والنهب ، حيث ذكر أن فرنسا تعمل على تسليح وتشجيع هذه القبائل على السطو على القوافل التجارية وأبناء السبيل ، وأن مثل هذه الأعمال أصبح كثيرة الحدوث، وفي سبيل مواجهة الموقف ، يجب العمل على زيادة قوات الأمن بالمنطقة وتزويدهم بالمدافع الرشاشة للقضاء على عصابات قطاع الطرق[29].

لم تكن الدوافع لارتكاب أعمال السلب والنهب والقتل وليدة الحاجة والقر فحسب، بل كان هناك من يمارس هذه الأعمال كإجراء انتقامي ضد الحكومة، للتعبير عن عدم الرضى عليها وعلى سياستها ، وبالتالي ضربها من خلال هذا الجانب والضغط عليها بزعزعة الاستقرار في بعض المناطق واختلال الأمن الذي يعد من أهم مسؤولياتها، ويتضح من رسالة موجهة من متصرفية فزان إلى والي أن الأمن اختل في فزان في تلك الفترة، حيث ازدادت الغارات على الطرق والقرى والنواحي والمسافرين من حدود سرت

إلى فـزان ولا توجـد القـوة الكافيـة لـردعهم، وأن مرتكبي هـذه الأفعـال مـن أتبـاع أبنـاء سـيف النصر ويمارسون ذلك تحت زعامتهم[30].

الخاتمة :

يتضح مـن خـلال مـا تـم عرضـه أن الموقـع الجغرافي المتميز لطـرابلس الغـرب كـان لـه دوراً هامـاً في خـلال العهـد العثمـاني الثـاني، لكونهـا حلقـة وصـل بـين دول الشـمال والجنـوب والشـرق والغـرب، هـذا الموقـع أعطاهـا دوراً متنوعـاً وحيويـاً، وأسـهم في نشـوء حركـة هامـة مـن التبـادل التجـاري والاتصـال الحضـاري بـين الـدول، وهـو مـا أكسـبها أيضـا تنوعـا في السـلع القادمـة مـن المنـاطق القريبـة والبعيـدة، وأصـبحت بـذلك واحـدة مـن أهـم مراكـز التوزيـع التجـاري الـدولي مـن خـلال تصـدير بعـض السـلع المحليـة التي كانـت تلقـى رواجـاً في الأسـواق الخارجيـة، كـالملح والتمـور والحلفـاء التي كـان لهـا دوراً هامـاً في الأداء الاقتصـادي للولايـة سـواء بالنسـبة للسـكان الـذين كانوا يمارسـون العمـل التجـاري في هـذه الأصـناف مـن السـلع، حيـث شـهدت طـرابلس تلـك الفتـرة تطـور في حركـة الصـادرات والمسـتوردات عبـر المـوانئ وتجـار القوافـل، وذلـك لارتباطهـا بـالتطورات الإقليميـة والدوليـة، المتمثلـة في حاجـة الأوروبيـين إلى الوصـول لمـواطن المـوارد والأسـواق في الـدواخل الإفريقيـة. إلا أن تـدهور الوضـع الأمني كـان لـه الأثـر السـلبي على تجـارة طـرابلس، نـتج عنـه تراجـع كبيـر وتـدهور في النشـاط التجـاري، أدى إلى فقـدان ولايـة طـرابلس الغـرب دور الوسـيط التجـاري بـين دول أوروبا شمال المتوسط، والجنوب .

قائمة المصادروالمراجع :

(1) - أحمد صـــدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي (1881-1911) ،الطبعة الأولى، المطبعة الفنية، القاهرة،1971 ، ص1.

(2) - مابل لومس نود، أسرار طرابلس ، دار الفرجاني، طرابلس، 1986م، ص 151.

(3) - جون رأيت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصـور، تعريب: عبد الحفيظ الميار، وأحمد البازوري، دار الفرجاني، طرابلس ، 1972م ، ص 104.

(4) – نقولا زيـادة ، محـاضـــرات تـاريخ ليبيـا ، جـامعـة الـدول العربيـة ، معهـد الـدراســـات العربيـة العالمية، القاهرة، 1958م، ص 60.

(5) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص 254.

(6) - صحيفة الترقي، العدد 93، 8 محرم، 1327هـ / 1909م.

(7) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص 260.

(8) – أنتوني ج كاكيا، ليبيا خلال العثماني 1835- 1911م، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1975م، ص 137.

(9) – دار المحفوظات التاريخية ، طرابلس ، رسالة بخصوص تعيين وكيل للتجار الليبيين في نيجيريا ، بتاريخ 1270هـ/ الموافق 1853م .

(10) – محمد بن عثمان الحشـــائشـــي، جلاء الكرب من طرابلس الغرب، تحقيق : علي مصـــطفى المصراتي، دار لبنان ، بيروت ، 1965م، ص 82.

(11) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص 262- 263.

(12) - محمد بن عثمان الحشائشي، مصدر سابق، ص 112.

(13) – محمود الشنطي، قضية ليبيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1951م، ص ص 12 – 13.

(14) - صحيفة الترقي، طرابلس، العدد 16، 14 ذي القعدة 1327هـ / 1909م.

(15) – محمد الشنطي، مرجع سابق، ص 13.

(16) – أنتوني ج كاكيا، مرجع سابق، ص 129.

(17) – فرانشيسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تعريب وتقديم : خليفة محمد التليسي، ط2، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1984م، ص 74.

(18) - المرجع نفسه، ص 70.

[19] – حسين سالم أبو شويشة، الحالة الاجتماعية لمدينة طرابلس في العهد العثماني الثاني 1835 – 1911م، منشـــورات المركز الوطني للمحفوظات والراســـات التاريخية ، طرابلس ، 2009، ص 125.

[20] - صحيفة الترقي، طرابلس، العدد 110، وجماد الأول، 1327هـ / 1909م.

[21] – أنتوني ج كاكيا، مرجع سابق، ص 128.

[22] – سالنامة ولاية طرابلس الغرب، 1286هـ - 1896م، ص 80.

[23] – دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، مطالب أهالي زواغة لنقل ســـوق أم الحارف ورفض مجلس الولاية عليه، بدون تاريخ.

[24] – أنتوي ج كاكيا، مرجع سابق، ص 149.

[25] – دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، ملف المالية والتجارة، عدد المشـتغلين بالتجارة سـنة 1910م.

[26] – أنتوني ج كاكيا مرجع سابق، ص 150.

[*] – الهجانة: فرق من قوات الأمن، تركب الجمال، أوكلت إليها مهمة المحافظة على الأمن، ومطاردة قطاع الطرق في المناطق الصحراوية.

[27] – صحيفة الترقي ، العدد 120، 19 ذي الحجة 1327 هـ / 1909م .

[28] – دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، تقرير قائمقام غدامس إلى الوالي بخصـــوص الأمن في فزان ، بتاريخ 30 مايو 1901م .

[29] – دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، رســـالة من قائمقام غات إلى متصـــرف فزان بشـــأن الإسراع بتشكيل وحدات من الفرسان الهجانة مسلحة بمدافع رشاشة، بدون تاريخ.

[30] – دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، رســالة من وكيل متصــرف فزان إلى الولاية بخصــوص الغارات على الطرق بتاريخ 10 يونيو 1325 هـ / 1907م.

العلاقات الدولية بين مثالية التّنظيم وو اقعية النّطام

"دراسة في التأصيل النظري"

الأستاذ: عمران أحمد البيوني

الأستاذ: عياد مفتاح الواعر

خطة البحث

مشكلة البحث :

ظهر علم العلاقات الدولية عقب الحرب العالمية الأولى وشَهِد فيما بعد تطوراً سريعاً وواسعاً بعد الحرب العالمية الثانية وهو يُعالج العلاقات بين الدِّول؛ المتصفة بالتّنوع و تؤتر هذه العلاقات على طبيعة المجتمع الدَّولي وتطوره ، بناءاً على ذالك أنطلق هذا البحث من تساؤلات أهمها.

- هل تعتبر القيم التي تُنادِي بها المدرسة المثالية فاعل أساس في ضبط العلاقات الدِّولية؟
- هل الأطروحات والمبادئ التي تقدمها النَّظرية الواقعية تُعدُّ بُعد لفهم ودراسة العلاقات الدِّولية؟

فرضية البحث:

تباينت العلاقات القائمة بين الدِّول في المعترك الدِّولي بسبب طبيعة العلاقات الناشئة المبنية إمَّا على التَّعاون والتَّراض والتَّكامل وأنَّ القانون الَّدولي يُعتبر رافداً وضابطاً أساسياً وفَعَّال للعلاقاتِ الدِّولية، فهو الّذي يُحقق التّوازن بين الدِّول دون تفرقة ما دامت تحترم الأعراف الدّولية والقانون الدِّولي، وإمَّا تتصف بالصِّراع المصالحي وأنَّ القانون الدِّولي لا يحقق التَّوازن المنشود في مثل هذه الحالات، فالتَّنافس والصِّراع المصلحي هو الَّضابط الأساسي للعلاقات وأن هذا التَّنوع أدى بدورهِ إلى تطورٍ واضحٍ في طبيعة العلاقات بين الدِّول وفي تطور النَّظريات الخاصة بدراسة وتحليل العلاقات الدَّولية.

التَّعريفات الإجرائية.

التَّنظيم الدِّولي: هو منظمة أو منظمات دولية مفعلة من قبل إرادات دولية مستقلة متفقة حول حماية مصالحها من قوى أخرى كُبرى تُهدِدُها.

النِّظام الدِّولي:هو قدرة الدَّولة الفاعلة في البيئة الدِّولية على رسم نمط وسياسات دولية تُجْبِر من خلاله الدِّول الأخرى على تنفيذ هذه الخطط و السِّياسات.

أهداف البحث.

1. دراسة و تحليل طبيعة العلاقات الدِّولية وفقاً لقيم ومبادئ النَّظرية الواقعية .
2. دراسة وتحليل طبيعة العلاقات الدِّولية وفقاً لقيم ومبادئ النَّظرية المثالية .
3. دراسة أثر كل من النِّظام والتَّنظيم الدّوليين على طبيعة العلاقات الدّولية .

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهمية من حيث دراسة موضوع غاية في الأهمية بأن يتطرق إلى دراسة العلاقات الدولية من أجل فهم طبيعة الظواهر الدولية المختلفة والمؤثرات الفاعلة في فهم ودراسة الآثار والفاعلين الأساسيين في بناء العلاقات الدولية بين مختلف الدول.

مناهج البحث:

1. المنهج التاريخي .
2. المنهج الوصفي
3. المنهج التحليلي.

المقدمة:

العلاقات الدّولية شـهدت تطوراً متبايناً نتيجةً لتطور مفهوم الدّولة وطبيعتها والوظائف التي تقوم بها مما انعكس على طبيعة العلاقات الناشـئة بين الدِّول، فقد تكون تلك العلاقات إما علاقات تعاون أو علاقات تتصف بالصِّراع ، لذا أحدث علم العلاقات الدّولية ذلك التّطور خاصة بعد الحرب العالمية الأولى لأجل فهم الظواهر الدولية المختلفة والعمل على إلقاء الضـوء على الأسباب والعوامل المجددة التي تساهم في استمرارية وديمومة تلك الظواهر وتطورها، ولقد ظهرت العديد من النظريات التي كانت ولازالت كعامل رئيسي يساهم في دراسة وتحليل العلاقات الدولية ؛ فنظريات العلاقات الدولية تهتم بمجمل الأحداث الدولية التي تحاول كل منها أن تقدم تفسـيراً للعلاقات الدولية ،الناشـئة بين النظام الدولي واطرافه ، وكذا العوامل المؤثرة عليه ، كما تتناول علاقات السلم والحرب بين الدول والعلاقات؛ الناشئة على إثرها بين الدول بعضها البعض .

لقد شهدت العلاقات الدولية في القرن العشرين تحولات جذرية من حيث نطاق تفاعلاتها وتنوع قضاياها ومشاكلها، لذلك أصبحت العلاقات الدولية على درجة عالية من التعقيد والتشابك ومن ثم دخلت النظريات التي كانت سائدة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولي – المثالية والواقعية – في جدل من حيث أفضليتها في فهم وتفسير الواقع الدولي، وانطلاقا من ذلك اكتسبت العلاقة بين كل من المدرسة الواقعية (التي تنقسم بدورها إلى عدد من الأقسام مثل الواقعية الكلاسيكية والواقعية الجديدة، الواقعية النبوية ، الواقعية النيوكلاسيكية) قدر من التماسك ولاسيما بعد أن ترسخت تلك العلاقة منذ الحرب العالمية الثانية؛ بحيث أصبحت المدرسة الواقعية هي الأنموذج المهيمن في حقل نظريات العلاقات الدولية .

المطلب الأول: التنظيم الدولي

تعريف المنظمات الدولية

لقد تباينت الآراء حول مفهوم وطبيعة المنظمات الدولية بحسب طبيعة المعيار الذي ينظر من خلاله إلى المنظمات الدولية فتارة تعرف المنظمات تعريفاً ينظر إليها من خلاله إلى طبيعة السياسة التي تقوم بها المنظمات ككيان سياسي وثارة ينظر إليها من الطبيعة القانونية باعتبارها شخص اعتباري وفقاً للقانون الدولي والأعراف والتقاليد الدولية، وتارة ينظر إليها بالطبيعة الوظيفية التي تقوم بها المنظمة الدولية.

أولاً: تعريف المنظمات الدولية وفقاً للبعد السياسي:

- هي مؤتمر دولة الأصل فيه يكون مستوى الحكومات مزوداً بأجهزة لها صفة الدوام والتعبير عن إرادته الذاتية.
- المؤسسات المختلفة التي تنشئها مجموعة الشئون الدولية على وجه الدوام للاضطلاع بشأن من الشئون الدولية العامة المشتركة(1).
- هي كل هيئة دائمة متمتعة بالإدارة الذاتية وبالشخصية القانونية الدولية تتفق عليه مجموعة من الدول.

(1) عبد العزيز سرحان، الوسط في التنظيم الدولي، ط/ بلا، (دار الفكر العربي، القاهرة، 1972)، ص46.

ثانياً: تعريف المنظمات الدولية قانونياً "وفقاً للبعد القانوني".

- تُعرف بأنها هيئة من الدول تأسست بمعاهدة، وتمتلك دستوراً وأجهزة عامة، ولها شخصية قانونية متميزة عن شخصية الدول الأعضاء.
- وتعرف أيضاً بأنها وحدة قانونية تنشئها الدول لتحقيق غاية معينة وتكون لها إرادة مستقلة يتم التعبير عنها عبر أجهزة بالمنظمة ودائمة(1) .
- هي شخصية قانونية دولية ذات أجهزة دائمة وإرادة مستقلة تنشأ باتفاق دولي لتحقيق أهداف معينة.

ثالثاً: تعريف المنظمات الدولية وفقاً للبعد الوظيفي

- هي الهيئة التي تضم مجموعة من الدول على نحو دائم سعياً وراء تحقيق أغراضاً ومصالح مشتركة بينهما، وتتمتع هذه الهيئة باستقلال وأهلية للتعبير عن إرادة ذاتية في المجال الدولي.
- هي أجهزة تعاون بين الدول أو تجمع دول تتابع أهدافها ذات فائدة مشتركة بواسطة هيئات متنقلة دائمة
- هي عبارة عن هيئة تشترك عدة دول في إنشاءها بموجب اتفاق دولي يخولها أجهزة تضطلع بمهمة تحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها(2).

نشأة المنظمات الدولية:

ترجع نشأة المنظمات الدولية إلى المجتمع الدولي والتطورات السياسية والاقتصادية في العالم ككلوالتي أدت إلى ضرورة ارتباط أفراد المجتمع الإنساني الدولي من خلال علاقات؛ وأن هذه العلاقات تنظمها قواعد معينة وكانت هذه القواعد تقوم على أساس اقتصادي وفكر ثقافي معين .

كانت هذه القواعد تعكس تطورات اقتصادية، اجتماعية، ثقافية وبالتالي كانت هذه التطورات بداية نشأة القانون الدولي الذي ينظم العلاقات بين الدول نتيجة لكل هذه التطورات، أضف إلى ذلك احتكاك الحضارات من خلال التلاحم الفكري والاقتصادي بين دول أوربا وبلاد

(1) إبراهيم أحمد شلبي، التنظيم الدولي، ط بلا،(دار الجامعية، بيروت، 1984)، ص100.

(2) علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، ط11،(منشأة المعارف بالاسكندرية، 1975)، ص169.

الأندلس والذي أدى إلى نهضة علمية وثقافية أدت إلى تصدع وانهيار النظام الإقطاعي وضعف نفوذ الكنيسة وبداية ظهور الدولة والسلطة المركزية ، وكان سقوط المقاطعات وضعف نفوذ الكنيسة من أوائل القرن الخامس عشر، ولكن منذ بداية القرن السابع عشر لم يكن هناك ما يسمى أمريكا حيث كان تواجدها على شكل متعمدة تابعة لانجلترا ومن ثم لم لها تقل سياسي وكان مركز العالم الحضاري والسياسي حينذاك هو أوروبا خصوصاً منذ بداية القرن الثامن عشر وبداية الثورة الصناعية في انجلترا وقد بدأت آثار هذه الثورة تنعكس على الدول الأوروبية ببعضها البعض وبدأت تنظر إلى المستعدات والمناطق ذات النفوذ فبدأت الحرب بينهم وخسرت أوروبا كثيراً نتيجة لهذه الحروب بينهم وأصبحت العلاقات بين الدول الأوروبية ذات طابعا مزدوجاً(تعاون مع الدول الأوروبية، وصراع للسيطرة على الدول غير الأوروبية من أجل خارج القارة الأوروبية).

معيار التمييز بين المنظمات الدولية :

عندما تعتمد في تصنيف معيار الاختصاص أو الوظيفية فإننا تميز بين منظمات العامة الاختصاص والتي تختص في قطاع أو مرفق معين فتسمى منظمات دولية متخصصة فالصنف الأول من المنظمات الدولية يمتد نشاطها إلى مختلف الميادين من مظاهر الحياة الدولية الموجودة والمتصورة أيضاً فينصب ذلك على المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها[1].

أما المنظمات المتخصصة أو القطاعية فإنها تهتم بموضوعات محددة كميدان لنشاطها سواء أنشئت بين مجموعة الأعضاء من الدول لتحقيق أهداف في مجال معين أو كانت تدور في فلك منظمة دولة عامة الاختصاص وتنوع المنظمات المتخصصة إقليمياً وعالمياً في شتى المجالات الاقتصادية والمالية كالبنوك الدولية منها البنك الدولي للإنشاء والتعمير وصندوق النقد الدولي أو المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي والفنية أو التقنية كالاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية والأرصاد الجوية والاجتماعية كمنظمة العمل الدولية ومنظمة رعاية الطفولة أو العسكرية كالحلف الأطلسي ووارسو سابقاً والقضائية كمحكمة العدل الدولية والمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان وهي في هذا الاتجاه في تزايد مستمر عدداً وعدة ونطاقاً[2] .

1 عائشة راتب، المنظمات الدولية، ط/بلا، دار النهضة العربية، القاهرة،1969) ص173.

2 عائشة راتب، المرجع السابق، ص174.

من خلال هذا التصـنيف يتجلى أن المنظمات الدولية العامة والمتخصـصـة قد تكون عالمية أو إقليمية كما قد تكون دولة بالذات عضـوة في عدة منظمات من ذات الاختصـاص كما لو كانت دولة ما عضـوة في اليونسـكو والألكسـو والإسـيسـكو التي تهتم بنفس الميدان على الصـعيد العالمي والعربي والإسـلامي وهذا لا يعتبر تنازع في الاختصـاص بل تظافر للجهود تضـامن إذا ما حصـل التنسـيق الفعال لذلك ولا يتعارض مع حق عضـوية الدول فيها متى توفرت الشـروط يقع التصنيف للمنظمات الدولية أيضاً انطلاقاً من معيار السلطات التي تتمتع بها ويعتبر هذا أصعب تصـنيفاً ومعقداً لتداخل الاختصـاصـات والجمع بينهما فالأصـل في المنظمات الدولية بصـفة أنها ذات سـلط معينة ناجمة عن تحويل إرادي من الدول المنشـئةوالعضـوة فيها لممارسـة نشـاطها خاصـة بالنسـبة الوسـائل الإدارية والمالية والبشـرية وغيرها من الوسـائل الضـرورية إلى جانب السـلطة الأخرى المتعلقة بمحتوى نشـاطها حيث تتعاون وتتمايز من هذه الزاوية ومن حيث مدى السـلطة ومجالها عند القيام بالتصـرفات ضـمن اختصـاصـاتها تبعاً لذلك ترد تصـنيفات عديدة فهناك من يرى أن المنظمات الدولية من حيث السـلطة أما منظمات بين الدول عندما تخاطب قراراتها الدول فقط وفوق الدولية عندما تتجاوز هذا الحد لتخاطب بقراراتها الشـعوب مباشـرة وثمة من يضيف مشيراً بأنها أكثر من هذا تجزيئاً لوجود منظمات لا تتمتع بأية سلطة حقيقية فهي لتبادل ونشـر المعلومات والبحث فحسـب ومنظمات لها سـلطة التعبير عن آراء وتوصـيات ومنظمات تملك سلط إصدار قرارات قانونية ملزمة ومنظمات ذات سلط ذاتية لا تحتاج إلى مرجع كالرقابة والعمل المباشـر ومنظمات ذات سـلط ذاتية واختصـاص تشـريعي أو قضـائي أو تنفيذي بينما يرى بول روتر أن هذه التصنيفات ما هي إلا ثلاثة:[1]

1. منظمات لا تمارس أية سلطة حقيقية .
2. منظمات لها سلط خاصة كبديل عن سلطة الدول .
3. ومنظمات تحل محل الدول في ممارسة ووظائف علياً .

بالإضـافة إلى ذلك هناك نظرة أخرى ترى أن المنظمات الدولية أما منظمات معيارية وهي التي توجه سلوك أعضائها لتلافي النزاع وتسهيل رسم أهداف مشتركة بالتنسيق للجهود فيما بينها وأما منظمات عملياتية أو انجازيه التي تتجاوز نطاق القرارات والتوصيات فتتصرف ذاتها بالوسائل المخولة أو المعارة بصفة نهائية إلا أنه بين هذه وتلك يمكن أن تتوفر لمنظمة دولية كلا الخاصيتين

1 ابراهيم محمد العناني، التنظيم الدولي (دار الفكر العربي، القاهرة، 1984)، ص 266.

كمنظمة الأمم المتحدة مثلاً فبواسطة أجهزتها تقوم بنشاط معياري وذلك بتوجيه السلوكيات الدولية عن طريق إصدار القرارات والتوصيات والبحث على احترامها ووظيفي في ذات الوقت عندما يقوم المجلس الاقتصادي والاجتماعي بإنجاز بعض المهام في مجالات التعاون الاقتصادي والتقني والاجتماعي وغير ذلك من مهام اختصاصه[1] في الخلاصة يمكن الإشارة إلى تصنيف شمولي للمنظمات الدولية والتي منها :

- أولاً: منظمات بعدد كبير من الأعضاء وغير مختصة وبسلط محدودة شأن الأمم المتحدة .
- ثانياً: منظمات محدودة الأعضاء غير مختصة وذات سلط واسعة كالسوق الأوروبية للمشتركة .
- ثالثاً: منظمات بعدد كبير من الأعضاء ومختصة بسلط محدودة كمنظمة الصحة العالمية والعمل الدولية .
- رابعاً: منظمات محدودة الأعضاء مختصة بسلط واسعة كالمنظمة الأوروبية للفحم والصلب .

عصبة الأمم المتحدة:

يرجع أول طرح لمفهوم مجتمع سلمي للأمم إلى عام1795 ولخصت فكرة تكوين عصبة الأمم للتحكيم في النزاعات وتعزيز السلام بين الدول وبإقامة عالم يسوده السلام ليس بمعنى أن يكون هناك حكومة عالمية.

ظهر التعاون الدولي الهادف إلى تحقيق الأمن المشترك لأول مرة خلال القرن التاسع عشر عقب نهاية الحروب النابليونية حيث حاولت القوى الأوروبية العظمى إقامة نوع من التوازن فيما بينها في محاولة لتجنب الحرب وما ينجم عنها من أضرار، وكذلك شهدت هذه الفترة ولادة القانون الدولي مع توقيع اتفاقية جنيف التي نصت على بضعة قواعد تتعلق بالإغاثة الإنسانية أثناء الحروب واتفاقيات لاهاي من عامي 1899 إلى 1907 التي وضعت بضعة قواعد وقوانين تحكم سير الحروب وتحديث عن التسوية السلمية للمنازعات الدولية[2]، ونشأت منظمة السلام الدولية السابقة لعصبة الأمم ألا

1 ابراهيم محمد العناني، المرجع السابق، ص 267

(2) منصور ميلاد يونس، مرجع سابق، ص301.

وهـي الاتحـاد البرلمـاني الـدولي علـى يـد الناشـطين السـلميين، ويليـام رانـدال كريمـر وفيريـدريك باسـي سـنة 1889 اعتبـرت هـذه المنظمـة ذات طـابع دولي بحلـول عـام 1914 عنـدما كـان ثلـث أعضـائها يمثلـون الـدول البرلمانيـة الأربـع والعشـرين القائمـة في ذلـك الـزمن وكانـت أهـداف هـذه المنظمـة تـتخلص في تشـجيع الحكومـات على حـل المنازعـات الدوليـة بـالطرق السـلمية بمـا فيهـا التحكـيم، وكانـت تعقـد مـؤتمرات سـنوية لهـا عـدة الحكومـات على تحسين مهاراتها إجراء المفاوضات[1] .

مـع بـزوغ فجـر القـرن العشـرين ظهـرت كتلتـان عسـكريتان في أوروبـا ولـدتا عـن طريـق أحـلاف أقمتهـا القـوى العظمى مـع بعضهـا الـبعض وقـد بينـت هـذه الأحـلاف مـدى خطورتهـا عنـدما انـدلعت الحـرب العالميـة الأولى سـنة 1914 إذ قامـت بجـر جميـع القـوى الأوروبيـة العظمى إلى أتـون الحـرب كانـت هـذه الحـرب هي الأولى مـن نوعهـا في أوروبـا بـين الـدول الصـناعية وقـد تبنـت في مصـرع أكثر مـن ثمانيـة ملايـين ونصـف مليـون جنـدي وحـوالي 21 مليـون جـريح ومقتـل مـا يقـرب مـن 10 ملايـين مـدني بعـد أن وضـعت الحـرب أوزارهـا في شـهر نـوفمبر مـن سـنة 1918 تبـين مـدى جسـامة الأضـرار التي لحقـت بأوروبـا سـواء على المسـتوى الاجتمـاعي أو السياسـي أو الاقتصـادي فبرزتيـا و منـاوي للحـروب عامـة حـول العـالم ووصـف اتباعـه الحـرب العالميـة الأولى بأنهـا "حـرب إنهـاء الحـروب" وقـالوا عـدة أسـباب يجـب معالجتهـا كي يجـر الـدول إلى قتـال بعضهـا الـبعض مجـدداً ومـن هـذه الأسـباب سـباق التسـلح، المخالفـات، الدبلوماسـية السـرية، وحريـة الـدول ذات السـيادة بالـدخول في أي حـرب طالمـا أنهـا تـرى في ذلـك تحقيقـاً لمصـالحها أي اتبـاع هـذا التيـار أن معالجـة هـذه الأسـباب تكمـن في إنشـاء منظمـة دوليـة تهـدف إلى منـع قيـام الحـروب متنقلـة عبر نـزع السـلاح والدبلوماسـية المفتوحـة والتعـاون الـدولي[2]،وخـلال الفتـرة التي كانـت فيهـا الحـرب مـا تـزال تـدور رحاهـا في أوروبـا كانـت عـدة حكومـات ومنظمـات قـد طـورت مجموعـة مـن الخطـط الهادفـة إلى الحيلولـة دون نشـوب حـرب كهـذه مجـدداً وكـان الـرئيس الأمريكي وودرو ويلسـون ومستشـارها العقيـد ادوارد مانـدل هـاوس، أكثـر الحكـومتين تحمسـاً لفكـرة إنشـاء عصـبة تحـول دون تكـرار سـفك الـدماء الـذي حصـل وكـأن انشـائها محـور مبـادئ ويلسـون الأربعـة عشـر للسـلام التي تحـدث عنهـا في خطابـه أمـام الكـونغرس وقـد نـص المبـدأ الأخير منهـا على

(1) اسماعيل صبري مقلد، مرجع سابق ، ص 672.

(2) بدرية عبد الله عوض، القانون الدولي العام في وقت السلم والحرب، ط/ بلا،(دار الفكر العربي، القاهرة 1979) ، ص75.

أن (يجب تشكيل جمعية عامة من الأمم بموجب المواثيق المحددة لغرض منح ضمانات متبادلة من الاستقلال السياسي والسلامة الإقليمية للدول الكبرى والصغرى على حد سواء"، ولقد أقدم ويلسون قبل أن تتم صياغة أية بنود في اتفاقية السلام واستدعى العقيد هاوس إلى واشنطن للتشاور بسرية تامة ثم أعلن الرئيس عن عزمه أنشاء منظمة سلام دولية بالتعاون مع القوى العظمى في أوروبا [1].

خرج المجتمعون من مؤتمر باريس للسلام وقد اتفقوا على الحفاظ على السلام الدائم بعد الحرب العالمية الأولى ووافقوا على تأليف عصبة الأمم التي دعا إليها الرئيس ويلسون في 25 يناير سنة 1919 صيغ ميثاق العصبة من قبل جمعية مختصة وتأسيس العصبة بشكل رسمي بعد أن نص عليها في الفقرة الأولى من معاهدة فيرساي[2]، ولقد أثبت العصبة عجزها عن حل المشكلات الدولية وفرض هيبتها على جميع الدول دون استثناء عندما أخذت دول معسكر المحور تستهزئ بقراراتها ولا تأخذها بعين الاعتبار وتستخدم العنف تجاه جيرانها من الدول والأقليات العرقية قاطنة أراضيها خلال عقد الثلاثينات من القرن العشرين فعلى سبيل المثال رفع أحد اليهود واسمه قرانز برنيهايم شكوى إلى العصبة يتحدث فيها عن معاملة الإدارة الألمانية العنصرية له ولأبناء دينه وشعبه في سيليزيا العليا فما كان من الألمان إلا أن أرجاؤا تنفيذ القرارات المعادية لليهود[3] وغير الأريين سنة 1937 عندما انتهت المدة التي تسمح بإشراف خبراء العصبة على وضع الأقليات في ألمانيا فنجدوا القوانين التي تنص على ملاحقة غير الأريين ورفضوا تجديد إقامة الخبراء في البلاد وكانت حجة ألمانيا وغيرها من الدول المحور للانسحاب من العصبة أن بعض البنود الواردة في ميثاق الأخيرة تنتهك سيادتها وكان نشوب الحرب العالمية الثانية بمثابة الدليل القاطع على فشل العصبة في مهمتها الرئيسية ألا وهي منع قيام الحروب المدمرة وما أن وضعت الحرب أوزارها، حتى تم حل العصبة وخلفتها هيئة جديدة هي هيئة الأمم المتحدة التي ورثت عدد من منظمات ووكالات العصبة[4].

منظمة الأمم المتحدة :

(1) اسماعيل العربي، هيئة الأمم المتحدة والتنمية الاقتصادية في البلدان المتطورة، ط/ بلا ، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1972)، ص216.

(2) اسماعيل العربي، مرجع سابق، ص218.

(3) اسماعيل صبري مقلد، مرجع سابق، ص685.

(4) اسماعيل صبري مقلد، مرجع سابق، ص 686.

كـان الإعـلان العالميـة لحقـوق الإنسـان الـذي اعتمدتـه الجمعيـة العامـة للأمـم المتحـدة في 10 كـانون الأول ديسـمبر 1948 نتيجـة لمـا خبـره العـالم في الحـرب العالميـة الثانيـة[1]، وبعـد الحـرب العالميـة الثانيـة وإنشـاء الأمـم المتحـدة تعهـد المجتمـع الـدولي بعـدم السـماح على الاطـلاق بوقـوع فظـائع مـن هـذا القبيـل مـرة أخـرى وقـد قـرر زعمـاء العـالم إكمال ميثاق الأمم المتحدة بخريطة طريق تضمن حقوق كل فرد في أي مكان أو زمان[2]..

والوثيقة التي توخاها هؤلاء الزعماء والتي أصبحت فيما بعد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان كانت موضوع نظر في الدورة الأولى للجمعية العامة مشروع إعلان حقوق الإنسان والحريات الأساسية وإحالته إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي بهدف عرضه على لجنة حقوق الإنسان للنظر فيه لدى إعدادها للشريعة الدولية للحقوق وقامت اللجنة في دورتها الأولى التي عقدت في أوائل عام 1947 بتفويض أعضاء مكتبها لصوغ ما أسمته مشروع مبدئي للشريعة الدولية لحقوق الإنسان وبعد ذلك أستأنف العمل على يد لجنة صياغة رسمية تتألف من أعضاء اللجنة[3] وقد تم اختيارهم من ثماني دول في ضوء المراعاة الواجبة للتوزيع الجغرافي[4].فبعد اعتماد الوثيقة في 10 كانون الأول ديسمبر 1948 دعت الجمعية العامة جميع الدول الأعضاء إلى نشر نص الإعلان وتوزيعه وعرضه وقراءته وشرحه بشكل رئيسي في المدارس وغيرها من المؤسسات التربوية بدون تمييز على أساس الوضع السياسي للبلدان والأقاليم كانت لجنة حقوق الإنسان مكونة من 18 عضوا يمثلون شتى الخلفيات السياسية والثقافة الدينية وقد اقترح المشروع الأولى للإعلان في أيلول سبتمبر 1948 مع مشاركة أكثر من 50 دولة من الدول الأعضاء في إعداد الصبغة النهائية وبموجب القرار 217 ألفاً (ثالثاً) المؤرخ 10 كانون الأول ديسمبر 1948 اعتمدت الجمعية العامة الإعلام العالمي لحقوق الإنسان في باريس مع اقتناع ثماني دول عن التصويت ودون معارضة أحد ولقد كتب السيد هيرمان سانتا كروز من تشيلي وهو عضو في لجنة الصياغة الفرعية[5].

ميثاق الأمم المتحدة هذا و أنشأت بمقتضاه هيئة دولية تسمى "الأمم المتحدة" ومقاصد الأمم المتحدة هي:

([1]) منصور ميلاد يونس، مرجع سابق، ص86.

(2) الحسان بوقنطار، العلاقات الدولية، الطبعة 4، (دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986)، ص57.

([3])حسان بوقنطار، المرجع السابق، ص58-59.

([4])حسان بوقنطار، المرجع السابق، ص59.

(5) فاضل زكي محمد، السياسة الخارجية وأبعادها في السياسة الدولية، ط/ بلا، (مطبعة شفيق، بغداد ، 1975)، ص718.

1. حفظ السلم والأمن الدوليين وتحقيقاً لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التي تهدد السلم ولإزالتها ونقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم وتتذرع بالوسائل السلمية وفقاً لمبادئ العدل و القانون الدولي لحل المنازعات الدولة التي قد تؤدي إلى الإخلال بالسلم أو لتسويتها.
2. إنما تكون العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضى بالتسوية في الحقوق بين الشعوب وأن يكون لكل منها تقرير مصيرها وكذلك اتخاذ التدابير الأخرى الملائمة لتعزيز السلم العام.
3. تحقيق التعاون الدولي على حل المسائل الدولية ذات الصيغة الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية والإنسانية وعلى تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً والتشجيع على ذلك إطلاقاً بل تميز بالجنس واللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء.
4. جعل هذه الهيئة مرجعاً لتنسيق أعمال الأمم وتوجيهها نحو إدراك هذه الغايات المشتركة .

القـــرارات المنظمة :إذ تذكر أن شـــعوب العالم قد أعلنت في ميثاق الأمم المتحدة عن عقدها العزم على أن تؤكد من جديد إيمانها بحقوق الإنســـان الأســـاســـية وبكرامة الشـخص الإنســـاني وقيمته وبتســاوي حقوق الرجال والنســاء وحقوق الأمم كبيرها وصـغيرها وأن تعزز الرقي الاجتماعي وترفع مســتوى الحياة في جو من الحرية أفســخ وإذ تدرك ضــرورة إيجاد ظروف تتيح الاســتقرار والرفاهية وإقامة علاقات سلمية وودية على أساس احترام مبدأ تساوي جميع الشعوب في حقوقها وحقها في تقرير مصيرها وتكفل الاحترام العام الفعال لحقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً دون تمييز بسـبب العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين وإذ تدرك الرغبة الشـديدة إلى الحرية لدى كافة الشـعوب غير المسـتقلة والدور الحاسـم الذي تقوم به هذه الشـعوب لنيل اسـتقلالها .وإدراكاً للمنازعات المتزايدة الناجمة عن إنكار الحرية على تلك الشعوب إقامة العقبات في طريقها مما يشكل تهديداً خطيراً للسلم العالمي .

وإذ نأخذ بعين الاعتبار الدور الهام الذي تقوم به الأمم المتحدة لمساعدة الحرية الهادفة إلى الاستقلال في الأقاليم المشمولة بالوصاية والأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي وإذ تدرك أن شعوب العالم تحدوها رغبة قوية في زوال الاستعمال بجميع مظاهره .

وإذ ترى عن قناعة أن بقاء الاستعمار يعيق إنماء التعاون الاقتصادي الدولي ويحول دون الإنماء الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للشعوب غير المستلقة ويعارض مثل الأمم المتحدة للسلم العالي .

وأن تؤكد أنه يجوز للشعوب تحقيقاً لغاياتها الخاصة التصرف بحرية في ثرواتها ومواردها الطبيعية دون الإخلال بأية التزامات ناشئة عن التعاون الاقتصادي الدولي القائم على مبدأ المنفعة المتبادلة والقانون الدولي وأن نعتقد أنه لا يمكن مقاومة عملية التحرير وتوجيهها في مسار عكسي وأنه ينبغي الاجتناب الأزمات الخطيرة وضع حد للاستعمار وجميع أساليب الفصل والتمييز المقترحة به .

وإذ ترحب بنيل عدد كبير من الأقاليم غير المستقلة الحرية والاستقلال في السنوات الأخيرة وتدرك الاتجاهات المتزايدة القوة نحو الحرية في الأقاليم التي لم تنل بعد استقلالها وإذ امتناع أن بجميع الشعوب حقاً ثابتاً في الحرية التامة وفي ممارسة سيادتها وفي سلامة إقليمها ، تعلن رسمياً ضرورة وضع حد سرعة دون قيد أو شرط للاستعمار بجميع صوره ومظاهره ولهذا الغرض تعلن ما يلي :

1. أن ..... الشعوب لاستبعاد الأجنبي وسيطرته واستغلاله بشكل إنكار الحقوق الإنسان الأساسية ويناقض ميثاق الأمم المتحدة ويعيق قضية السلم والتعاون العالمين .
2. لجميع الشعوب الحق في تقرير مصيرها ولها بمقتضى هذا الحق أن تحدد بحرية مركزها السياسي وأن تسعى بحرية إلى تحقيق إيمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي .
3. ينبغي لا يتخذ أبداً نقص الاستعداد في الميدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو التعليمي لتأخير الاستقلال .
4. يوضع حد لجميع الأعمال المسلحة والتدابير القمعية الموجهة ضد الشعوب غير المستقلة وذلك لتمكينها من الممارسة الحرة السليمة لحقها في الاستقلال التام على أن يراعي تكامل إقليمها القومي .
5. وجوب اتخاذ التدابير الفردية اللازمة من الأقاليم المشمولة بالوصاية أو الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي أو جميع الأقاليم الأخرى التي لم تنل استقلالها يعد لنقل جميع السلطات إلى شعوب تلك الأقاليم دون قيد أو شرط ووفقاً لإرادتها ورغبتها المعرب عنها

بحرية دون تمييز بسبب العرق أو المعتقد أو اللون لتمكينها من التمتع بالاستقلال والحرية التأمين .

6. كل محاولة تستهدف التفويض الجزئي أو الكلي للوحدة القومية والسلامة الإقليمية لأي بلد تكون متنافية ومقاصد ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه .

7. تلتزم جميع الدول بأمانة ودقة بأحكام ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وهذا الإعلان على أساس المساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لجميع الدول واحترام حقوق السيادة والسلامة الإقليمية لجميع الشعوب .

خصائص المنظمات الدولية:

1. **الاستمرار والديمومة:** من خصائص المنظمة الدولية الاستمرار والديمومة فالمنظمة تنشأ أصلاً من التقاء إرادة مجموعة من الدول لتحقيق غايات مشتركة مستمرة من هنا كان لابد من استمرار المنظمة وأجهزتها ويقصد بها الاستمرار أي أن تباشر المنظمة كوحدة قانونية اختصاصها المنوط بها بصفة مستمرة ذلك كون المصالح المشتركة التي ترعاها هذه المنظمات هي بطبيعتها مصالح مستمرة لايجوز بها التوقيت وصفة الدوام هذا يميز المنظمة الدولية عن المؤتمر الدولي الذي ينعقد لدراسة قضية معينة أو تحقيق غرض محدد ثم يزول بزوال القضية وتحقيق الهدف وعن طريق هذه الصفة أيضاً تمتع المنظمة الدولية بإرادة ذاتية منفصلة عن إرادة الدول الأعضاء فيها وتجعلها غير خاضعة لاهواء هذه الدول وصفة الديمومة هذه لا تعني الأبدية لأنه قد تطرأ على(1) المجتمع الدولي حالات تؤدي إلى زوال المنظمة كما هو الشأن بالنسبة لعصبة الأمم التي زالت بعد أن عجزت عن تحقيق الأهداف المرجوة منها لتحل محلها هيئة الأمم.

2. **الإرادة الذاتيـــة:** المـــراد بهـــا أن يكـــون للمنظمـــة الدوليـــة إرادة مســـتقلة عـــن إرادة الـــدول المنشـــأة لهـــا ويترتـــب عـــن ذلـــك أن يكـــون لهـــا قـــدر كبيـــر مـــن حريـــة التصـــرف فتتخـــذ القـــرارات باســـم المنظمـــة باســـم أعضـــائها كمـــا أن مـــوظفي المنظمـــة يتبعـــون المنظمـــة لا الـــدول الأعضـــاء فيـــه وتشـــغل المنظمـــة هـــذه الميـــزة الخاصـــة بحيـــث لا تستطيع الدول التدخل في أمورها.

(1) محمد حافظ غانم، المنظمات الدولية، ط/ بلا، مطبعة التوفيق، عمان 1987، ص35.

3. **خاصية الدولية:** تنشئ المنظمة الدولية بإرادة عدد من الدول ذات السيادة فهي التي يكون لها حق العضوية فيهاوتميز هذه الخاصية المنظمات الدولية التي تنشأها الدول عن المنظمات التي تنشئ ما بين الأفراد والهيئات الخاصة والشركات والتي تعرف بالمنظمات الدولية غير الحكومية حيث أنها وضعت بـ(دولية) من باب التجاوز لأن نشاطها يتجاوز حدود إقليم الدولة التي تنشأ فيها فهذه المنظمات لا تنشئ بمعاهدات دولية بوثائق قانونية وتخضع لقانون الداخلي لدولة ما.

4. **تحقيق أهداف ومصالح مشتركة:** قد تكون مصالح سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، وعادة ما تتخذ هذه الاختصاصات في الميثاق المنشيء للمنظمة وعليه فإن إنشاء منظمة ليس غاية في حد ذاته إنما هو وسيلة لتحقيق غايات معينة تتجسد أساساً في اختصاصات التي تعمل عليها المنظمات.

5. **الصفة الاتفاقية:** تولد المنظمة الدولية بناءاً على وثيقة قانونية يطلق عليها اسم (الوثيقة المنشئة) أو (النظام الأساسي، المعاهدة، الاتفاق، الميثاق....) ويشترط فيها أن يكون مكتوبة وترتكز على اتفاق صريح من الدول وتحدد الآثار القانونية ويحكمها القانون الدولي العام مثال ذلك ميثاق الأمم المتحدة الذي أنشأه بموجبه سنة 1945.

6. **الشخصية القانونية الدولية:** هي أهلية المنظمة لاكتساب حقوق وتحمل الالتزامات الدولية كما أنها تعني من ناحية أخرى تمتع المنظمة بأهلية التشريع في مجال القانون الدولي العام من أجل المساهمة في إرساء قواعد القانون الدولي أما عن طريق إبرام معاهدات دولية أو الاشتراك في إرساء القواعد العرفية الدولية أو إمكانية رفع الدعاوي أمام القضاء الدولي(1).

المنظمات الدولية كضابط للعلاقات الدولية :

يمكن القول أنه منذ القرن التاسع عشر لم تعد الدول تحتكر العلاقات الدولية فقد نافسها في ذلك ظهور ونمو المنظمات الدولية ومع أن الدولة تبقى الطرف المتميز في العلاقات

(1) محمد حافظ غانم، مرجع سبق ذكره، ص ص 36-38.

الدولية إلا أنها ليست بالتأكيد الطرف الوحيد وإلى جانب الأطراف الرئيسية لابد من إعطاء مكان للأطراف الثانوية وخاصة المنظمات الدولية.

- أن المنظمات الدولية تعلب دورا كبيرا على المسرح الدولي وذلك باعتبارها عامل أمن وسلام من جهة أو أداة للتعاون بين الدول من جهة أخرى .
- تمثل المنظمات الدولية عامل أمن وسلام من جهة و أداة للتعاون بين الدول من جهة أخرى . تمثل المنظمات الدولية عامل أمن وسلام خاصة بالنسبة للدول الصغرى التي ترى فيها وسيلة لحمايتها أمام أطماع وتدخلات الدول الكبرى أما الدول الكبرى فتعتقد أن المنظمات الدولية تمثل تهديدا لحمايتها في العمل خاصة إذا كانت قرارات المنظمات الدولية تمثل تهديدا لحمايتها في العمل خاصة إذا كانت قرارات المنظمات الدولية تصدر بالأغلبية ولذلك فهي تحاول دائما فرض قاعدة الإجماع لصدور القرارات أو التمتع بحق الاعتراض. (1)
- عند صدور القرارات بالأغلبية ومهما يكن من أمر هذا الخلاف بين الدول الكبرى والدول الصغرى فإنه مما لاشك فيه أن المنظمات تعلب دورا أساسيا في حفظ السلم والأمن الدوليين وهذا الهدف الرئيسي كان وراء إنشاء عصبة الأمم سنة 1919 م وكذلك منظمة الأمم المتحدة غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية 1945 فقد نصت في ديباجة عهد العصبة على أن الهدف من وضعه هو تنمية التعاون الدولي لتحقيق السلام والأمن الدوليين عن طريق الامتناع عن اللجوء إلى الحرب ونص في العهد أيضا على عدم جوزاء إعلان الحرب قبل عرض النزاع على طرق التسوية القضائية أو على مجلس العصبة وبذلك فرض العهد قيودا على حق استخدام الحرب في العلاقات الدولية كما قرر اعتبار الدولة التي تخالف ذلك وتلجأ إلى الحرب في العلاقات الدولية كما قرر اعتبار الدولة التي تخالف ذلك وتلجأ إلى الحرب كأنها قامت بعمل حرب ضد أعضاء العصبة ويجوز توقيع جزاءات عليها تتخذ صورة الطرد من العصبة أو الجزاءات الاقتصادية أو جزاءات حربية(2) .

(1) منصور ميلاد يونس ،مقدمة لدراسة العلاقات الدولية، ط بلا،(المؤسسة السنية للطباعة والنشر) ص 76-ص 86 .

(2) منصور ميلاد يونس، المرجع السابق، ص86.

نظرا لفشـــل العصـــبة في تحقيق الأهداف التي أنشـــئت من أجلها ولازدياد الشـــعور بأهمية المحافظة على الســـلم والأمن الدولي بعد الحرب العالمية الثانية وما تســـببته من مآســـي وآلام فقد رؤى ضـرورة وضـع تنظيم دولي تتركز فيه وسـائل وإمكانيات تحقيق الأمن الجماعي للبشـرية جمعاء وقد تمثل ذلك في إنشاء منظمة الأمم المتحدة في عام 1945 م وقد جاء ميثاق هذه المنظمة مؤكدا في ديباجته أن شـــعوب الأمم المتحدة قد قررت توحيد جهودها لإنقاد الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي من خلال جيل واحد جلبت على الإنســـانية مرتين أحزانا يعجز عنها الوصـــف وجاء في المادة الأولى منه أن أولى مقاصد الأمم المتحدة هي " حفظ السلم والأمن الدولي " (1).

- ونصت المادة الثانية في فقرتها الرابعة على أن " يمتنع أعضاء هيئة جميعا في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق و مقاصد الأمم المتحدة " .
- لقد وضعت في يد المنظمة (ممثلة في مجلس الأمن) وسائل عنف ووسائل سلمية لتحقيق هذا الهدف والمنظمة تتخذ التدابير الفعالة المشتركة لمنع تهديد السلم وإزالة أسباب هذا التهديد...وهي أيضا تتدرع بالوسائل السلمية وفقا لمبادئ العدل والقانون الدولي لحل المنازعات....أو لتسويتها فحفظ السلم بالتدابير الفعالة المشتركة هو ما يطلق عليه مبدأ " الأمن المشترك أو الجماعي " .
- كما تمثل المنظمات الدولية أداة للتعاون بين الدول في مختلف المجالات وخاصة في مجال الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وهذا يمثل في الحقيقة سببا رئيسيا وراء إنشاء أغلب المنظمات الدولية وخاصة الإقليمية منها فتحقيق التعاون الاقتصادي والاجتماعي يمثل وسيلة من وسائل تحقيق الأمن الجماعي وسيادة السلام فيما بين الدول حيث أن معظم حالات التوتر الدولي ترجع في حقيقتها إلى الأزمات والاختلافات التي قد تشوب العلاقات بين الدول.

المطلب الثاني: النظام الدولي

(1) محسن الشيشكلي، المرجع السابق، ص377.

النظام الدولي: إن النظام الدولي نشأ وتأسس في المجتمع الدولي لتعزيز الأمن السياسي والقومي أمام التنوع والتطور الذي شهدته البيئة الدولية في التفاعلات بين العناصر المكونة لها ومدى فاعليتها وقدرتها على التأثير، الأمر الذي أقتضي حسم مسألة التعريف .

التعريف بالنظام الدولي من الجانب القانوني:

"النظام الدولي شخص معنوي من أشخاص القانون الدولي العام ينشأ كنتيجة اتحاد إرادات مجموعة من الدول لرعاية مصالح مشتركة دائمة بينها وتتمتع بإرادة ذاتية في المجتمع الدولي وفي مواجهة تجمع إرادي لعدد من أشخاص القانون الدولي متجسد في شكل هيئة دائمة يتم إنشاءها بموجب اتفاق دولي وتتمتع بإرادة ذاتية ومزودة بنظام قانوني متميز يمارس النظام من خلالها نشاطه لتحقيق الهدف المشترك الذي تم من أجله تم إنشاؤه(1).

يرى البعض "أن النظام الدولي جمعية من الدول أحدثت على أساس اتفاقية بين أعضائها ومزودة بمجموعة من الأجهزة الدائمة المكلفة بتتبع الإنجاز لأهداف الصالح المشترك بواسطة التعاون فيما بينها؛ ويرى البعض أن النظام الدولي يتصف في رأي البعض بالصفة الواقعية والعملية في آن واحد والنظام الدولي يقيل نظام تعدد الدول كحقيقة قائمة وإن كان يحاول من خلاله أدواته وأساليبه الحاصلة أن يخفف من حدة الصراعات والتناقضات التي تنشأ وتتفاعل داخله وأن يرسى أساساً أقوى لدعم إمكانيات التعاون الدولي المتبادل كمقدمة ضرورية ومنطقية نحو تحسين فرص السلام والاستقرار الدوليين(2).

تعريف النظام الدولي من الجانب السياسي: ليس من السهولة التوصل إلى تعريف شامل للنظام الدولي السياسي لصعوبة تحديد مكوناته التي تسير دراسته كنظام علمي له مفاهيمه ومناهجه كونه فرع من العلوم السياسية وقوة صلته بالعلوم الاجتماعية الأخرى لما بينها من تداخل في مكونات كل منها؛ فالنظام الدولي السياسي تتداخل فيه مكونات اجتماعية وثقافية وعقائدية واقتصادية إضافة إلى أن عوامل التقدم الفني والحضاري التي تؤثر كبيراً في النظام السياسي وتتفاعل معها وتؤثر فيها.

(1) مفيد شهاب ، المنظمات الدولية، ط/ بلا،(دار النهضة العربية، بيروت، 1978)، ص35.

(2) بلقاسم كرينمي، نظرية المنظمات الدولية دراسة تأصيلية في التنظيم الدولي، ط بلا،(المؤسسة العربية للنشر والإبداع)، ص 25.

النظـام الـدولي يعـد إطـاراً نظريـاً ابتكـره علمـاء السياسـة حتى يسـاعد المحللـين والـدول على فهـم نظـام القـوة السياسـية في العلاقـات الدوليـة وشـكل القـوة بـين الـدول حتى يمكـن تصـنيفها ولـذلك فـإن النظـام الـدولي لـيس نظامـاً مكتوبـاً أو نظامـاً رسـمياً أو قانونـاً يـنظم العلاقـات بـين الـدول بـل هـو إطـار يسـاعد على تحليـل شـكل العلاقـات بـين الـدول ومعرفة الأطراف الأكثر قوة والأكثر نفوذاً مقارنة بغيرها(1).

خصائص النظام الدولي

1. **تعـدد الفـاعلين الـدوليين:** يتعـدد وتتـوزع مصـادر السـلطة فيـه على مسـتوى العـالم نتيجـة تصـاعد قـوة الشـركات المتعـددة الجنسـية والمنظمـات غيـر القوميـة وغيـر الحكوميـة التـي أصـبحت تشـكل تحـدياً لسـيادة الدولـة وسـلطتها ويمكـن القـول إن النظـام الـدولي قـد عـرف فـاعلاً جديـداً كعنصـر مـن عناصـر المجتمـع الـدولي يتمثـل في عولمـة الإرهـاب، فقـد خـرج الإرهـاب مـن رحـم العولمـة الأمريكيـة ليمثـل نوعـاً مـن العولمـة المضـادة وهـو فاعـل لـيس قطريـاً ولا إقليميـاً ولا يمـر عبـر مؤسسـات الـدول ولـه مقوماتـه الذاتيـة واسـتقلالية وكثيـر مـن الجمـاهير المتعاطفـة معـه وهنـاك أيضـاً تزايـد دوره منظمـات ولجـان حقـوق الإنسـان والـدفاع عـن البيئـة(2)، مـا زالـت الـدول تسـتخدم حـق الفيتـو إلا أنـه أبـرز النفـوذ الأمريكي في قـرارات هـذا المجلـس انعكاسـاً لمـوازين القـوى الجديـدة بعـد انهيـار الاتحـاد السـوفياتي، فـالقرارات المتعلقـة بـالغزو العراقي للكويـت جـاءت مـن دون اعتـراض دولـة مـن الـدول الدائمـة العضـوية خاصـة بعد غياب (الفيتو السوفيتي)

2. **تغيـر مفهـوم القـوة وظهـور المنظمـات الإقليميـة:** في السـابق كانـت القـوة العسـكرية تتمتـع بمزايـا لا مثيـل لهـا في تحقيـق الفائـدة السياسـية والاقتصـادية للدولـة لكـن تحـولات العصـر وتطوراتـه قـد جعلـت الأداة الاقتصـادية فـي سـلم أدوات السياسـة الخارجيـة وأصبحت القوة الاقتصادية الفعلي لقوة الدولة(3).

(1) د. عبدالله حسن الجوجو، الأنظمة السياسية المقارنة، الطبعة الأولى، الجامعة المفتوحة، 1996، ص6.

(2) منير محمود بدوي، الاتجاهات الحديثة في دراسة النظام الدولي، ط، بلا، (دار الطليعة، بيروت)، ص151.

(3) منير محمود بدوي، مرجع سبق ذكره، ص 152-153.

نشأة النظام الدولي: يمكن تحديد فترات زمنية برز فيها مفهوم النظام الدولي بصورة واضحة إلى حيز التطبيق ولعل أهم هذه المراحل :

المرحلة الأولى وهي تلك الفترة التي امتدت منذ مؤتمر (فينا) 1870، وحتى 1914 هذا المؤتمر الذي عملت على إعادة التوازن الدولي للمجموعة الأوروبية وخاصة العمل على عودة الأنظمة السياسية الحاكمة في تلك الدول إلى سياستها وإعادة تقسيم الأراضي الأوروبية بعد هزيمة نابليون ولذلك سحبت الدول إلى إبرام العديد من الاتفاقيات والتحالفات التي أخذت طابع الدولية لتضمن إقرار السلام وعدم العودة إلى حالة الحرب.

المرحلة الثانية من مراحل النظام الدولي فهي تلك المرحلة التي امتدت بين عام 1919 – 1945 وهي الفترة الممتدة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية وقد تميزت هذه المرحلة بعدم والاستقرار(1)، على الرغم من أن النظام كان سائداً خلالها نشأ في ظل مؤتمر الصلح في (قرساي) عام 1911م الذي عملت ألمانيا على تغيره نظراً لما كانت تشير به من إذلال وتقليل من دورها كما برزت قوة أخرى تبعد كثيراً عن المجموعة الأوربية وهي اليابان التي حاولت أن تجد لها مكاناً مناسباً في النظام الدولي السائد ولم تكن راضية عن التطورات السياسية التي كانت تجري في تلك الفترة فعملت هي الأخرى على تغير النظام الذي نشأ بعد مؤتمر (فرساي) .

المرحلة الثالثة من النظام الدولي هي تلك التي يمكن تحديدها بالمرحلة التي نشأت مع الحرب العالمية الثانية عام 1945م وامتدت حتى عام 1995 والتي وصفت بأنها مرحلة (الحرب الباردة) وحددت بالثنائية القطبية إذ أدت الحرب العالمية الثانية إلى خروج معظم أطرافها منهوكة القوة في مختلف جوانب التأثير العسكري والسياسي والاقتصادي على الرغم مما حقه الحلفاء من انتصارات عسكرية إلا أن آثار الحرب ألفت على هذه الدول وخاصة الأوروبية الغربية بينما شهدت هذه المرحلة صعوداً سريعاً لقوتين كبيرتين متنافستين هما الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية(2).

---

(1) غراهام ايفانز وجيفري نونيهام، قاموس بنغوين للعلاقات الدولية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، ط2، بنغوين للنشر، مارس 2000 ، النظام الدولي.

(2) غراهام ايفانز وجيفري نونيهام، المرجع السابق، ص 91-92.

طبيعة وأشكال النظام الدولي العالمي

أولاً: النظام متعدد القطبية

يقوم هذا النظام على توازن القوى (الأقطاب) حيث لا توجد فيه قوة سياسية واحدة تقوم بوظيفة القيادة داخل النظام الدولي وتتم العلاقات بين القوى على أنها علاقات صراع وتنافس في الغالب بسبب غياب القوة الفائدة(1) تبدأ هذا المرحلة من معاهدة وشفاليا سنة 1648 والتي أنهت الحروب الدينية وأقامت النظام الدولي الحديث المبني على تعدد الدول القومية واستقلالها كما أخذت بفكرة توازن القوى كوسيلة لتحقيق السلام وأعطيت أهمية للبعثات الدبلوماسية وتنتهي هذه المرحلة بنهاية الحرب العالمية الأولى في هذه المرحلة كانت الدولة القومية هي الفاعل الوحيد في السياسية الدولية ولم تعرف هذه المرحلة المنظمات الدولية(2) ولا المؤسسات غير القومية مثل الشركات العالمية وكانت قوة الدولة مرادفة لقوتها العسكري وكانت أوروبا تمثل مركز الثقل في هذا النظام أما الولايات المتحدة فكانت في موقع طرفي من هذا النظام ولم يكن لها دور فاعل نتيجة سياسية العزلة التي تتبعها؛ وكانت الفكرة القومية هي الظاهرة الأساسية في النظام الدولي فهي أساس قيام الدول وأساس الصراع بين المصالح القومية للدول ولم تكن الظواهر الأيديولوجية الأخرى قد ظهرت بعد مثل الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية وغيرها ، ويسمى هذا النظام (توازن القوى) وهو يقوم على وجود عدد من التحالفات أو المحاور التي تتكافأ قواها أو تكاد وذلك لردع أي محور دولي من استغلال أي تفوق مؤقت في قواه لتغيير معالم الوضع الدول القائم ومن أبرز خصائصه تعدد الدول واستقلالها ومرونتها الكاملة في الدخول والانسحاب(3) من المخالفات التجمعات الدولية.

يمكن تلخيص طبيعة التحولات التي حدثت في هذا النظام من خلال خاصيتين أساسيتين هما:

([1]) محمد المجدوب، التمظيم الدولي، ط1،(الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت)، ص25.

([2]) حسن نافعة، الأمم المتحدة في نصف قرن، دراسة في تطور التنظيم الدولي، ط1، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995)، ص424.

([3]) حسن نافعة، المرجع السابق، ص425.

1.توزيع امكانيات القوة في المجتمع الدولي بين عدد من المحاور والتجمعات أياً كان عددها وأعضاؤها (توازنات القوى الدولية البسيطة والمتعددة) .

2. المرونة الكاملة أو شبه الكاملة في الانضمام إلى هذه المخالفات أو الخروج منها أي أن الدولة – أي الدولة- تمتعت بسلطة مطلقة في تقرير كل ما يتعلق بمصالحها في إطار التوازن الدولي الذي تحاول الإبقاء عليه وتوصف الرؤى الفكرية في علم السياسة الدولية هذه المرحلة (بالفوضى الدولية) والمقصود بذلك أن العلاقات تتسم بعدم وجود سلطة عليا فوق الدولة ومن ثم فإن الدولة هي الحكم الأخير فيما تتخذه من قرارات وما تقوم به من سلوكيات ما يجعل من العلاقات عملية صراعية (1).

ويمكن تلخيص خصائص هذه المرحلة بالعناصر التالية:

1.الدولة هي الفاعل الرئيسي إن لم يكن الوحيد في العلاقات الدولية بحكم امتلاكها عنصري القوة والسيادة والنظام الدولي عبارة عن مجموعة من الدول ذات السيادة.

2. كل دولة تستطيع أن تفعل ما تراه مناسباً ومحققاً لمصالحها بالفوضى الدولية هي السمة المميزة لهذه المرحلة.

3.تُعدُّ قضية الأمن القضية المحورية للنظام إذْ رأت كل دولة أن القوة هي الكفيلة للحفاظ على سيادتها.

4. لا يعني حالة الفوضى الدولية ديمومة الحرب فقد عملت آليات قالت مكن نشوب الحرب ولعل أهم هذه الآليات (توازن القوى) من خلال كوابح الرشادة أي أن الدولة تتصرف بناء على حساب موضوع المكاسب والخسائر واختيار البديل الأكثر تعظيماً(2) للمكاسب أو تقليلاً للخسائر وقد ظهرت في تلك المرحلة نظريات الجيوبولتكس المختلفة أشهرها نظرية ما كندر وماهان وسيكيمان وغيرها(3).

ثانيا: مرحلة ثنائي القطبية: نبدأ هذه المرحلة من الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الثمانينات من القرن الماضي حيث اتجه النظام بعد الحرب العالمية الثانية نحو نظام الثنائية القطبية بين المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي والمعسكر الغربي

(1) اسماعيل صبري مقلد، مرجع سابق، ص80.

(2) محمد السيد سليم، المرجع السابق، ص75.

(3) المرجع نفسه ، ص76.

بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وتوسعت قاعدة النظام الدولي ومراكز القوى خارج أوروبا وخلال هذه المرحلة ظهرت الأيديولوجية كإحدى أهم الظواهر في المجتمع الدولي وأخذ الانقسام داخل النظام الدولي طابع الصراع الأيديولوجي بين المعسكر الشرقي الاشتراكي والمعسكر الغربي الرأسمالي و تبع ذلك ظهور عدد من الظواهر مثل الحرب الباردة والتعايش السلمي و الوفاق الدولي وغيرها(1)، وتميز نظام القطبية الثنائية بوجود مركزين متفوقين من مراكز القوى الدولية ويحيط بكل مركز منها عدد من الدول التابعة والأقل كثيراً في إمكانيات القوة ومقدراتها ويكون حق الوجيه ورسم السياسات واتخاد القرارات احتكار للدول المسيطرة في داخل كل واحد من هذين المركزين من مراكز القوة الدولية(ولهذا النظام خاصيتان)

* التوزيع الثنائي لامكانيات القوة الدولية واعتماد الأيدولوجيا أساساً لتقييم مركز القوة الجديدة.

* الفقدان الكامل للمرونة السابقة من حيث الدخول أو الانسحاب من تجمعات القوة الدولية(2).

ثالثاً: نظام القطب المتفرد: يقوم هذا النظام على سيطرة قوة سياسية واحدة فقط على كافة تفاعلات النظام الدولي بمعنى احتكار طرف واحد للقوة السياسية في العالم(3)، وتبدأ هذه المرحلة من نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي وحتى الآن، ويطلق عليها (النظام العالمي الجديد) وتعود بدايات شيوع هذا المفهوم إلى حرب الخليج الثانية 1990، حيث بدأت الدعاية الأميريكية بالترويج لهذا المفهوم رغم وجود محاولات سابقة في هذا المجال واتجه النظام الدولي خلال هذه المرحلة نحو أحادية القطبية أو عصر القطب الواحد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور الولايات المتحدة كقاعدة للمعسكر الرأسمالي المنفرد بقيادة العالم وتمدد دورها وهيمنتها على الأمم المتحدة والشرعية الدولية(4)، وقد شهدت هذه المرحلة زيادة عدد الدول نتيجة الانقاسمات التي تحدثت في كثير من الدول وفي الوقت نفسه يشير النظام خلال هذه المرحلة إلى أنماط تفاعلات جديدة تركز على الجوانب(5) الثقافية والحضارية وتوزيع

(1) سمير أمين وآخرون، العولمة والنظام الدولي الجديد، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت ،2004، ص12.

(2) محمد السيد سليم، تطور الإطار النظري لعلم السياسة الدولية، ط/بلا، مجلة السياسة الدولية، 2005، ص46.

(3) محمد المجذوب، المرجع السابق، ص 30.

(4) اسماعيل صبري مقلد، مرجع سبق ذكره، ص27.

(5) محمد عابد الجابري، نحو تأسيس نظام عربي جديد، ط1، منتدى الفكر العربي ، عمان، 1991) ص63.

مصادر القوة والنفوذ بصورة جيدة تعطي دوراً أكبر للمنظمات غير الحكومية مما جعل البعض يطلق عليه اسم (النظام العالمي الجديد) بدلاً من (النظام الدولي الجديد) وهذه المرحلة ظاهرياً ارتبطت بمجموعة من القيم والمبادئ الأخلاقية والإنسانية مثل الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان واحترام قواعد القانون الدولي واعلاه الشرعية الدولية وتسوية المنازعات بالطرق السلمية بينما عسكرة العلاقات الدولية على أرض الواقع مما يؤكد الطبيعية الثنائية للنظام(1)، فعلى المستوى السياسي قامت أمريكا بدور المنظم للمجتمع الدولي وراود الكثيرين في العالم الأمل بانتهاء الحرب والاتجاه بخطوات ثانية نحو السلام العالمي ومنذ أحداث 11 سبتمبر ظهرت نوعية جديدة من الاستقطاب وحلت الثانية جديدة تتمثل في مواجهة بين الولايات المتحدة وقوى الإرهاب ودول وضفتها أمريكا بالدول المارقة والتي تشكل ملاذاً للإرهاب وفي هذا الصدد كشف التحرك الفردي للولايات المتحدة تجاه الحربعلى افغانستان واحتلال العراق عن عجز اوروبا عن أن تشكل قوى سياسة تتبوأ مكاناً يليق يقودها إلى درجة وصفها بأنها عملاق اقتصادي لكنها ليست سوى قزم سياسي(2)؛ وعلى المستوى العسكري استندت الولايات المتحدة في فرض زعامتها على العالم إلى قوتها العسكرية والنووية الكبيرة مما أدى إلى انفرادها بالقرارات العسكرية دون الالتزام بالشرعية الدولية بحكم قوتها الاقتصادية والعلميةلا والعسكرية في مجال الاستخبارات والتجسس الألكتروني والمراقبة بواسطة الأقمار الاصطناعية والعدة الحربية المتطورة من السفن والطائرات والمدفعيات والصواريخ كما يتسم بحل الأحلاف العسكرية الاشتراكية السابقة كحلف وارسو وإقامة القواعد(3) العسكرية الأمريكية في مناطق مختلفة من العالم وخاصة في الشرق الأوسط، كالكويت والسعودية وقطر والضغط على الدول المنتجة للسلاح وخاصة النووي كإيران وكوريا الشمالية(4).

أسباب سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام الدولي العالمي وبروزنظام أحادي القطبية.

(1) محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص64.

(2) محمد السيد سليم، لامرجع السابق، ص50.

(3) أسامة عبدالرحمن، تنمية التخلف وإدارة التنمية، إدارة التنمية في الوطن العربي، والنظام العالمي الجديد، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية .

(4) نفس المرجع ، ص125.

تعد الولايات المتحدة الأمريكية أقوى الدول في العالم والفضل يرجع في ذلك إلى ما تمتلكه من موارد اقتصادية عظيمة وما توصلت إليه من تقدم تكنولوجي ملموس مما بوأها مركزاً ذا ثقل سياسي كبير ومؤثر في المجال العالمي لا يستطيع أحد انكاره وقد تظافرت العوامل الجغرافية والتاريخية المتشابكة في خلق مساحة مندمجة تمتد عبر قارة أمريكا الشمالية بين المحيطين الأطلسي شرقاً والهادي غرباً وتتنوع في هذه المساحة الواسعة(1) بيئات جغرافية متعاقبة تسمح في معظمها بنمو سكاني كبير في هذا المجال الأرضي كذلك توفرت بها موارد غير محدودة بفائض كبير للتصدير ومن الثروة المعدنية التي كونت الطاقة الكامنة في البلاد بالإضافة إلى ذلك كله توفر العنصر الديمغرافي الفعال والحيوي من الصعب إعطاء الأولوية للعوامل المحادية أو غير المحادية التي تدخل في تركيب قوة أية دولة من الدول لذا يصعب إعطاء تقييم دقيق لكل عامل على حدة وجعله يعكس مركزها الحادي فتمديد العوامل المختلفة التي تتكون منها قوة الدولة وتقسيمها(2) يعد من الأمور الصعبة لكثرة العوامل المختلفة وتباينها وبسبب وجود عامل كالروح المعنوية مثلاً لا يتسنى تقسيمها بالمقاييس المادية عند استخلاص الوزن النهائي للدولة في ظرف من الظروف من حيث تكوينها المادي(3)

- **المـوارد البشـرية :**لقـد اعتمـدت الادارات الأمريكيـة ايجـاد حلـول مثلى لمـا ينبغي أن يكـون عليـه دور وأجنـدة المـوارد البشـرية وقـد توصـلوا إلى تلـك الحلـول مـن بعضـها الدروسـالعامة المسـتفادة مـن تجـارب وممارسـات الشـركات العالميـة في مجال تنمية الموارد البشرية في المنظمات كالتالي(4):

1. فهم العلاقة التي تربط بين تنمية الموارد البشرية والإدارات عموماً .
2. الشراكة في تنفيذ الاستراتيجية وتهيئة الظروف الملائمة لإجراء حوار بناء حول كيفية صياغة وتنفيذ الاستراتيجية اللازمة لتطوير القدرات البشرية.
3. إدراك الدور المحوري لتنمية الموارد البشرية في تحقيق نظم الإدارة .
4. الخبرة التشغيلية من خلال الكفاءة والفاعلية والاقتصاد.

---

(1)فتحي محمد أبو عيانة، **دراسات في الجغرافية السياسية**، ط/ بلا، (بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، سنة : بلا)

(2)عبدالواحد الناصر، **خصائص الدول في محيط العلاقات الدولية** ط3، الدولة، بلا ، الدار، بلا 1995، ص101) .

(3)المصدر السابق ، ص101 .

(4)جينفر جوي، وآخرون **تنمية الموارد البشرية**، ترجمة: علاء أحمد اصلاح، ط1، القاهرة مجموعة النيل العربية 2008، ص113.

5. تقدير قيمة تنمية الموارد البشرية من خلال منظور مصالح واهتمامات ومتطلبات الآخرين.
6. تقدير قيمة تنمية الموارد البشرية كعامل داعم ومساند للأولويات التنظيمية المختلفة .
7. الأفراد والجماعات كولاء للتغير.

- **التطور الصناعي والتكنولوجي**

لقد أدت التطورات التكنولوجية في الحاسبات الألية والمعالج الدقيق والبرامج إلى تطورات في شبكات الاتصالات من جهة وإلى إمكانية تبادل المعلومات بين شبكات الكمبيوتر من جهة أخرى ثم تطورت هذه الشبكات في السنوات الأخيرة لتربط بين أجهزة الكمبيوتر على مستوى العالم بظهور شبكات الانترنت والتي أمكن من خلالها نقل البيانات والرسومات والصور و الصوت بصورة رقمية وقد صاحبت بدايات الثورة العلمية والتكنولوجية اكتشافات الفضاء واطلاق الأقمار الصناعية للاتصالات واستخدمت شبكات الانترنت مع منظومة من شبكات الأقمار الصناعية الخاصة بالاتصالات لتكوين ما يعرف باسم الطريف فائق السرعة لنظم المعلومات(1).

- **تكنولوجيا الأسلحة**

مع امتداد الثورة الصناعية الثالثة تأثرت الصناعات العسكرية بمكتبات المعرفة والتكنولوجيا لهذه الثورة كما أنها أثرت أيضاً فيها بالتطورات التي نتجت عن البحث عن أفضل الوسائل العسكرية وقد انتشرت الأوساط العسكرية حديثاً هو إشارة إلى الوقت الشديدة في وسائل الهجوم وفي أحداث تأثير محدود يزيل يؤرا محددة مع اختلاف النتائج بالطبع والأسلحة الحديثة تعتمد على كل التكنولوجي ومعارف العصر لأداء مهامها فالالكترونيات يتم توظيفها لدقة التوجيه والتحكم والسيطرة والحساسيات الآلية في المعدات والطائرات تقوم بمهام متعددة لمساعدة العنصر البشري والأشعة تحت الحمراء تساعد الرؤية الليلية وأشعة الليزر تساعد في توجيه الصواريخ وتدمير الأهداف البعيدة أو تعطيلها وأجهزة التشويش الألكترونية لتضليل الدفاعات الأرضية والطائرات والصواريخ المعادية وتقوم الحاسبات الآلية بدور جوهري في معاونة الطيارين لاختيار الأهداف واتخاد قرار الهجوم وتوقيت حيث تعطى الحاسبات الألكترونية الطيار ومعلومات

(1)مهجة أحمد بسيم، المحاور والنتائج الاقتصادية الاجتماعية للثورة العلمية التكنولوجية، وخطة مصر لمواجهتها.

لحظية عن الأهداف وترتيب خطورتها عليه وتقوم برصد الصواريخ التي تم إطلاقها عليه واجراء تشويش الألكتروني(1).

- **القوة العسكرية الأمريكية**

انضمت الساحة الدولية مهيمنة أمام الخارجية الأمريكية بجميع عناصرها المكونة لها من دول ومنظمات دولية وإقليمية وعالمية لإقامة سلام عالمي على النمط الأمريكي، لذا نجد أن الإدارة الأمريكية اعتمدت في تحقيق أمنها القومي على اتباع عدة اتجاهات تبرر لها استخدام قوتها واستغلالها من أجل تحقيق ما يحقق لها ذلك الأمن الذي يضمن لها الاستقرار والسلام وهي(2):

1. التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى .
2. التدخل باستخدام القوة عن طريق الضربات الاستباقية لمواجهة التهديدات التي تواجه الولايات المتحدة.
3. منع انتشار أسلحة الدمار الشامل بين الدول التي تصنفها بالمارقة والفاعلين غير الدول لأنها تهدد الأمن القومي الأمريكي.
4. اختراق الحدود السياسية بدعوى الإرهاب ونزع أسلحة الدمار الشامل.
5. فرض التبعية للولايات المتحدة بالقوة تحت شعار (من ليس معنا فهو ضدنا) ودعم القوى الإقليمية الموالية لسياسات الولايات لمتحدة.
6. تحقيق المصلحة القومية الأمريكية.
7. نشر النموذج الأمريكي في العالم كنموذج يجب أن يحتدى به.
8. اعتبار جميع مناطق العالم مجالاً حيوياً للمصلحة الأمريكية وإعطاء منطقة الشرق الإسلامي صفة خاصة وإبقائها كمجال حيوي لها.

اعتمدت الإدارة الأمريكية على استخدام القوة المسلحة كأداة من أدوات السياسة الخارجية لتحقيق أهدافها ويتخذ من هذا الاستخدام أحد المظهرين:

---

(1)مجلة القوات الجوية بالامارات العربية، أحدث الطائرات القتالية متعددة المهام (العدد 138-ديسمبر 2000) ص60

(2)ابراهيم أبو خزام **الحرب وتوازن القوى**، ط/ بلا، لبنان الأهلية، 1999، ص326.

- الاستخدام المادي أو الفعلي للقوة المسلحة في الدفاع عن مصالح الدولة وأهداف سياستها الخارجية.
- التهديد باستخدام القوة المسلحة لاجبار الدول الأخرى على الرضوخ والتسليم بأهداف هذه السياسة(1).

النتائج والتوصيات

النتائج.

من خلال التتبع لمراحل العلاقات الدولية وما مرت به من تطور وتقدم متباين خلال فترات زمنية متثالية وما صاحبها من تطور في المنهجية العلمية المعتمدة في دراسة وتحليل القضايا والظواهر ذات الصلة بمعترك العلاقات الدولية فقد توصل الباحث إلى النتائج التالية:

- أن طبيعة العلاقات الدولية تتسم بالتباين بناءً على الأطراف الدوليين الفاعلين؛ فطبيعة الفاعل الدّولي هو من يُحدد النسق المتبع لطبيعة وشكل العلاقات مع غيره من الفاعلين الدوليين.
- غالباً ما يكون طبيعة العلاقة التي تأخذ شكل التعاون أو الصراع كنتيجة حتمية لطبيعة المصلحة.
- تعتبر القوة بمفهومها الشامل مصدر أساسي وفاعل رئيسي لرسم ملامح علاقات الدولة مع إقليمها الدولي والقاري في تحقيق إستراتيجيتها المستقبلية.

التّوصيات

نظراً للتطور التي مرت به العلاقات الدولية خاصةً بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية ونشأة الأمم المتحدة إثر فشل العصبة في حلحلة الصراعات الدولية دون اللجو إلى إستخدام القوة يوصي الباحث بالتوصيات التالية .

- إنشاء مراكز بحثية تتعلق بالقضايا الدولية لإمداد صناع القرار بالتقارير الدورية لمضمون التفاعل في المعترك الدولي.
- إنشاء مراكز بحثية بالجامعات الليبية.

(1) اسماعيل صبري مقلد، مرجع سابق، ص509.

- إقامة الندوات والمؤتمرات عل الصعيدين المحلي والدولي لتحليل وتفسير طبية الظاهرة السياسية الدولية.

- **قائمة المراجع**

1. إبراهيم أحمد شلبي، التنظيم الدولي، ط بلا(دار الجامعية، بيروت، 1984).
2. ابراهيم محمد العناني، التنظيم الدولي (دار الفكر العربي، القاهرة، 1984).
3. اسماعيل العربي، هيئة الأمم المتحدة والتنمية الاقتصادية في البلدان المتطورة، ط: بلا ، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1972).
4. اسماعيل صبري مقلد،العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات،ط5،(الكويت؛ ذات السلاسل 1987).
5. الحسان بوقنطار، العلاقات الدولية، الطبعة 4، (دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، 1986).
6. بدرية عبد الله عوض، القانون الدولي العام في وقت السلم والحرب، ط بلا،(دار الفكر العربي، القاهرة 1979).
7. بلقاسم كرينمي، نظرية المنظمات الدولية دراسة تأصيلية في التنظيم الدولي، ط بلا ،(المؤسسة العربية للنشر والإبداع) .
8. حسن نافعة، الأمم المتحدة في نصف قرن، دراسة في تطور التنظيم الدولي ط1، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995).
9. عبدالله حسن الجوجو، الأنظمة السياسية المقارنة، الطبعة الأولى، الجامعة المفتوحة، 1996.
10. عبد العزيز سرحان، الوسط في التنظيم الدولي، ط/ بلا، (دار الفكر العربي، القاهرة، 1972).
11. عائشة راتب، المنظمات الدولية، ط:بلا، دار النهضة العربية، القاهرة 1969)
12. علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، ط11،(منشأة المعارف بالاسكندرية، 1975).
13. فاضل زكي محمد، السياسة الخارجية وأبعادها في السياسة الدولية، ط/ بلا، (مطبعة شفيق، بغداد ، 1975.
14. محمد حافظ غانم، المنظمات الدولية، ط:بلا، مطبعة التوفيق، عمان 1987
15. مفيد شهاب، المنظمات الدولية، ط: بلا(دار النهضة، بيروت ، 1978).
16. منصور ميلاد يونس ،مقدمة لدراسة العلاقات الدولية ،ط بلا،(المؤسسة السنية للطباعة والنشر.

17. منير محمود بدوي، الاتجاهات الحديثة في دراسة النظام الدولي، ط: بلا، (دار الطليعة، بيروت).

18. * التقرير الاستراتيجي العربي(2001)، العمليات العسكرية في أفغانستان، مركز الأهرام للدراسات http://www.ahram.org.eg/

القوة العسكرية الآشورية و انعكاسها على التوسعات الخارجية

أ. فرج صالح احبيل المحجوب - * جامعة بني وليد ، التخصص تاريخ قديم .

مقدمة :

يحتل الجيش مكانة هامة في تاريخ الأمم قديمها وحديثها، وفي مختلف البلدان والأقاليم، ومن بينها الدولة الأشورية التي كان جيشها قبل العهد الامبراطوري بسيطا في عدته وعتاده وتكويناته، إلا أنه عرف تطورا كبيرا في العهد الإمبراطوري ، حيث وصلت أشور بالفن العسكري إلى أرقى ما كان معروفا في ذلك الوقت من حيث التدريب والتسليح، وتنظيم الامدادات وتنوع فنون القتال، كل ذلك لأنها غيرت سياستها الخارجية وأصبحت توسعية، فأوجدت الاداة الاولى وهي الجيش.

تمكن الأشوريين من إقامة دولة واسعة ضمت المناطق المجاورة ومناطق بعيدة عنها وذلك نتيجة بناء جيش منظم قوي حسن التدريب يكون سنداً للدولة ودعامة أساسية لتحقيق أهدافها في التوسع وحماية حدودها الخارجية .

تناولت في هذا البحث اهم مكونات الجيش الآشوري وكذلك تقسيماته واهم الفرق العسكرية التي تنطوي تحته ، كما تناول البحث العديد من انواع الاسلحة القتالية ، وأماكن استخدامها ، وكما تم التطرق الى الفنون القتالية الأشورية في ساحات القتال والدوافع الأساسية من تأسيس الجيش الآشوري .

اولا : تكوين الجيش

1- التدريب والتجنيد

عرف عن الملوك الأشوريين اهتمامهم الكبير بالتجنيد في صفوف الجيش وتنظيمه وتدريبه وتسليحه ، وكان التجنيد يتم وفق أسس معينة، حيث كان يطلب من كل حاكم مقاطعة أو إقليم تقديم عداد معين من المقاتلين يتناسب عادة مع عدد سكان الاقليم أو المقاطعة للمشاركة في الحملة العسكرية، وكانت صفوف الجيش

تختلف باختلاف المقاطعات مثل الخيالة من إيران والقبائل الآرامية والجمالة من القبائل العربية، والمشاة من بلاد الأناضول وبلاد سوريا .[1]

ومثال عن ذلك ، حملة الملك الأشوري أسارحدون عام (671 ق.م) ، حيث تقدم نحو مصر عن طريق صحراء سيناء، وذلك بمساعدة بدو الصحراء الذين أمدوه بآلاف الجمال لنقل المؤن والمياه، وكانوا أدلائه في السير، ونجح في احتلل مدينة منف . [2]

كما ادخل الملك الأشوري سرجون الثاني (721-705) ق.م، تجديدا هاما في التجنيد، تأهيل الجنود الذين يؤدون الخدمة العسكرية الالزامية، وكما وظف مرتزقة من الأجانب، الذين ازداد عددهم مع الزمن بشكل كبير.[3]

وظل الملوك الأشوريون يعتمدون على القوات الاحتياطية التي كانت تستنفر وقت الحاجة للقيام بحملة عسكرية، و يتم ذلك غالبا في أعقاب موسم الحصاد، فقد كان الفلاح الأشوري قادرا على أداء واجباته العسكرية ، إلا أنه عندما تكون حروب أهلية ، أو تمرد على السلطة أثناء المواسم الزراعية ، فانه يتم تجنيد الفلاحين ونتيجة ذلك تحدث مشكلات خطيرة تتعلق بمعيشة الفلاح (مجاعات) . [4]

و تجدر الاشارة إلى أن الجيش في أشور لم يكن يستدعى للخدمة العسكرية كل عام ، فقد كانت بعض الحملات تقضي باستخدام قوات أقل عدادا أو استخدام الجيش المرابط فقط .

وهناك حالات استثنائية يستنفر فيها الملك جميع قوات الممالك الصغيرة التابعة للسلطة الأشورية ، فأول ما شرع به الملك أشور بانيبال(،668-627) ق. م في سبيل فتح مصر، هو إرسال قائد الجيش الأعلى إلى سورية لاستنفار الجيوش وتعبئتها ، فجمع جيشا كبيرا وخرج تحت رايته أثنين وعشرين ملكا، حيث استعان بخبرتهم الملاحية

---

(1) عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري)، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر ،1993م ، ص 96-97 .

(2) ل. ديلايورت ، ت ، محرم كمال ، بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والأشورية ، ط2 ، الهيئة المصرية للكتاب ،1979 ، ص 263 .

(3) دياكوف كوفاليف ، ت. نسيم واكيم البازجي ، الحضارات القديمة ، ط.1، ج1، دمشق ، منشورات دار علا الدين 2000م ، ص 184 .

(4) (V) de Mierop : Cuneiform texts and the writing of history, London :Routledge, 1999,p,99.

وهـاجم مصـر مـن البـر والبحـر وحقـق الانتصـار، و يـذكر أحـد الحكـام أنـه جمـع تحـت قيادتـه قـوة تقـدر بـ 1500 جنـدي مـن الفرسـان، و 20.000 مـن الرمـاة، ولمـا كـان عـدد الولايـات التابعـة لأشـور يفـوق عـن عشـرين ولايـة ، فـان الملـك الأشـوري كـان بإمكانـه جمـع مآت الآلاف من الجنود [1]

2: **أقسام الجيش :**

لقـد أشـارت النصـوص المسـمارية بـأن الأشـوريين اشـتهروا بـين جيرانهم بـأنهم يسـتطيعون تنظـيم الجيـوش حسـب نوعيـة الجنـد وأعـدادهم وعـدتهم بالإضـافة إلى تطرقهـا الى الحمـلات العسـكرية التـي خاضـها الملـوك الأشـوريين وانتصـاراتهم، كمـا وجـدت أيضـا الكثيـر مـن المشاهد الحربية مصورة على النقوش الجدارية في العواصم الأشورية . [2]

ونتيجـة للتنظـيم الفريـد والتقسـيمات التـي اوجـدها الملـوك الآشـوريين للجـيش التـي انعكسـت علـى قـوة هـذه المؤسسـة ، والانتصـارات التـي حققتهـا والتـي كانـت تنقسـم إلـى مجموعة من الوظائف ومن بينها:-

- حاملو الرايات :

كـان في مقدمـة الجيـوش بشـكل دائـم ترفـع أعـلام الالهـة بواسـطة رجـال الـدين ، وبالتـالي يتبـين لنـا أن القـوة الثانيـة التي يعتمـد عليهـا الملـك هي قـوة الـدين، وكـان إجمـاع القـوم منعقـدا على أن رأس الدولـة مـن الوجهـة الرسـمية هـو الالـه (آشـور)، وكانـت الاوامـر الرسـمية تصـدر باسـمه، وكـل الحـروب تشـن لتـأتي لـه بالغنـائم، كمـا أن أولئـك الرجـال كـانوا يمنحون العزيمة الكافية للقتال .[1]

وكـان مـن بـين رجـال الـدين الكـاهن العـراف (البـارو - Barro) الـذي يقـوم بشـؤون الاخبـار بالغيـب ، و كشـف طـالع المعـارك التي ينـوون القيـام بهـا أو التي تفـرض علـيهم مـن قبـل الاعـداء

---

[1] هاري ساغر، ت . خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو ، عظمة آشور، ط 1، دمشق ، دار علاء الدين للطباعة والنشر، 2003، ص 374-375 .

[2] (c) Marian. Feldman :Ancient near estern art in context, boston : brill leiden, 2007,p133.

[1] هاري ساكز ، المرجع السابق ، ص 375 .

وتفسير الفأل بطرق عديدة ، ومن هؤلاء أيضا فرع متخصص بتفسير الاحلام ، ويأتي بعد رجال الدين في المرتبة أثناء مسيرة الجيش هو الملك راكبا عربة ، وترافقه العربات والفرسان، وقد كانت تلك القوات تعرف بالحرس الملكي، وكان الانخراط بهذه القوات يعد امتيازا يمنح لبعض المقربين أو لأبنائهم، وكان يأتي خلف الحرس الملكي القسم الرئيسي من الجيش .ألا وهو المشاة .[2]

- المشاة:

تعد فرق المشاة أقدم وأهم الأصناف القتالية ، حيث كانت جميع الأصناف الأخرى تعمل على مساعدته لتحقيق الانتصار، وكان الجزء الأعظم من قوات الجيش يتألف من فرق المشاة كما أنهم يوفرون الغطاء اللازم للجند المتقدمين نحو العدو. [3]

وكان هناك قسمين من المشاة، مشاة مسلحون بأسلحة خفيفة مثل رماة السهام و المقاليع، ومشاة مسلحون بأسلحة ثقيلة مثل الرماحة وقد كان الغالب على لباس القسم الأول الجلباب القصير، في حين أن الرماحة كانوا يلبسون تروسا مستطيلة تكون أحيانا أطول من الجندي ، وكان يضع كل من رماة السهام والرماحة على رؤوسهم أشكال بيضاوية مخروطية الشكل ، ويحمل القسم الأكبر من المشاة سيوفا قصيرة أو فؤوس أو دبابيس، و ينتعلون حذاء يصل الى نصف الساق.

وكان يرافق الرماة عربات ذات عجلتين يجرها حصانين، ويقودها فارس أو فارسين، وكانت القوس المستخدمة من قبل الفارس أصغر مما يستخدمها الرماة، والى جانب القوس كان يحمل الفارس سيفاً قصيراً.[4]

- الخيالة (الفرسان)

يكون خفيف الحركة وسريع المناورة ، الغرض منه لمعالجة أي طارئ قد يحدث اثناء المعركة كحركة الالتفاف او التطويق او الخرق او ضرب احد الاجنحة

---

[2] طه باقر ، ديانة البابليين ، مجلة سومر ، ج2 ، المجلد 2 ، بغداد ، مديرية الأثار العامة القديمة ، 1946 ، ص 184 .

[3] عامر سليمان ، المرجع السابق ، ص 97 .

[4] طارق عبد الوهاب مظلوم ، الاسلحة الاشورية الثقيلة ، العربات وآلات الحصار في الجيش الاشوري ، الجيش والسلاح ، ج 2، بغداد، 1988 ، ص 80 .

وغيرهـا ، ويكـون سـلاح الفرسـان الرمـاح الطويلـة والحـراب والفـؤوس ، وكـانوا موحـدي اللباس ، يمتطون الخيول بدون سروج . [1]

- العربات العسكرية المسلحة:

ادخـل الآشـوريون الـى جيشـهم صـنف العربـات الحربيـة ذات العجلتـين التـي تجرهـا الخيـول ، كـان هـذا الصـنف يـدخل فـي المعـارك التـي تجـري فـي الاراضـي المفتوحـة (المنبسـطة) ، الغـرض منـه لتفريـق تشـكيلات العـدو القتاليـة اثنـاء احتـدام المعركـة واربـاك صـفوفهم ، وكـان القتـال منهـا بالسـهام الى جميـع الجهـات ، وكانـت كـل مركبـة تحمـل ثلاثة او اربعة محاربين . [2]

ومما لا شـك فيـه أن اسـتخدام الخيـول مـع العربـات قـد رفـع أهميتهـا في المعـارك الحربيـة، ولـم يكتـف الأشـوريون بالسـرعة التي حققتهـا لهـم الخيـل عنـد بدايـة اسـتخدامها مـع العربـات، بـل حـاولوا زيـادة تلـك السـرعة مـن ناحيـة الـتحكم في متانـة العجلـة وخفـة وزنهـا، ومـن تكبير إطـار العجلـة، ممـا سـاعد على زيـادة سـرعة العجلـة، وارتفـاع جسـم العربـة عن الارض مما يبعد احتمال اصطدامها مع ما يحتويه الطريق من مطبات . [3]

و في هـذا السـياق لابـد أن نـذكر أن الملـك الأشـوري تجلـت بلاسـر الثالـث (744-727) ق.م ، ادخـل العديـد مـن الإصـلاحات ، فقـد ضـمت القـوات الأشـورية محـاربين ذوي رمـاح يقـودون عربـات تقـرن زوجـا مـن الاحصـنة، وسـلاح خيالـة أضـخم مـن ذي قبـل ، وسـلاح مشـاة معـزز ومسـلح برمـاح ودروع ، وسـلاح مشـاة خفيـف مؤلـف مـن رمـاة سـهام وأضـخم مرتين من السلاح السابق. [4]

- فرق المهاجمين بآلات الحصار:

مـن الامـور التي ميزت الجـيش الأشـوري عـن بقيـة الجيـوش في العـالم القـديم عامـة وفي العـراق القـديم خاصـة ، هـي التحصـينات العسـكرية وبنـاء القـلاع وسـبب ذلـك يرجـع إلى تـوفر الحجـر في المنطقـة التي سـكنها الأشـوريين في الشـمال ، وهـذه التحصـينات العسـكرية

---

[1] فوزي رشيد وآخرون ، الجيش والسلاح موسوعة حضارة العراق ، ج 2 ، بغداد ، الموسوعة العامة للآثار والتراث ، 1985 ، ص 54 .

[2] طه باقر، ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، المرجع السابق ، ص 538 .

[3] أندريه إيمار، جانين أوبوايه ، ت. فريد داغر، فؤاد أبو ريحان ، تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديمة) ، مج1 ،ط 2 ، 1986 ، منشورات عويدات ، بيروت ، ص 143 .

[4] دياكوف كوفاليف ، ت. نسيم واكيم البازجي ، المرجع السابق ، ص 183-184 .

قـد أدت بـدورها إلى تطـوير آلات الحصـار التي تمخضـت عنهـا صـناعة الدبابـة الأشـورية بالمصطلح الحديث.

ويمكـن أن نعـد المهـاجمين بـآلات الحصـار فريـق مـن الفـرق المقاتلـة، وكانـت مهمتهـا هي دك الاسـوار، وإحـداث ثغـرات أو فجـوات في أسـوار المدينـة المحاصـرة لتمكـين الجـيش مـن الدخول إلى المدينة .

و مـن الأمـور الجـديرة بالـذكر أن المشـاهد الحربيـة قـد بينـت أن آلات الحصـار كانـت متعـددة الانـواع ، منهـا الصـغيرة و الكبيـرة التي تتسـع لخمسـة أشـخاص ، وبالتأكيـد أن اسـتخدام آلات الحصـار الكبيـرة أو الصـغيرة كـان يتوقـف علـى نوعيـة الاسـوار وجـدران القـلاع المـراد اقتحامهـا ، وأدت الأسـوار والقـلاع إلـى إدخـال السـلالم ضـمن التجهيـزات العسـكرية، وذلـك لغـرض التسـلق إلى أعـالي الاسـوار عنـد مباغتـة الجـيش للمواقـع المحصـنة [1].

كمـا كـان يـدير شـؤون هـذه الآلات، فريـق خـاص مـن الجنـد هـم المهندسـون والفنيـون، والـذين يعهـد إلـيهم أيضـا مهـام ردم الميـاه المحيطـة بالمـدن لحمايتهـا، وحفـر الأنفاق تحت الارض للدخول إلى المدن المحاصرة .

ويرجـع الفضـل في تميّز تلـك الآلات الضـخمة إلى معـدن الحديـد، فقـد اسـتغله الأشـوريون في صـنع أدواتهـم وأسـلحتهم الحربيـة، وقـد ورد في الوثـائق الأشـورية التجاريـة القديمـة، أن الحيثيـين هـم الـذين كـانوا يحتكـرون معـدن الحديـد، ولكـن بعـد انهيـار الامبراطوريـة الحيثيـة ، تـم كسـر احتكارهـا للحديـد، واسـتغله الأشـوريون لصـالحهم ، فقـد عثـر المنقبـون في مخـازن الملـوك الأشـوريين كقصـر الملـك سـرجون الثـاني في خورسـباد علـى آلات وأدوات حربية ضخمة مصنوعة من الحديد ويبلغ وزنها حولي ستة و ثمانين طنا . [2]

- مجموعات إدارية غير مقاتلة .

وهذه المجموعات لا تدخل في القتال ولكن ترافق الجيش اينما وجد ومنها :

■ فـرق الأطبـاء : وكانـت مهمتهـا الرئيسـية هـي معالجـة الجرحى أثنـاء القتـال ، وكـان تتـألف هـذه المجموعـات مـن الجـراحين وكـذلك المعـالجين للأمـراض الجرثوميـة وكانـت تعـالج

---

[1] فوزي رشيد وآخرون ، الجيش والسلاح ،المرجع السابق ، ص 58-60 .

[2] (J).Malcolm. Russell: sennacheribs place without rival at nineveh, Chicago .1991,p103.

بنصوص طبية مبين فيها علاج كل مرض وكان على رأس هذه المجموعات رئيس يسمى (راب آسي – Rab-assi) ويعني كبير الأطباء .

■ فريق الموسيقى العسكرية : ولهذا الفريق القدرة على تحفيز الجيش أثناء المسير إلى ساحات القتال حيث تمنحه العزيمة وترفع الروح القتالية في المعارك ، كما تستطيع ضبط مسيرة الجنود ، ويسمى رئيسهم (راب زماري - Rab zammar) كما يوجد هناك مجموعة اخرى تسمى الهندسة العسكرية التي من مهامها حفر الخنادق المحيطة بالمدن لحمايتها ، وحفر الأنفاق تحت الارض . [1]

■ فريق البريد الذي كانت مهمته ايصال المعلومات بأسرع ما يمكن ، كذلك كان هناك فريق من النحاتين والكتبة وذلك لتدوين وتصوير تفاصيل المعارك التي يخوضها الجيش لإحصاء الأسرى و الغنائم وغيرها .

إضافة إلى ذلك كله كان هناك جهازا اداريا يعمل على تنظيم الشؤون غير العسكرية ، والخاصة بالقوات المسلحة ، وتوفير المؤن والعتاد اللازم . [2]

ثانياً : القواعد العسكرية :

كان الجيش الآشوري يعتم على عاملين اساسيين هما التنظيم والانضباط ، فقد كان الجيش منظمة معقدة تضم وحدات متخصصة من عدة أنواع ، وكان نواتها هو الجيش المرابط ، وكان هذا الجيش مكلفا بعدة مهام وواجبات على أسس دائمة . [3]

وكان إنشاء الجيش الدائم استجابة طبيعية لتوسع حدود الدولة وظهور الحاجة إلى وجود قطاعات عسكرية دائمة لحماية حدودها، والقضاء على الفتن والاضطرابات التي قد تحدث في بعض أرجائها الواسعة، لذا كان من الضروري إبقاء وحدات عسكرية

---

[1] فوزي رشيد وآخرون ، الجيش والسلاح ،المرجع السابق ، ص 58-60 .

[2] عامر سليمان ، المرجع السابق ، ص 359-360 .

[3] هاري ساكز، عظمة بابل، ، ترجمة ، عامر سليمان ، الموصل 1969. ص 359-360

صغيرة في الاقاليم والمدن الحدودية والرئيسية لحمايتها من أي اعتداء خارجي ، ولإخماد أي تمراد داخلي، وكانت مهام الجيش الدائم مستمرة على مدار السنة.

ومن المدن التي وجدت بها قواعد عسكرية دائمة مدينة (كالخ) حيث قام الملك أشور ناصر بال الثاني (885-867) ق .م بإعادة بنائها وجعلها عاصمة عسكرية .

كما نذكر بأن الملك الأشوري شلمنصر الثالث (858-824) ق.م، قام بتحويل العديد من المدن الأشورية إلى حصون ومعسكرات وقد أضاف إلى مدينة (كالخ) حصنا ضخما، وجعله مركزا لانطلاق الجيوش الأشورية ، ومخازن أسلحتها وعدتها وتجمع فيها الغنائم .[1]

ثالثاً : التشكيلات المسلحة و أساليب القتال :

لقد كان الجيش الآشوري قوة معقدة وعلى درجة عالية من التنظيم تضم وحدات متخصصة كثيرة الانواع وفي وسطها الجيش الدائم وكان مستعد للقتال في جميع الأماكن والظروف ، حيث تختلف تشكيلات القتال في الاراضي الجبلية عنها في المناطق المفتوحة وفي حرب الجبال ، وفي حصار المدن .[2]

1- القتال في المناطق المفتوحة.

يعتبر صنف جند المشاة من اهم الصنوف المقاتلة التي تشترك في قتال المناطق المفتوحة اضافة الى الخيالة والمركبات ، وكان تقدم القطعات في المناطق المفتوحة على جبهة واسعة ، حيث كان القتال على شكل صفوف متراصة تتقدمهم المركبات تليها الخيالة ، في حين كان يقوم جنود المشاة بإسناد تقدمها بالنبال ، وعندما تكمل الخيالة والمركبات عملية الاقتحام للجبهات المعادية وفتح الثغرات في صفوف جبهات العدو ، يقوم المشاة عندئذ بالهجوم والاشتباك لإتمام عملية الاقتحام ، وبعد أن يتم ذلك تشترك بقية القوات في القتال ، وكان الآشوريين في مثل هذا النوع من القتال يتم التركيز في هجومهم على قيادة العدو، اذ ان اندحار القيادة يشل قدرة الاعداء في صد الهجوم واستسلامهم او هروبهم ،

---

(1) (W) Budge: a guide to the Babylonia and Assyrian antiquities, scont edition ,London : printed by ordre of the teustees , 1908, p14,p21

(2) هاري ساكز ، قوة اشور، ت ، عامر سليمان ، لندن ،1984 ، ص 13.

ويذكر ان الملك سنحاريب وجه كامل اهتمامه في المعركة التي خاضها ضد الاحباش على ضرب قوتهم الضاربة من خلال المركبات مما اضطرهم الى الهرب ، واستطاع اقتحام مدنهم بواسطة الات الحصار المتعددة ، وكانت فلول القوة الهاربة تطارد من قبل الخيالة والمركبات في مثل تلك الساحات المفتوحة .[1]

2- القتال في الاراضي الجبلية

كانت تختلف تشكيلات القتال في الاراضي الجبلية عنها في المناطق المفتوحة ، فجند المشاة كانت مواقعهم في الامام لاقتحام قوة العدو ، ومن ثم تشترك الخيالة والمركبات فيما اذا ساعدت ارض المعركة على ذلك ، في حين يتقدم جند المشاة و حملة الاتراس لحمايتهم من سهام العدو ، في حين أن المركبات تفقد الكثير من خواصها القتالية في الاراضي الجبلية وأن استخدامها يسبب ارهاقا وتأخيراً في حسم المعركة ، وعند المسير في الممرات والمضائق الوعرة يأتي دور فرق عمال الهندسة العسكرية لمساعدة القوات على العبور ، فاذا تعذر على المركبات صعود المناطق المرتفعة او المسالك الوعرة او الخنادق ، فإنها تجزأ وتحمل على الاكتاف او تسحب بواسطة الحبال ، واما اذا كان العائق نهرا فتجزأ ايضا وتحمل في قوارب .[2]

ويعتمد هذا النوع من القتال على مبدأ المباغتة ، الذي يحتاج الى قوة قليلة العدد خفيفة المعدات والتجهيزات وعالية التدريب وسريعة الحركة ، والملاحظ أن الآشوريين عندما كانوا يتقدمون في اراضي جبلية لا يزجون بكل قواتهم في القتال.

اذ غالبا ما يكون ميدان القتال لا يساعد على ذلك ، ولخوفهم من مباغتة العدو لهم ، لذلك فقد كانوا يعسكرون بالقرب من منحدرات الجبال متحصنين بالعوارض الطبيعية ، ويقومون بإرسال قوات كافية الى مكامن القوات المعادية لتقوم بدحرها والقضاء عليها .[3]

3- حصار المدن والقلاع

كان لهذا النوع من القتال خصائص معينه ، حيث انه قتال في اقتحام التحصينات في حين تعجز الصنوف الأخرى عن تأديته .

---

[1] عبد الله يوسف خلف، الجيش والسلاح في العهد الاشوري الحديث 911-612 ق.م، رسالة ماجستير منشورة، بغداد، 1977، ص93

(2) عبدالعزيز الياس سلطان ، "عوامل اساسية أسهمت في نهوض الامبراطورية الآشورية "، دراسات موصلية ، موصل ، العدد29، 2010 ، ص 90

[3] عامر علي عون ، الهيكل التنظيمي للجيش الاشوري، مجلة امرو الحضائر، العدد 22، بغداد، 1993، ص131.

لذلك ابتكر الآشوريون صنفا جديدا وهوما يسمى(الكبائش)، مهمتها فتح ثغرات في التحصينات او تسلق أسوار القلاع، تمهيدا لدخول جند المشاة لاحتلالها ، واصبح هذا الصنف في مقدمة القطعات المتقدمة نحو أسوار المدن والقلاع ، ، ويحتمي خلف كل واحدة من آلات الحصار جند المشاة على شكل صفوف ثلاثية، يكون حامل الترس في الوسط واحيانا بدونه ، وتتكون هذه المجموعة من خمسة الى عشرة صفاً ، تكون مهمتهم ايصال الة الحصار الى موضع عملها بتوفير اطلاق سهام متواصل لحمايتها اثناء التقدم نحو الهدف.

ولاشك ان هذه المجموعة كانت تحمي نفسها بالاتراس اثناء التقدم ، وبعد وصول هذه الآلات الى الاسوار تنتشر المجموعة اسفل الاسوار فتقوم بواجب الهدم والتسلق في حين تقوم(الكبائش) بإحداث الثغرات والهدم في اسوار القلاع ، وهؤلاء المحاربين العاملين في تشغيل الات الحصار وفي الهدم محميين من سهام العدو من قبل رماة الجيش الآشوري .

وليس لصنف الخيالة والمركبات دور في هذه التحضيرات للاقتحام ، واحيانا تنجز عملية الاقتحام عن طريق التسلل . [1]

4- القتال في المسطحات المائية

ان القتال في المسطحات المائية وخاصة في الانهار المغطاة بالنباتات كان عبارة عن مطاردات محدودة حيث يعتبر رماة النبال العنصر الاساس فيها ، والآشوريون يضطرون الى مثل هذه المناوشات بسبب فرار اعدائهم ، ويقوم حملة الاتراس بواجب الحماية للرماة والمساعدة في القتال عند الاشتباك القريب ، وكان القارب لا يحمل اكثر من خمسة اشخاص وذلك لتأمين السرعة اثناء المطاردة ، والقوات المشتركة لا تكون على نسق معين اثناء القتال بل انها تكون منتشرة في اماكن عديده وبعدد قليل ، ولا يسمح لجميع القوات من التوغل بعيدا في مثل هذه المعارك وذلك لمجوعة من الاسباب :

1 - لعدم امكانية قواتهم على الصمود في المطاردة النهرية البعيدة بسبب فقدان السيطرة .

2- لم يتعودوا على مثل هذا النوع من القتال لأنها ليست بيئتهم .

3 - كون المنطقة المحيطة بهم غير آمنة ، وبصوره خاصة اذا كانت فيها قوى معادية . [2]

---

[1] عبد الله يوسف خلف ، المصدر السابق ، ص107-108.

[2] Luckenbill, D.D. The annals of sennacherib Chicago ll, 1924, p.38

رابعاً : الدو افع الحربية للجيش الاشوري:

ان المتتبع للتاريخ السياسي لبلاد أشور ولاسيما في العصر الأشوري الحديث يلاحظ كثرة الحملات العسكرية التي شنها الأشوريون على مختلف الجهات، وهذا الأمر دفع الباحثين إلى وصف الشعب الأشوري بـ: (الشعب المحارب) [1]

وإذا أردنا تعريف الحرب فيمكن القول إنها استخدام القوة بين جماعتين من البشر تخضعان لنظامين متعارضين لهما مصالح متعارضة وذلك بعد فشل الجهود السليمة في التوصل إلى اتفاق سلمي [2].

فالدافع الاقتصادي سببه افتقار بلاد أشور إلى المواد الخام الضرورية في عملية البناء مثل الأخشاب والمعادن والأحجار الكريمة المتوافرة في المناطق المجاورة لبلاد أشور، لاسيما في الجهتين الشمالية (آسيا الصغرى) والغربية(بلاد الشام) إذ كانت تلك الجهتان مسرحاً للصراع بين الدول ولاسيما الدولة الأشورية ، التي كانت ترغب في فرض سيطرتها عليها لضمان حصولها على المواد الأولية الضرورية لها، هذا فضلاً عن حصولها على هدايا الطاعة والولاء التي كانت تقوم بإرسالها الأقاليم التابعة لها في كل سنة . [3]

إما دافع درء الأخطار الخارجية فيتمثل بتعرض بلاد أشور للأخطار الخارجية إذ خضعت بلاد أشور للسيطرة الميتانية حقبة من الزمن في عصرها الوسيط ، ونظراً لعدم وجود حدود طبيعية معينة تضمن حماية بلاد أشور من اعتداء الدول المجاورة لها وتكرار ما حدث لها من احتلال الميتانيين لأرضها.[4]

فكان لابد للأشوريين من حماية بلادهم وتامين أمنها وسلامتها وذلك عن طريق التوسع والحملات العسكرية إلى المناطق التي تشكل تهديداً لكيان الدولة الأشورية .

---

[1] صلاح رشيد عطا ، السوق العسكري للدولة الاشورية 722 -626 ق م أطروحة دكتوراه غير منشورة ، معهد التاريخ العربي ، بغداد ، 1998 ،ص179 .

[2] سامي سعيد الاحمد ،" لماذا سقطت الدولة الاشورية" ، سومر ، المجلد 27 ، ج1- ج2 ، بغداد 1971 ، ص78

[3] فاروق ناصر الراوي ،" التعبئة واساليب القتال في الجيش الاشوري"، الجيش والسلاح ،ج2، بغداد ،1987، ص90 .

[4] هاري ساكز ، قوة اشور ، المرجع السابق ، ص 348-349 .

[5] عامر سليمان ، المرجع السابق ، ص 253 .

كما اتخذ الأشوريون من الدافع الديني المتمثل بالإيمان القاطع بالإله أشور ورغبته في توسيع رقعة الدولة الأشورية عن طريق الحملات العسكرية حجة لتبرير تلك الحملات ولكن هذا الدافع يبدو ليس واقعياً ، ونجد بعض المصادر تتحدث عن الحملات العسكرية الأشورية وتصفها بالقسوة والعنف وبثها للرعب في قلوب الشعوب المغلوب على أمرها والمصير المفجع الذي ينتظر السكان بعد دخول الأشوريين إلى بلادهم . (5)

خاتمة

كانت بلاد آشور محاطة من كل جانب بالأعداء ، الأمر الذي أيقظ فيهم روح التحدي لردع كل هذه الأخطار التي كانت تهدد أمن بلادهم ، وهذا الأمر الذي من شأنه كانت الحاجة في انشاء الجيش بهذه التراتبية والتنظيم والتي اعتبرت سابقة في تكوين الجيوش في العالم القديم ، حيث ان اقسام هذا الجيش ومعداته الحديثة في تلك الفترة ، وترتيباته في فترات الحرب و السلم جعل من دولتهم مكانة عظيمة بين الشعوب في ذلك الوقت .

ولقد وكانت الحرب صناعتهم الوطنية نظرا للقوة والتنظيم التي تمتع بها الجيش الأشوري وكان شعارهم (**اضرب قبل أن تُضرب ، وهاجم قبل أن تُهاجم**) ، واجعل تنكيلك بأقرب خصومك عبرة يخشاها بقية أعدائك ، وبالتالي سيطر الأشوريون على مساحات واسعة ومناطق مختلفة واخضعوا عناصر بشرية كثيرة .

المراجع :

1- أندريه إيمار، جانين أوبوايه ، ت. فريد داغر، فؤاد أبو ريحان ، تاريخ الحضارات العام ، دار عويدات ، بيروت – باريس ، ط 2 ، 1986 .

2- عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري)، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر ،1993م .

3- فوزي رشيد وآخرون ، الجيش والسلاح موسوعة حضارة العراق ، ج 2 ، بغداد ، الموسوعة العامة للآثار والتراث ، 1985 .

4- فاروق ناصر الراوي ،" التعبئة واساليب القتال في الجيش الاشوري"، الجيش والسلاح ،ج2، بغداد ،1987.

5- طـارق عبـد الوهـاب مظلـوم ، الاسـلحة الاشـورية الثقيلـة ، العربـات وآلات الحصـار في الجيش الاشوري ، الجيش والسلاح ، ج 2، بغداد، 1988 .

6 - طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1 ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1986 .

7- ديـاكوف كوفـاليف ، ت. نسـيم واكـيم البـازجي ، الحضـارات القديمـة ، ط.1، ج1، دمشـق ، منشورات دار علا الدين 2000م .

8- ل . ديلايـورت ، ت ، محـرم كمـال ، بـلاد مـا بـين النهـرين الحضـارتان البابليـة والأشـورية ، ط2 ، الهيئة المصرية للكتاب ،1979 .

9- هـاري سـاكز، عظمة بابل ، ت ، عامر سليمان ، الموصل 1969.

10- هـاري سـاكز، عظمـة آشـور ، ت ، خالـد أسـعد عيسـى، أحمـد غسـان سـبانو ، ، ط 1، دمشق ، دار علاء الدين للطباعة والنشر، 2003 .

المراجع الاجنبية :

1-(J).Malcolm. Russell: sennacheribs place without rival at nineveh, Chicago .1991.

2- (W) Budge: a guide to the Babylonia and Assyrian antiquities, scont edition ,London : printed by ordre of the teustees , 1908 .

3 - Luckenbill, D.D. The annals of sennacherib Chicago ll, 1924.

4-(V) de Mierop : Cuneiform texts and the writing of history, London ,Routledge, 1999.

5- (c) Marian. Feldman :Ancient near estern art in context, boston , brill leiden, 2007.

الدوريات :

1- طـه بـاقر ، ديانـة البـابليين ، مجلـة سـومر ، ج2 ، المجلـد 2 ، بغـداد ، مديريـة الأثـار العامة القديمة ، 1946 .

2- سـامي سـعيد الاحمـد ،" لمـاذا سـقطت الدولـة الاشـورية" ، سـومر ، المجلـد 27 ، ج1+ج2 ، بغداد 1971 .

3- عبـدالعزيز اليـاس سـلطان ، "عوامـل اساسـية أسـهمت في نهـوض الامبراطوريـة الآشـورية "، دراسات موصلية ، موصل ، العدد) 29) 2010 .

4- عـامر علي عـون ، الهيكـل التنظيمي للجـيش الاشـوري، مجلـة امـرو الحضـائر، العـدد 22، بغداد، 1993.

الرسائل العلمية :

1- عبد الله يوسف خلف، الجيش والسلاح في العهد الاشوري الحديث 911-612 ق.م، رسالة ماجستير منشورة، بغداد، 1977.

2- صلاح رشيد عطا ، السوق العسكري للدولة الاشورية 722 -626 ق م أطروحة دكتوراه غير منشورة ، معهد التاريخ العربي ، بغداد ، 1998 .

التعليم في ليبيا عقب الحرب العالمية الثانية

1943-1951م

د. المبروك حسن شاقان
كلية التربية – جامعة بني وليد

إلى الرغم من أن التعليم في ليبيا أثناء فترة الاحتلال الإيطالي كان في أسـوأ حالاته لعدم اهتمام دولة الاحتلال به وإهماله واعتماده على فئة معينة من سكان ميسوري الحال والقادرين على تعليم أبنائهم، إلا أن الحرب العالمية الثانية التي شـهدت البلاد جزء من معاركها بين دول الحلفاء والمحور أكملت على ما تبقى من مرافق تعليمية ومدارس وتعرضـت للدمار من جراء المعارك الطاحنة وأوقفت الدراسـة بجميع مراحل التعليم وشـردت الأُسـر وخرجت بأعداد كبيرة من مدنها متجهة إلى خارج البلاد ومنها من توجه إلى الأودية والشـعاب واختيار حياة البداوة على حياة الحروب والدمار.

ولكن بمجرد أن وقفت الحرب وخروج الدول المهزومة من ليبيا كإيطاليا وألمانيا عام 1943م وسيطرت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية (الحلفاء) حتى عاد جزء من الأهالي إلى مدنهم وصـاروا يتطلعون إلى تعليم أبنائهم بفتح مدارسـهم التي أُغلقت طيلة فترة سـنوات الحرب.[1]

سـارعت دول الحلفاء بعد أن وضـعت الحرب أوزارها إلى تقسـيم البلاد إلى ثلاث إدارات عسكرية منفصلة في كلا من برقة وتولت شئونها إدارة عسكرية بريطانية، وطرابلس وتولتها إدارة عسـكرية بريطانية ولكنها منفصـلة عن تلك التي تولت إدارة برقة، وفزان وتولت شـئونها إدارة فرنسية، وسعت كل إدارة منها إلى الاحتفاظ بالإقليم الذي احتلته فعمدت إلى رسم السياسات الخاصـة بها في جميع مناحي الحياة ولم يكن التعليم بمنأى عن تلك السـياسـات، وجاء التركيز على التعليم لكونه الأداة الرئيسـية لتطور الشـعوب وتقدمها، من هذا عملت الدول المحتلة إلى تحقيق مآربها عن طريق التعليم بما يخدم مصـالحها وأهدافها في السـيطرة على البلاد وتعميق فكرة الانفصال بين أجزاء الوطن الواحد.

أولاً: إقليم برقة:

(1) رأفت غنيمي الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، دار التنمية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1972م، ص275.

تعد برقة الأكثر تضـــرراً بين أقاليم ليبيا الثلاثة من جراء الحرب العالمية الثانية وما صـــاحبها من دمار في جميع نواحي الحياة فدمرت المباني والمؤســـســـات العامة وخربت المزارع وتعرضـــت أغلب المدارس والإدارات التعليمية للدمار، غير أن كل هذا الدمار لم يغير من عزيمة الأهالي وإصرارهم على عودة أبنائهم إلى المدارس بعد انتهاء الحرب.[1]

بمجرد أن تولت بريطانيا زمام الأمور في برقة عام 1943م حتى عمدت إلى الاهتمام بالتعليم وكلفت له أحد الضـــباط البريطانيين برتبة ميجر للإشـــراف على العملية التعليمية في الإقليم يعرف باسم (مدير معارف برقة) واستمر في منصبه إلى أن نشأت نظارة المعارف في عام 1949م[2]، ونُصـب لها أحد البرقاويين ويعاونه مسـتشـار بريطاني، وكلف بمهمة مدير الشـؤون الإدارية والمالية موظف من برقة يعاونه وكل وطني وآخر بريطاني كما عين مفتش بريطاني للغة الإنجليزية في مدارس برقة، وعين لإدارة التعليم في مناطق برقة الثلاث بنغازي والمرج ودرنة موظفين محليين مقيمين.[3]

عمد البريطانيون إلى الاهتمام بالتعليم وعدم التهاون فيه بحيث اســتطاعوا توجيه الراغبين في التعلم وفق نظرتهم لا نظرة مجتمعهم كما أنهم تجاهلوا الأولاد الذين ليس لهم الرغبة في التعلم، ولهذا كان تكليف ضابط بريطاني برتبة كبيرة بهذه المهمة، وحتى بعد أن أنهى عمله كمدير للمعارف كلف غيره كمســتشــارين ومعاونين للتعليم حتى لا يخرج هذا المرفق من تحت سلطتهم وتكون لهم اليد الطولى فيه.

التعليم الابتدائي:

على الرغم من عدم إقرار إلزامية التعليم في برقة من قبل الإدارة البريطانية إلا أنها حاولت أن تلبي رغبات المتعلمين داخل المدن وخارجها في القرى والأرياف، وكان دورها فتح مدارس ريفية صغيرة يتعلم فيها التلاميذ لمدة الأربع سنوات الأولى من التعليم الابتدائي ثم ينتقل إلى المدينة لإكمال باقي سنتي التعليم الابتدائي والذي في الأصل يتكون من ست سنوات، أما في المدن فقد كان التعليم الابتدائي يشـمل سـت سـنوات متكاملة[4]، والإحصـائيات الواردة في الجدول التالي يوضح عدد المدارس والتلاميذ والمدرسين بالتعليم الابتدائي خلال الفترة الممتدة من العام الدراسي 1944/43 وحتى عام 1951/50م.

(1) رأفت غنيمي الشيخ، التعليم المصري في ليبيا بين عهدين 1943-1969م، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1977م، ص25.

(2) محمد الطيب الأشهب، برقة العربية أمس واليوم، بنغازي، مطبعة الهواري، 1947م، ص148.

(3)المصدر نفسه، ص26.

(4) الأمم المتحدة، تقرير عن التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا، 1952م، ص175.

(1)

العام الدراسي	عدد المدارس	عدد المعلمين	عدد التلاميذ		
			بنين	بنات	المجموع
44/43	17	50	1470	30	1500
45/44	21	70	1900	100	2000
46/45	37	120	3300	200	3500
47/46	44	160	4653	300	4953
48/47	48	240	5700	400	6100
49/48	54	250	6900	500	7400
50/49	56	290	7505	600	8105
51/50	59	330	8201	700	8901

يمكن أن نستنتج من الجدول ما يلي:

أولاً: من حيث عدد المدارس وإن كان في تزايد مستمر إلا أنه دون المستوى المطلوب، ولو نظرنا إلى الفارق بين العام الدراسي الأول 1944/43م والعام الدراسي الأخير في الإحصائية 1951/50م نجد أن حوالي 42 مدرسة تم بناءها أو صيانتها أي بمعدل خمس مدارس سنوياً بما فيها المدارس التي يوفرها الأهالي في بعض البيوت السكنية القديمة أو المباني التي كانت تبنى من الصفيح، كما أن هذا العدد قليل من حيث الإنجاز مقارنة بالدمار الذي تعرضت له مدارس المنطقة الشرقية أثناء الحرب العالمية الثانية والواضح أن الإعمار في مجال التعليم بطيء جداً.

ثانياً: يعد المعلم من أهم الركائز في العملية التعليمية، والجدول وضح الزيادة في عدد المعلمين خلال السنوات قيد الدراسة وإن كانت الأرقام تشير إلى الارتفاع في عدد المعلمين إلى فارق يصل إلى (280) معلماً بين السنة الأولى للإحصاء والسنة الأخيرة، إلا أن هذا الرقم قليل مقارنة بعدد التلاميذ حيث يوجد معلم واحد لكل (27) تلميذاً تقريباً ناهيك إلى أن عدد من المدارس في مناطق البدو قليلة التلاميذ وبها معلمين مما يعني أن نسبة عدد التلاميذ للمعلم الواحد ربما يفوق النسبة المأخوذة من الجدول، وفي الغالب أن أكثر المعلمين من العنصر الأجنبي.

ثالثاً: بالنسبة للتلاميذ الذكور ربما يكون العدد صحيح أو أقرب إلى الواقع والزيادة فيه متدنية مقارنة بعدد السكان إلا أن عدد الإناث فيه شك كبير، ويرى الباحث أن جل الأعداد

(1) مصباح ياقة السوداني، الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا أثناء فترة حكم الإدارة الأجنبية (1943-1951م) ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، مصر، 2004م، ص126.

تقريبية خاصة وأن الزيادة بنسبة ثابتة في كل سنة وهو بمعدل 100 تلميذة خلال سبع سنوات وهذا ما يجعلنا نشك في الأرقام الواردة في الجدول، ولكن مهما يكن من الأمر فإن عدد الإناث قليل ويرجع السبب إلى نظرة المجتمع لتعليم البنات والذي لا يسمح به كثيراً من الأهالي.

التعليم الثانوي:

لم تشهد برقة خلال الفترة الأولى من عهد الإدارة البريطانية أي نوع من التعليم الثانوي وتأخر إلى عام 1948/47م حينها افتتحت أول مدرسة ثانوية بالمنطقة الشرقية من ليبيا، وضمت حوالي (280) طالباً منهم (160) طالب يقيمون بالقسم الداخلي[1]، ويبقى التساؤل هنا لماذا لا توجد مدارس ثانوية قبل هذا التاريخ، والمرجح أن فترة الاحتلال الإيطالي للبلاد كانت قد أهملت هذا الجانب من التعليم تعمداً خاصة وأن المقاومة كانت شديدة في تلك المناطق مما جعل من إيطاليا تقوم بافتتاح المعتقلات أمام أهل برقة لتمارس عليهم كل الضغوط من ترهيب وتجويع وقتل وغيرها أضف إلى ذلك أن الحياة الاقتصادية الصعبة التي كان يعيشها باقي الأهالي والذين لم يدخلوا المعتقلات لم تمكنهم من الإنفاق على مواصلة تعليم أبنائهم، والجدير بالذكر أن فترة الاستقرار الإيطالي في ليبيا كانت قصيرة حيث امتدت من عام 1931م بنهاية المقاومة واستمرت حتى عام 1939م بداية الحرب العالمية الثانية وانضمام إيطاليا إلى جانب دول المحور مع ألمانيا.

كان نظام الدراسة المتبع في المدارس الثانوية خلال فترة عهد الإدارة البريطانية يتألف من أربع سنوات يدرسها الطالب داخل ولاية برقة ثم يكمل السنة الخامسة في مصر على اعتبار أن المنهج المتبع هو المنهج العربي ثم بعد ذلك في السنة الخامسة يتحصل على الشهادة الثانوية ويسمح له بدخول الجامعات المصري لمواصلة تعليمه بها[2]، وهناك عدد لا بأس به من أبناء الجالية الليبية في مصر التحقوا بالدراسة هناك وتحصلوا على مؤهلات عالية منها.

لم يقتصر التعليم الثانوية في برقة على البنين فقط، بل انشأت نضارة المعارف في عام 50-1951م صفاً ثانوياً للبنات في بنغازي وقد التحقت به عدد من البنات في هذه المدينة، وكان نواة لافتتاح مدرسة ثانوية خاصة بالبنات فيما بعد[3]، واقتصرت الدراسة فيها على أهالي المدينة فقط أما الأسر التي تقيم خارجها كانت غير مقتنعة ببعث بناتها إلى أماكن بعيدة عن مقر سكناهم، وتعد إقامة البنات بعيداً عن أسرهن في تلك الفترة يشكل عائقاً أمام استكمال

(1) مصباح ياقة السوداني، المرجع السابق، ص130.

(2) القاهرة، دار الوثائق المصرية، الأرشيف السري الجديد لوزارة الخارجية منطقة رقم 1522 ملف 114/21، تقرير مدير المعارف الليبية بعنوان (التعليم في ليبيا) 1952م.

(3) أوتلوج هويتلي، تقرير عن الزراعة في ليبيا، بعثة منظمة الأغذية والزراعة، الأمم المتحدة، 1952م، ص39.

دراستهن، خاصة وأن فكرة الإقامة في الأقسام الداخلية تعد مستحيلة بالنسبة لهن لما للأسر الليبية في مناطق البدو من ضوابط تمنع ذلك وأهمها العادات والتقاليد التي تمنع الفتاة من مغادرة منزل والدها إلا إلى بيت زوجها.

أنشئ معهد للمعلمين عام 47-1948م في مدينة بنغازي من أجل تخريج معلمين مؤهلين علمياً وتربوياً، وضم عشرون طالباً من الذكور ومدة الدراسة به ثلاث سنوات.[1]

سار التعليم الفني في الولاية جنباً إلى جنب مع التعليم الثانوي وتولت نظارة المعارف إنشاء المدرسة الفنية في بنغازي مهمتها تخريج أصحاب بعض المهن منها التجارة والمعادن والجلود والنسيج إلا أنها ظلت تعاني النقص الشديد في المعدات ولوازم التعليم، كما قامت النظارة بتنظيم بعض الدورات قصيرة الأمد من أجل رفع كفاءة العمال في أشغال النجارة والمعادن.[2]

على الرغم من محاولات نظارة المعارف بالولاية، للرفع من كفاءة الأيدي العاملة المهرة إلا أنها ظلت دون المستوى المطلوب وذلك للنقص الشديد في الموارد المالية التي من شأنها المساهمة في استجلاب المعلمين والمدربين لتعليم وتدريب أبناء الوطن، كما أن الإدارة الأجنبية في برقة ليست معنية بتدريب الليبيين وإشراكهم في المهن المتطورة.

المدارس الأجنبية في برقة:

تمثل التعليم في المدارس الأجنبية في ولاية برقة في أربع أنواع:

1- المدارس اليهودية: وهي مدارس مهتمة بتعليم أبناء اليهود فقط، وكان عدد تلاميذها قليل جداً ثم بعد ذلك صار العدد يتناقص بسبب هجرة أغلب اليهود إلى فلسطين.

2- المدارس اليونانية: وهي مدارس خاصة وعدد تلاميذها قليل جداً، وهي ذات فصلين دراسيين فقط.

3- مدارس الراهبات الإيطاليات: وتضم 150 تلميذاً من البنين والبنات ويدرس فيها عدد كبير من التلاميذ الليبيين، وتديرها راهبات إيطاليات، وتحتوي المدرسة على ثلاث صفوف لرياض الأطفال وثلاث صفوف للتدريس الابتدائي.

(1) وزارة التعليم والتربية، إدارة التخطيط والمتابعة.

(2) الأمم المتحدة، التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا، المصدر السباق، ص192.

4- مدرسة أخوة العقيدة المسيحية: وهي للإيطاليين، وتتبع المنهج الإيطالي مع تعليم اللغة العربية إجبارياً وتظم المدرسة 90 تلميذاً.[1]

تدفع الإدارة مرتبات معلمي المدارس الأجنبية اليهودية واليونانية، وتدفع منح أخرى كإعانة وقدرها ستون جنيهاً لكل معلم في مدرسة الراهبات الإيطاليات ومدرسة أخوة المسيحية[2]، وعلى الرغم من تمسك الإدارة البريطانية بالتعليم اليهودي والمسيحي ومحاولة ضم أبناء الليبيين إلى مدرسة الراهبات الإيطاليات إلا أن ذلك لم يكن له أثر على أبناء برقة وأصروا على تمسكهم بدينهم الإسلامي.

المدارس الليلية:

نظراً لرغبة بعض أبناء الولاية في التعليم والذين لم تسنح لهم الفرصة في الالتحاق بالمدارس الصباحية الرسمية تم افتتاح مدارس ليلية تهتم بنوعين من التعليم، النوع الأول: وهو تعليم اللغة الإنجليزية وتشرف عليه وتنظمه وزارة المعارف، والنوع الثاني: التعليم الابتدائي وافتتحت أول مدرسة لهذا الغرض عام 1944/43م وتسير وفق نظام ومناهج التعليم في المدارس الحكومية الصباحية[3]، وقد أخذ مجموعة من الليبيين المتطوعين على عاتقهم تنظيم التعليم في هذه المدارس، ويقوم بالتعليم فيها معلمين من مدارس المدينة ومن دون مقابل، وضمت عدد من التلاميذ الذين لا يستطيعون الالتحاق بالتعليم الصباحي لكونهم يمارسون بعض الحرف طيلة النهار لإعالة أسرهم وذويهم ثم يأتون إلى المدرسة في المساء ليتلقوا ما تيسر من التعليم.[4]

وقد كان لهذه المدارس دور كبير في تعليم وتوعية الناس خاصة وأن الجهل مفتشي في تلك الفترة بالولاية ولا يشكل المتعلمين من السكان إلا اليسير منهم فقط حتى إن عدد كبير من الشباب في سن الزهور لا يعرفون القراءة والكتابة.

المناهج الدراسية في ولاية برقة:

طبقت الإدارة البريطانية في برقة المنهج المصري بعد أن أقرت نظام التعليم المصري في البلاد والذي تكون من مرحلتين الابتدائية ويكون فيها التعليم باللغة العربية ثم تضاف اللغة الإنجليزية ابتداء من السنة الخامسة، أما المرحلة الثانوية وهي أيضاً تدرس باللغة العربية إلى

(1) دار الوثائق المصرية، الأرشيف السري لوزارة الخارجية، محفظة رقم 1522 ملف رقم 1178/21 ، التعليم في ليبيا، المصدر السابق.

(2) الأمم المتحدة، التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا، المصدر السابق، ص177.

(3) مصلحة الإحصاء العام نظارة المالية والتجارة، الإحصائيات العامة بولاية برقة لسنة 1959م، ص183.

(4) برقة الجديدة أكتوبر 1950م.

جانب اللغة الفرنسية كلغة ثانية بعد اللغة الإنجليزية، وتهيء المرحلة الثانوية الطلاب للالتحاق بالتعليم الجامعي.[1]

جلبت الإدارة البريطانية الكتاب المدرسي من مصر ليحل محل الكتب الإيطالية المليئة بالأفكار والمبادئ الفاشية ووزعتها على كافة المدارس بالولايات وبكميات كافية ليتسنى لكل تلميذ الحصول على الكتاب وبأيسر الطرق[2]، كما قامت الإدارة وبالتعاون مع المصريين واستقدمت عدداً كبيراً من المدرسين للعمل في مدارس برقة، وهذا يدل على رغبة المصريين في الأخذ بأيدي أخوتهم في ليبيا للرفع من مستوى تعليمهم وتوعيتهم بخطورة المرحلة والجهل والأخطار التي تحدق بهم من جراء الاحتلال وحتى تكون هناك طبقة متعلمة يمكن أن تقود البلاد خلال المراحل القادمة.

هذا وقد زخرت مدارس برقة بمجموعة من المعلمين المصريين، وعلى سبيل المثال لا الحصر تم في عام 1951/50م الاستعانة بالمعلمين المصريين للتدريس في السنتين النهائيتين في المرحلة الابتدائية وضمت مدرسة الأمير ببنغازي خمسة معلمين من بين ثمانية وافدين وأربعة معلمين في مدينة درنة ومعلمين في مدينة الأبيار[3]، وقد شكل العنصر المصري الغالبية العظمى للمعلمين الوافدين إلى البلاد.

ميزانية التعليم في برقة:

خصصت الإدارة البريطانية في برقة مبالغ مالية من ميزانيتها العامة لإدارة المعارف وشملت ميزانية التعليم ترميم وفتح المدارس التي تعرضت للدمار من جراء الحرب، ومرتبات المعلمين والموظفين في الإدارات التعليمية المختلفة، ونورد بعض الإحصائيات التي توضح قيمة المصروفات على التعليم في برقة بالجنيهات المصرية في الفترة 1943-1951م.[4]

السنة	44/43	45/44	46/45	47/46	48/47	49/48	50/49	51/50
القيمة	10298	20474	31659	49700	71359	101053	87872	146966

من الجدول السابق يتضح لنا أن الإنفاق على التعليم بالإقليم في تزايد مستمر وإن كان متواضعاً إلا أنه لا يفي بالغرض على اعتبار أن البلاد قد مرت بحروب أكلت الأخضر واليابس

(1) امحمد محمد القماطي، تطور الإدارة التعليمية في الجماهرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية في الفترة من 1951-1975م، ط1، طرابلس، الدار العربية للكتاب، 1978م، ص141.

(2) رأفت غنيمي الشيخ، التعليم المصري في ليبيا بين عهدين، المرجع السابق، ص59.

(3) المرجع نفسه، ص27.

(4) فلاديمير كاراكتشاف، تقرير عن المالية العامة في ليبيا 1943-1951م، الجزء الثاني (برقة) الأمم المتحدة، 1951م، ص19.

بالإضافة إلى ما سببته هذه الحرب من أمراض نفسية ونفور أعداد كبيرة من السكان وجلائهم خارج المدن، وعدم قناعتهم بمواصلة تعليمهم في ظل حكومة احتلال جديدة، بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الميزانية ليس بمقدورها التغلب على العجز الحاصل في المدارس والمدرسين والمستلزمات التعليمية الأخرى ولهذا عمدت وزارة المعارف عام 1951م إلى الاتفاق مع وزارة الأوقاف لتحويل بعض ملحقات المساجد إلى فصول دراسية[1]، وبناء على ذلك تحولت الكثير من الخلوات والملحقات بالمساجد إلى مدارس يتم فيها تعليم أبناء القبائل المحيطة بتلك المساجد، كما انتشرت المدارس القرآنية (الكتاتيب) في جميع أنحاء الولاية فبلغت عام 1949م حوالي 41 مدرسة ضمت في صفوفها 841 تلميذاً ولكل مدرسة من هذه المدارس معلم واحد، وقد تحملت القبائل جميع نفقات تلك المدارس[2]، وهذا يدل على الوضع الصعب الذي كانت تعانيه الأسر في إقليم برقة، ومدى تأخر التعليم بها.

ثانياً: إقليم طرابلس:

عانت منطقة طرابلس أثناء الاحتلال الإيطالي لليبيا كغيرها من المناطق حالة من التهميش في جميع مناحي الحياة وبخاصة التعليم الذي مر بأسوأ حالاته، فقد عانى السكان الفقر والجوع والتهجير وعدم تقديم الخدمات الأساسية للمواطن، واستمر ذلك طيلة فترة الاحتلال على الرغم من وجود بعض المؤسسات التعليمية إلا أن عدداً كبيراً من الأهالي لم يلتحق بها للظروف المعيشية التي ذكرت آنفاً.

وما إن تولت الإدارة البريطانية إلى حكم طرابلس عام 1943م بعد خروج الإيطاليين من البلاد وانتهاء الحرب العالمية الثانية حتى بدأت عودة بعض السكان إلى مناطق الاستقرار وأصبح هناك شعور متزايد إلى ضرورة عودة فتح المدارس من جديد، وقد وثقت الأمم المتحدة في تقاريرها أن هناك إقبال من قبل التلاميذ للعودة إلى المدارس خاصة في المدن بينما الإقبال في المناطق الريفية لا يزال دون المستوى وتقل نسبته في بعض الأحيان عن 50% وأرجعت الأسباب في ذلك على انهماك التلاميذ في الأعمال الزراعية مع أسرهم لشدة الفقر الذي تعانيه تلك الأسر مما أجبرها إلى عدم الاهتمام بتعليم أبنائهم.[3]

ظل نظام التعليم في طرابلس مفصولاً عن التعليم في برقة رغم أن الولايتين تابعتين للاحتلال البريطانية إلا أن كل ولاية تشرف عليها إدارة منفصلة عن إدارة الولاية الأخرى، وقد

(1) جريدة برقة العدد 1390 – أكتوبر 1951م.

(2) المصدر السابق، ص23.

(3) الأمم المتحدة، التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا، المصدر السابق، ص169.

طبقت إدارة طرابلس نظام التعليم الفلسطيني، وأوكلت مهمة الإشراف على تطبيقه في البداية إلى مفتشين عربيين تم انتدابهم من فلسطين عام 1943م يعاونهما مفتش إيطالي للإشراف على المدارس الإيطالية.[1]

قامت الإدارة البريطانية في طرابلس بإنشاء نظارة المعارف للإشراف على التعليم في المنطقة وعينت لرئاستها شخص بريطاني وتشكلت النظارة من مجموعة من الإدارات والأقسام[2]:

1- قسم التعليم الابتدائي ويشرف عليه كبير المفتشين وهو ليبي.
2- قسم المدارس الثانوية ويشرف عليها مدير المعارف ومساعده.
3- قسم إدارة التعليم الإيطالي ويشرف عليها مفتش إيطالي يشغل مستشار نظارة المعارف في طرابلس.
4- قسم البعثات الدراسية وتعليم الكبار ويشرف عليها موظف بريطاني.
5- إدارة المالية والتجهيزات تحت إشراف بريطاني.

ومن خلال هذه التنظيمات في الإدارة التعليمية التي أوكلت أغلب مهامها إلى مهامها إلى مجموعة من البريطانيين عمدت حكومة الاحتلال إلى إحكام سيطرتها على المناهج والمعلمين والمخرجات، ووضعت التعليم تحت مراقبة تامة تتحكم فيه وتوجهه بما يتماشى مع سياساتها ومصالحها الخاصة.

التعليم الابتدائي:

كان التعليم الابتدائي في عهد الإدارة البريطانية يتكون ن خمسة صفوف، يدرسها التلميذ ثم ينقل إلى مدرسة أخرى يكمل فيها السنة السادسة وهي المدرسة الوحيدة في طرابلس ويأتي هذا الإجراء لسد العجز في المعلمين ومحاولة من السلطات إلى تلبية رغبة التلاميذ في إكمال تعليمهم الابتدائي.[3]

كانت جل المدارس في منطقة طرابلس هي مدارس إيطالية قديمة ومهترئة، كما اتخذت الإدارة البريطانية من بعض ثكنات الجيش الإيطالي المهزوم في الحرب مدارس لتغطية العجز، وكل ذلك لم يكن يكفي لاستيعاب التلاميذ الراغبين في الدراسة مما اضطر أعداد كبيرة منهم

(1) رأفت غنيمي الشيخ، التعليم المصري في ليبيا بين عهدين، المرجع السابق، ص31.

(2) فتحي عوض قعير، العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأثرها في تطوير التعليم في الفترة من 1551م-1969م، قاريونس ، بنغازي، 2008م، ص183.

(3) دار الوثائق المصرية، الأرشيف السري لوزارة الخارجية، محفظة رقم 1522، ملف رقم 117/21 بعنوان: التعليم في ليبيا، المصدر السابق.

السير على الأقدام لمسافات تصل إلى 12 كيلو متر للوصول إلى المدارس الأقل كثافة، كما توقفت مجموعات أخرى عن الدراسة لعدم وجود مدارس بالقرب من أماكن إقامتهم وعدم وجود وسائل مواصلات مما جعلهم يتجهون إلى أعمال أخرى رغم صغر سنهم ، وعلى الرغم من أن بعض المصادر كانت تصف حضور التلاميذ إلى مدارس طرابلس بالمستوى الجيد[1]؛ إلا أن حقيقة الأمر غير ذلك، فقد كان عدد كبير من سكان المنطقة الغربية (طرابلس) من أهل البادية ويمارسون الأعمال الزراعية سواء كانت الدائمة أو الموسمية ولا توجد بالقرب منهم مدارس، وهذا بدوره أثر على حضور التلاميذ من عدمه كما أن الظروف الاقتصادية الصعبة جعلت من الأطفال الانصراف مع أهاليهم للعمل في المزارع والحقول بعيداً عن مقر إقامتهم للبحث عن لقمة العيش.

والواقع أن طرابلس لا تعني منطقة طرابلس فقط بل تظم مجموعة من المدن الصغيرة والقرى والأرياف فعندما تذهب إلى الدواخل والمنطقة الوسطى فهي أغلبها تعيش في قرى صغير أو قرى متناثرة هنا وهناك وأعداد كبيرة تعيش في الخيام وبيوت الشعر، ولكن مهما يكن من الأمر فإن هناك إحصائيات مدرجة لا يمكن تجاهلها وكان لزاماً علينا وللأمانة العلمية وضع جدول لها ودراسته ، والجدول التالي يوضح أعداد المدارس والمعلمين والتلاميذ بالمرحلة الابتدائية فيما بين عامي 1943م وحتى عام 1951م.[2]

العام الدراسي	عدد المدارس	عدد المعلمين	عدد التلاميذ		
			بنين	بنات	المجموع
44/43	52	151	4670	314	4984
45/44	72	261	7830	480	8310
46/45	79	267	8655	409	9064
47/46	86	299	9155	1027	10182
48/47	92	347	9841	1696	11537
49/48	112	513	14952	2442	17394
50/49	125	609	16211	2922	19133
51/50	134	694	20265	2923	23188

من خلال الجدول نلاحظ أن هناك تزايداً مستمراً في أعداد المدارس منها الجديدة والمدارس القديمة المدمرة والتي تم ترميمها وكذلك بنيت بعض المدارس من الصفيح والحجارة

(1) المصدر نفسه.

(2) أسمهان معاطي ميلود، الإدارة العسكرية البريطانية في ليبيا وأثرها على المجتمع المحلي 1943-1951، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السابع من أبريل، كلية الآداب، 1997م، ص151.

في بعض القرى بالإضـافة إلى تحويل بعض المقرات العسـكرية الإيطالية إلى مدارس، ومع هذا فإن العدد في المدارس لا يكفي لاسـتيعاب أبناء الليبيين الراغبين في الدراسـة، ويوضح الجدول أيضـاً أن عدد المعلمين في تصـاعد غير أنه قليل جداً مقارنة بأعداد المدارس والتلاميذ، والأهم كان عدد التلاميذ الذي زاد بشـكل كبير بين الجنسـين البنات والبنين وإذا ما قارنا بين عدد المدارس والمعلمين والتلاميذ خلال عامين مختارين في بداية السـنة الأولى 44/43 والسـنة الأخيرة قبل الاستقلال 1951/50م نجد أن في السـنة الأولى في كل مدرسـة 95 تلميذ و 3 مدرسـين ولكل 33 تلميذ مدرس، وفي السـنة الثانية في كل مدرسـة 173 تلميذ و5.1 مدرس ولكل 33.4 تلميذ مدرس واحد ، تبين لنا من هذه الإحصائية أن الاهتمام البريطاني بالتعليم في طرابلس كان سيء جداً وأن التطوير في التعليم لا يواكب المرحلة سـواء كان في عدد المدارس أو المدرسـين مع تزايد رغبة الأهالي في تعليم أبنائهم، كما أن تعليم المرأة صار شائع وهو مؤشر على تراجع تلك العادات التي تحد من تعليم المرأة، وهذا لا يعني أن الظروف المعيشـية عند أهل منطقة طرابلس قد تحسـنت لكن وجود الرغبة القوية لتعليم أبنائهم وشـعورهم بأهمية التعليم لمسـتقبل أبنائهم ووطنهم قد حفزهم على ذلك.

إن النقص في المعلمين الذي كان واضحاً من الجدول كان يسبب عائقاً كبيراً أمام التحاق أعداد أخرى من التلاميذ بالمدارس ولتفادي هذه المشكلة ومعالجتها قامت الإدارة بإنشاء معهد لتخريج المعلمين في أكتوبر 1950م بمدينة طرابلس واختارت له إحدى الثكنات العسـكرية الإيطالية القديمة كمقر له، وضم في صفوفه (170) طالباً منهم (122) طالب يقيمون في القسم الداخلي الخاص بالمعهد، ويقوم بالتدريس فيه عشـرة معلمين منهم فلسـطينيين يحملون شـهادات جامعية، وخمسـة أسـاتذة ليبيين ، وجميع الطلاب بالمعهد من الذين أتموا دراسـتهم الابتدائي وتجاوزوا الاختبارات الشخصية الخاصة بالمعهد مع ضرورة تعهد من يتخرج من المعهد بالتدريس لمدة ثلاث سنوات على الأقل في المدارس الليبية[1]، ومدة الدراسة ثلاث سنوات يتدرب خلالها الطالب على مواضـيع التعليم العامة التي تظم التعليم النظري والتدريب العلمي، كما افتتح في عـام 1950م معهـد لتخريج المعلمـات في طرابلس يقوم بـالتـدريس فيـه معلمـات فلسطينيات ذوات خبرة.[2]

(1) أوتلوج هويتلي، المصدر السابق، ص34.

(2) دار الوثائق المصرية، الأرشيف السري لوزارة الخارجية، محفظة رقم 1522، ملف رقم 117/21 بعنوان: التعليم في ليبيا، المصدر السابق.

التعليم الثانوي:

لقد كان التعليم الثانوي في أسوأ حالاته إبان حكم الاحتلال البريطاني للبلاد على الرغم من وجود بعض الاهتمام بالتعليم الابتدائي إلا أن التعليم الثانوي ظل متأخراً ولم يكن هناك وجود للتعليم الثانوي إلا من خلال مدرستين ثانويتين فقط واحدة في مدينة طرابلس والأخرى في مدينة الزاوية على بعد 40 كيلو متر إلى الغرب من مدينة طرابلس، وبلغ عدد طلاب هاتين المدرستين مجتمعة خلال العام الدراسي 1948/47م حوالي (266) طالباً وارتفع هذا العدد في عام 1951/50م إلى حوالي 539 طالباً منهم (170) طالب يقيمون في الأقسام الداخلية الملحقة بالمدرستين[1]، وبلغ عدد المعلمين في هاتين المدرستين 27 معلماً من الليبيين وغيرهم، ومدة الدراسة بها خمس سنوات ويدرّس فيها المنهج المصري واللغة الإنجليزية هي أولى اللغات الأجنبية.[2]

وهنا تبرز الإشارة إلى أن التعليم الثانوي في عهد الاحتلال الإيطالي يكاد يكون معدوماً خاصة مع العنصر النسائي الذي تحكمت فيه ظروف اقتصادية واجتماعية وعادات لا تسمح بتعليم المرأة خاصة في سن الرشد، أضف إلى ذلك لم يكن هناك ذكر لالتحاق العنصر النسائي بالدراسة الثانوية أثناء حكم الإدارة البريطانية وأن وجد فيكون من بنات الموظفين الحكوميين أو بنات التجار والمتعلمين أما بنات الفقراء والمعوزين وعامة الناس يروا أن البنت تكتفي بتعليم القراءة والكتابة وإنهاء المرحلة الابتدائية كحد أعلى.

المناهج المتبعة في التعليم بطرابلس:

طبقت الإدارة البريطانية في منطقة طرابلس نمط التعليم الفلسطيني وهو النظام الذي كانت الإدارة البريطانية تطبقه في فلسطين أثناء فترة الانتداب عليها، وهو مخالف لما كان سائداً مع نفس الإدارة في برقة حيث يطبق المنهج المصري هناك، وهذا ما أثار حفيظة الأهالي في طرابلس وتاروا ضده واعتبروه يعمل للتفرقة بين أقاليم البلاد، فلجأت الإدارة إلى استبداله بالمنهج السوداني ولكن لعدم قناعة الأهالي بهذه الفكرة وإصرارهم على ضرورة توحيد المناهج التعليمية في البلاد اضطرت الإدارة إلى العودة إلى المنهج المصري المطبق في برقة بعد أن أجرت عليه بعض التعديلات أهمها[3]:

(1) A.J. Steel, history of education in Tripolitania from the ottoman Occupation to the fifth year under British military occupation, (British Military administration, Tripoli, 1948) P.56.

(2) مصباح ياقة السوداني، المرجع السابق، ص138.

(3) رأفت غنيمي الشيخ، تطور التعليم في العصور الحديثة، المرجع السابق، ص277.

1- عدم تدريس أي لغة أجنبية في التعليم الابتدائي حتى لا تجبر على توظيف مدرسين أجانب.
2- يظل الكتاب المصري هو المقرر الوحيد الذي يدرّس.
3- تدريس مادتي التاريخ والجغرافيا في التاريخ والجغرافيا الليبية فقط بدلاً من تاريخ مصر وجغرافيتها.
4- اللغة الإنجليزية هي اللغة الأجنبية الأولى في مرحلة التعليم الثانوي، واللغة الفرنسية هي الثانية واستمرت الأخيرة حتى أكتوبر سنة 1950م لتحل محلها اللغة الإيطالية كلغة ثانية.

المدارس الأجنبية:

عمدت إيطاليا منذ مجيئها إلى ليبيا لتأسيس العديد من المدارس الحكومية والخاصة لتتولى تعليم أبناء الجالية الإيطالية، وحتى تحرص على عدم اختلاطهم بأبناء الليبيين، ولكن بنهاية الحرب العالمية الثانية وخروج إيطاليا على يد دول الحلفاء وتولت بريطانيا شؤون ليبيا ضمت جميع المدارس الإيطالية تحت إشرافها وتحملت مسئولية نفقاتها حتى عام 1950م ، حينها أبرم اتفاق بين الحكومتين البريطانية والحكومة الإيطالية تولت بموجبه الأخيرة الإشراف على تلك المدارس والتابعة لها في الأساس بدفع رواتب جميع الكوادر الوظيفية بها.[1]

بلغ عدد المدارس الإيطالية في منطقة طرابلس حوالي 12 روضة للأطفال ، 72 مدرسة ابتدائية، و7 مدارس ثانوية، وتتولى وزارة المعارف الإيطالية إرسال المعلمين للعمل في هذه المدارس، أما المدارس الخاصة فمعظم معلميها من جنسيات مختلفة، ويقوم بتعليم اللغة العربية فيها ليبيون انتدبتهم الحكومة الإيطالية لهذا الغرض.[2]

من هنا نلاحظ الإهمال الذي تعرض له أبناء الليبيين في مجال التعليم، والاهتمام الكبير بأبناء الجالية الإيطالية وأبناء قوات الاحتلال ، فعمرت لهم المدارس في كل مكان من الولاية سواء كان بالقرب من التجمعات السكنية أو داخل القرى الزراعية وزودتها بمختلف الوسائل والتجهيزات العلمية وبالمعلمين والموظفين حتى إن عند خروجها من ليبيا تركت 72 مدرسة ابتدائية و7 مدارس ثانوية ورياض أطفال وغيرها كلها من أجل السيطرة التامة على التراب الليبي ولم تعمر سواء 52 مدرسة ابتدائية فقط لليبيين وأغلبها كان أثناء فترة الحكم العثماني للبلاد، ومن هنا يظهر تجاهل الإيطاليين إلى أبناء الوطن الأصليين.

(1) أوتلوج هويتلي، المصدر السابق، ص36.

(2) الأمم المتحدة، التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا.. المصدر السابق، ص173.

أكدت الحكومة الإيطالية على تطبيق مناهج التعليم الرسمي الإيطالي في تلك المدراس مع إضافة اللغة العربية في جميع المراحل التعليمية الابتدائي والثانوية، وسمحت بدخول الأطفال لهذه المدارس، وجميع الجنسيات والديانات سواء المسيحية والمسلمين واليهود.

كانت هناك بعض المدارس اليهودية في طرابلس خاصة بتعليم أبناء الجالية اليهودية وبلغ عددها عام 1948م خمس مدارس ثم تناقص عددها إلى ثلاث مدارس ثم إلى مدرسة واحد، وكان السبب في ذلك هجرة الكثير من الأسر اليهودية إلى فلسطين بتشجيع من البريطانيين، ولم يبق سواء مجموعة من الأطفال البالغين سن الرشد من اليهود الذين يعيشون في مدينة طرابلس التحق بعضهم بالمدارس الإيطالية العامة والبعض الآخر التحق بالمدارس العربية.[1]

مصروفات الإدارة البريطانية على التعليم في طرابلس:

عمدت الإدارة البريطانية إلى إصلاح بعض المدارس والمؤسسات التعليمية الأخرى التي تعرضت للدمار والخراب خلال الحرب العالمية الثانية التي دارت رحاها على رقعة واسعة من التراب الليبي، وأمام إصرار الأهالي بعودة أبنائهم إلى المدارس بعد انقطاع قرابة 4 سنوات، ولتهدئة النفوس قامت الإدارة بتخصيص بعض المبالغ المالية من ميزانيتها العامة للولاية لكي تغطي بها مصروفات التعليم والجدول التالي يبين قيمة تلك المصروفات السنوية منذ عام 1943م وحتى عام 1951م بالجنسية الإسترليني.[2]

السنة	44/43	45/44	46/45	47/46	48/47	49/48	50/49	51/50
المصروفات	42893	77466	90062	103696	141822	203657	170556	264635

يتضح من الجدول السابق أن مصروفات الإدارة البريطانية في ولاية طرابلس على التعليم لم يكن سوى درللرمال في العيون حيث شهدت الميزانية زيادة نسبة بسيطة من سنة إلى أخرى وإن كانت نسبة الزيادة في سنة 1945/44م هي الأفضل بين باقي السنوات حيث وصلت إلى 44% ثم بعد ذلك شهدت الميزانية تراجعاً كبيراً يتراوح من 13% إلى 32% وشهدت سنة 1950/49م انخفاضاً كبيراً حيث كانت نسبة العجز في ميزانية التعليم تصل إلى 14% بالسالب، وهذا يدل على عدم وضع التعليم بين أولويات الإدارة البريطانية الحاكمة في ولاية طرابلس، وفي نفس الوقت هذه الزيادات لا تفي بالغرض ولا يمكن أن تحقق مردود إيجابي وسريع على مستوى التعليم في الولاية خاصة وأنها شهدت فترة طويلة من التوقف وتدمير للمباني والبنية التحتية للمدارس والمؤسسات التعليمية وتشريد التلاميذ وأسرهم والحالة النفسية السيئة التي عاشها

(1) مصباح ياقة السوداني، المرجع السابق، ص140.

(2) فلاديمير كاراكتشاف، تقرير عن المالية العامة في ليبيا، 1943-1951م، الجزء الأول، طرابلس، الأمم المتحدة، 1951م، ص28.

السكان، بالإضافة إلى ذلك أن هذه الميزانية سوف تصرف على إصلاح وترميم المدارس العربية والأجنبية المدمرة وبناء مدارس جديدة والإنفاق لدفع الرواتب والمزايا الخاصة بالمعلمين والموظفين وطباعة الكتب المدرسية وتوفير الوسائل التعليمية وغيرها.

ثالثاً: إقليم فزان:

تأثر إقليم فزان مبكراً بالاحتلال الفرنسي قبل باقي أجزاء البلاد الأخرى حيث تم احتلاله في عام 1940م من قبل القوات الفرنسية الغازية والمتواجدة في الجزائر وتشاد فأغلقت فيها المدارس وهجرت مبانيها وأصيبت بأضرار كبيرة وجردت من محتوياتها وأثاثها، ولم يستمر العمل إلا بالمدارس القرآنية وبعض الكتاتيب، وسيطر على الأهالي الخوف والهلع بخروج محتل ودخول محتل آخر، واستمر الحال إلى أن عادت المدارس تعمل من جديد على يد مجموعة من المعلمين الفرنسيين المجندين من أفراد القوات الفرنسية وكان عام 1945/44م هو أول عام دراسي بعد توقف دام قرابة 4 سنوات فعادت الدراسة الفعلية للإقليم وفتحت المدارس أبوابها لاستقبال التلاميذ، وكانت الحكومة الفرنسية تتولى الصرف على تلك المدارس من ميزانيتها الخاصة، وفي عام 1950م عين على رأس نظارة المعارف أحد أبناء الإقليم كصورة أمام الأهالي بينما كان المدير الفعلي لنظارة المعارف شخص فرنسي.[1]

التعليم الابتدائي:

على الرغم من المساحة الشاسعة لإقليم فزان وانتشار القرى على تلك الرقعة من الجنوب الليبي إلا أنه يفتقر إلى البنية التعليمية السليمة حيث لم يكن فيه سوى أحد عشر مدرسة ابتدائية بحلول عام 1950م وكانت منتشرة على بعض القرى غير أن أهمها مدرسة غدامس الابتدائية والتي بلغ عدد تلاميذها 105 تلميذاً في مدينة صغيرة يقل سكانها على ألف نسمة، وكتشجيع من حكومة الاحتلال للدفع بأبناء قبائل الجنوب للتعليم قامت بفتح بعض الأقسام الداخلية في بعض مناطق الإقليم كملاحق للمدارس، حيث أنشئ قسم داخلي في منطقة بنت بيه بسبها يضم 27 تلميذاً وآخر في براك ويضم 20 تلميذاً، وكانت توفر لهم الأقسام لداخلية الإقامة والطعام بالمجان خلال السنة الدراسية[2]، وفي نفس الوقت انتشرت في باقي القرى بالإقليم المدارس القرآنية وبلغ عددها حوالي ثمانين مدرسة، والتف حولها ما يزيد عن ألف تلميذ يدرسون فيها القرآن الكريم على يد مشايخ تلك القرى من حفظة كتاب الله ، ومع أن هذه المدارس مستقلة إلا أنها كانت خاضعة لرقابة وإشراف الإدارة الفرنسية.

(1) أحمد محمد القماطي، المرجع السابق، ص198.

(2) أوتلوج هويتلي، المصدر السابق، ص40.

أما فيما يتعلق بالتعليم الثانوي فلم يكن هناك ذكر لهذه المرحلة من التعليم، كما أن تعليم البنات لم يكن موجوداً حيث إن أهالي إقليم فزان لم تكن فكرة تدريس البنات مقبولة عندهم خاصة مع عدم وجود مدارس خاصة للبنات وعدم وجود معلمات للعمل في مجال التعليم.[1]

ومن هنا يتضح أو الوضع التعليمي في فزان كان أكثر تأثراً من غيره مقارنة بباقي الأقاليم الأخرى بالبلاد، وإن فكرة الالتحاق بالمدارس العامة في عهد الاحتلال الفرنسي لم تجد قبولاً عند الكثير من الأهالي لهذا نجد أن أغلب التلاميذ اتجهوا إلى التعليم في المدارس القرآنية والكتاتيب بناء على رغبات ذويهم الرافضين للاحتلال.

المناهج الدراسية في إقليم فزان:

فرضت قوات الاحتلال الفرنسي على إقليم فزان نمط التعليم الفرنسي المتبع في الجزائر وتونس مخالفة بذلك نظم التعليم المتبعة في برقة وطرابلس، وكانت تدفع الفرنسيين رغبة جامحة لفصل الإقليم عن باقي أجزاء البلاد وإلحاقه بإدارة مستعمراتها بالشمال الإفريقي، ولتأكيد تلك السياسة الاستعمارية أرسلت الإدارة مجموعة من الطلبة من أبناء فزان لاستكمال دراستهم في الجزائر وتونس في بعض المجالات العلمية.

كان أبرز ما فرضته الإدارة التعليمية في الإقليم ووضعته من ضمن أولوياتها هي تعليم اللغة الفرنسية لأبناء القبائل القاطنة تمشياً مع سياستها الاستعمارية المتبعة في أغلب مستعمراتها، وقد واجه أبناء الإقليم مشاكل جمة لتعلم تلك اللغة أهمها النقص في معلمي هذه اللغة بسبب الظروف الطبيعية والاجتماعية القاسية التي كان يعيشها الإقليم، والتي كانت تشكل عائقاً أمام استقرار أعضاء هيئة التدريس في المنطقة[2]؛ مما دفع بالإدارة إلى إرسال التلاميذ لتلقي علومهم في الجزائر وتونس في مجالات اللغة الفرنسية والتربية ومن ثم العودة بهم لتعيينهم في مجال التعليم.

مصروفات الإدارة الفرنسية على التعليم في إقليم فزان:

كان إقليم فزان يمر بظروف مشابهة للظروف التي مرت بها باقي أجزاء البلاد من جراء الحرب العالمية الثانية، حيث توقفت الدراسة وتضررت المباني المدرسية وأتلفت معداتها، وألحق الخراب بباقي المؤسسات التعليمية، ومن هنا كان لزاماً على الإدارة الفرنسية الجديدة إصلاح ما يمكن إصلاحه بعدما ضمنت سيطرتها على فزان، ولكي تمتص غضب السكان عمدت إلى تسيير الميزانيات وكان للتعليم نصيباً منها ليتسنى لها إصلاح المدارس القديمة وبناء مدارس

(1) الأمم المتحدة، التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا، المصدر السابق، ص181.

(2) رأفت غنيمي الشيخ، التعليم المصري في ليبيا بين عهدين، المرجع السابق، ص36.

جديدة ودفع مرتبات المعلمين والموظفين وتوفير الوسائل والمعدات اللازمة لإتمام العملية التعليمية، والجدول التالي يوضح قيمة تلك المصروفات من سنة 1944م حتى سنة 1951م بآلاف الفرنكات الجزائرية.[1]

السنة	44/43	45/44	46/45	47/46	48/47	49/48	50/49	51/50
القيمة	115	93	143	2054	3091	3200	2740	4000

من الجدول تظهر القيمة التي كانت تخصصها قوات الاحتلال الفرنسي لقطاع التعليم في إقليم فزان، وهي لا تمثل إلا القليل أمام ما يحتاجه الإقليم للنهوض بهذا القطاع الذي كان متوقفاً لفترة طويلة من الزمن، خاصة وأن قرى الإقليم متناثرة على مساحات شاسعة من الأرض، وفي نفس الوقت متباعدة عن بعضها البعض ومن الصعب الوصول إليها إلا بشق الأنفس، وتحتاج إلى أموال كبيرة للربط بين تلك القرى وتوفير ما تحتاجه من مدارس ومعلمين ووسائل تعليمية ووسائل مواصلات وغيرها.

من الطبيعي أن تسعى كل إدارة من إدارات الاحتلال إلى فرض نظامها التعليمي على الإقليم الذي تحتله حتى تتمكن من إحكام سيطرتها عليه، فالثقافة التي تفرضها هي التي توجه مجتمع الإقليم، وترسخ المفاهيم التي يسير عليها مستقبلاً، وبالفعل هذا ما عملت، حيث فرضت كل إدارة نظاماً تعليمياً يتمشى مع سياستها ويعزل كل إقليم عن الآخر ويصعّب من مهمة التواصل الفكري بين أبناء الوطن الواحد، كما أن تلك الإدارات ركزت عليه تلك الإدارات الأجنبية التي احتلت أقاليم ليبيا الثلاث برقة وطرابلس وفزان على تعليم اللغات الأجنبية الإنجليزية والفرنسية في محاولة منها لإضعاف الهوية العربية، وربط الأجيال بالثقافة الغربية، وبالمقابل أهملت المناهج التي كانت تعزز من الروح الوطنية والقومية والمصير المشترك ووحدة التراب والدم والدين كالتاريخ والجغرافيا وغيرها.

(1) فلاديمير كاراكتشاف، تقرير عن المالية العامة في ليبيا 1943-1951، الجزء الثالث، (فزان) الأمم المتحدة، 1951م، ص12.

لمصادر والمراجع:

1. أسمهان معاطي ميلود، الإدارة العسكرية البريطانية في ليبيا وأثرها على المجتمع المحلي 1943-1951، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السابع من أبريل، كلية الآداب، 1997م.
2. امحمد محمد القماطي، تطور الإدارة التعليمية في الجماهرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية في الفترة من 1951-1975م، ط1، طرابلس، الدار العربية للكتاب، 1978م،.
3. الأمم المتحدة، تقرير عن التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا، 1952م.
4. أوتلوج هويتلي، تقرير عن الزراعة في ليبيا، بعثة منظمة الأغذية والزراعة، الأمم المتحدة، 1952م.
5. رأفت غنيمي الشيخ، التعليم المصري في ليبيا بين عهدين 1943-1969م، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1977م.
6. رأفت غنيمي الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، دار التنمية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1972م.
7. فتحي عوض قعير، العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأثرها في تطوير التعليم في الفترة من 1551م-1969م، قاريونس ، بنغازي، 2008م.
8. فلاديمير كاراكتشاف، تقرير عن المالية العامة في ليبيا 1943-1951، الجزء الثالث، (فزان) الأمم المتحدة، 1951م.
9. فلاديمير كاراكتشاف، تقرير عن المالية العامة في ليبيا 1943-1951م، الجزء الثاني (برقة) الأمم المتحدة، 1951م.
10. فلاديمير كاراكتشاف، تقرير عن المالية العامة في ليبيا، 1943-1951م، الجزء الأول، طرابلس، الأمم المتحدة، 1951.
11. فلاديمير كاراكتشاف، تقرير عن المالية العامة في ليبيا، 1943-1951م، الجزء الأول، طرابلس، الأمم المتحدة، 1951م،
12. القاهرة، دار الوثائق المصرية، الأرشيف السري الجديد لوزارة الخارجية منطقة رقم 1522 ملف 114/21، تقرير مدير المعارف الليبية بعنوان (التعليم في ليبيا) 1952م.
13. محمد الطيب الأشهب، برقة العربية أمس واليوم، بنغازي، مطبعة الهواري، 1947م.
14. مصباح ياقة السوداني، الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا أثناء فترة حكم الإدارة الأجنبية (1943-1951م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، مصر، 2004م.
15. مصلحة الإحصاء العام نظارة المالية والتجارة، الإحصائيات العامة بولاية برقة لسنة 1959م.
16. وزارة التعليم والتربية، إدارة التخطيط والمتابعة.
17. A.J. Steel, history of education in Tripolitania from the ottoman Occupation to the fifth year under British military occupation, (British Military administration, Tripoli, 1948).

أثر المنهج التاريخاني في الاستشراق الألماني هلموت ريتر أنموذجاً

إعداد: د.مبروكة معطى الله

أستاذ مساعد: بقسم الفلسفة جامعة طرابلس- كلية الآداب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين.

مقدمة:

يراد بلفظ الاستشراق معنيان : الأول البحث في تراث الشرق عامة، والثاني يُطلق على البحث في تراث الإسلام بشكل مباشر. وعادة ما يراد بالاستشراق الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي. والاستشراق ظاهرة ارتبطت بالعلاقات التاريخية الحضارية بين الشرق والغرب منذ كان الصدام بينهما إثر الفتوحات الإسلامية. فحينما انتشر الإسلام بسرعة أحس العالم المسيحي بالخطر، وحين فشلت الحروب الصليبية؛ ازداد الخوف من التيار الإسلامي، فبدأ التفكير في وقف ذلك التيار، والشروع في محاولات تشويه الإسلام والتشكيك فيه ، وأنطلاق عمليات التنصير. ومن هنا ارتبط الاستشراق في بداية تكونه بالكنيسة ، وبالحركة الصليبية عموماً، واعتبر المستشرقون الأوائل عملَهم نوعاً من الجهاد ضد الإسلام.

ويتناول هذا البحث أحد ابرز أعلام المدرسة الألمانية وهو "هلموت ريتر" الذي ربطته صلة عميقة بالشرق بآدابه ،وفنونه،ولغاته .ويطرح هذا البحث عدة تساؤلات حول مدى موضوعية هذه المدرسة الاستشراقية؟وماالمنهج العلمي الذي أسهم في أنتاج روح الالتزام والموضوعية التي طبعت الاستشراق الألماني؟

أهداف البحث: دراسة جانب مشرق من الاستشراق،والتعريف به،وإبراز جهوده القيمة في دراسة الفكر الإسلامي.

أولاً: التعريف بالاستشراق ونبذة من تاريخ الحركة الاستشراقية.

الاستشراق لغة : مأخوذ من الاتجاه إلى الشرق، وكلمة الاستشراق مشتقة من (شرق)، "يقال شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت"[1]، وترمز إلى مجال الاهتمام بهذا الحيز المكاني من الكون وهو الشرق.

واصطلاحاً: اتجاه فكري يُعنى بدراسة الإسلام والمسلمين ويشمل ذلك كل ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة والسنة والشريعة والتاريخ، وغيرها من

[1] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1960م، 482/1.

مجالات الدراسات الإسلامية الأخرى.

نشأة الاستشراق الألماني وتطوره:

الاستشراق الألماني في القرن السّابع عشر:

يحدد بعض الباحثين نشأة الاستشراق بالفتح الإسلامي للأندلس في بداية القرن الثامن الميلادي؛ إذ شهدت جامعات إشبيلية، وقرطبة، وغرناطة، إقبالاً كبيراً من الأوربيين لدراسة الحضارة الإسلامية، وان "بعض الرهبان الغربيين قصدوا الاندلس ابان عظمتها ومجدها، وسلطانها، فتثقفوا في مدارسها، وترجموا القران الكريم، والكتب العربية،الى لغاتهم، وتتلمذوا على يد علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات"[1].

ومنهم من حدد بداية الاستشراق في أوروبا القرن العاشر الميلادي بداية للاستشراق فأرجعوا ذلك إلى تزايد اهتمام الغرب باللغة العربية وآدابها، وتزايد الاهتمام بحركة الترجمة، وكان من أبرز من اهتم بهذا الاتجاه الراهب الفرنسي "سلفستر الثاني" (999م-1003م)الذي درس في الأندلس ثم تقلد منصب البابوية عام 999م، وأوصى بفتح المدارس وبترجمة التراث الإسلامي إلى اللغات الأوروبية[2]. وبطرس المبجل(1092م-1156م) رئيس دير كلوني ،وجيرار دي كريمون (1114م-1181م).[3] بأول ترجمة للقران الكريم للغة اللاتينية في تلك الفترة[4].

ومنهم من رأي ان نشأة الاستشراق في الغرب تعود الى صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام(1312م) فقام رايموند لول (1314م-1235م)المولود في جزيرة ميورقة الاسبانية بأمر من الكنيسة بأنشاء كراسي للغة العربية في عدد من الجامعات الاوربية، لدراسة الإسلام واللغة العربية[5]في جامعات "أكسفورد" و"كامبردج" و"بولونيا" و "روما" و"السوربون"[6].غير ان هذه الجهود لم تصب في ميدان الاستشراق الذى لم تتبلور أسسه ومفاهيمه بعد ،وانما كان أقرب للتبشير والتنصير.[7] بعد وصول الإسلام للأندلس وما وقع من جدل وحوار بين المسلمين وأهل الكتاب، ومحاولات اليهود والنصارى للتشكيك في عقيدة المسلمين وفي معجزات الرسول صلى الله

---

[1] حسان مصطفى السباعي ،الاستشراق والمستشرقون :مالهم وماعليهم،دارالسلام ، القاهرة ،ط1 ،1998م،ص15.

[2] ينظر: العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط4، 110/1.

[3] هاني محمد حامد ،ألف معلومة عن الاستشراق والمستشرقين، دارالفضيلة، مصر،ط1 ،2014م ص11

[4] ينظر: أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص67.

[5] هاني محمد حامد ،ألف معلومة عن الاستشراق والمستشرقين ،ص9.

[6] ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق، ص80.

[7] ينظر :رضوان السيد،المستشرقون الالمان النشوء والتأثير والمصائر،دارالمدار الإسلامي،رياض الصلح ،بيروت – لبنان ،1ط2007،1م،ص11.

عليه وسلم[1].ولكن هذا الموقف في جوهره النابع من العداوة في العقيدة ليس بجديد، فهو موقف الإنكار للرسالة، والتكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم، وإثارة الشبهات حول الإسلام، وحول القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم بوجه خاص؛ لتشكيك المسلمين في دينهم ومحاولة ردهم عنه[2].

وترسخ هذا الجدل بما كتبه "يوحنا الدمشقي ت749م" - في بداية القرن الثاني الهجري – من رسائل لمحاورة المسلمين ونصرة إخوانه من النصارى من خلال كتابيه "حياة محمد" "وحوار بين مسيحي ومسلم" بغية ارشاد النصاري اثناء جدالهم للمسلمين .[3].

- ويحدد المستشرق الألماني "رودي بارت" القرن الثاني عشر الميلادي البداية الفعلية للاستشراق مع ظهور أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم بتوصية من "بطرس" الملقب بالمحترم الذي زار الأندلس، وأوصى بإصدار أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية عام 1143م[4].وطالما نحن بصدد الحديث عن الاستشراق الألماني فيمكن اعتبار ان جهود مارتن لوثر(1562م) منذ ظهوره في مطلع القرن السابع تصب في دائرة الصراع بين الإسلام والمسيحية.[5]

- وتعد الحروب الصليبية وهي الحملات العسكرية التي قامت بها أوروبا في مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي نهاية العصور الوسطى الى الشّرق الإسلامي من البدايات القوية لظهور حركة الاستشراق [6].وهى الجذور الأولى لاتصال المانيا بالعالم الإسلامي حينما شاركوا في رحلات الحج الى الأراضي المقدسة"فلسطين".

- اما في القرنين الرابع والخامس عشر فقد انطلقت الدراسات الاستشراقية مع انشاء أولى الجامعات في المانيا[7]هذا التأخر في تأسيس الجامعات الألمانية مقارنة بفرنسا ،وانجلترا،جعل من واقع الدراسات الاستشراقية.

-ويبدو القرن السادس عشر متواضعا بالمقارنة بباقي الحقب التاريخية، فقد أخذت الدراسات في التطور شيئا فشيئا، حتى صارت حقلا مستقلا متأصلا في الجامعات، ومراكز البحوث الشرقية.

---

[1] محمد حسيني أبو سعدة، الاستشراق والفلسفة الإسلامية، ط1، 1995م، ص35.

[2] رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، ط2، 1411هـ، ص11.

[3] ينظر: السيد أحمد فرج، الاستشراق: (الذرائع – النشأة – المحتوى)، دار طويق للنشر والتوزيع، ط1، 1414هـ - 1994م، ص48.

[4] نظر: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص11.

[5] مجدي محمد فتح الباب، موقف المستشرقين من ا لصّحوة الإسلامية ،ص 11.

[6] ينظر: محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق، ص27.

[6] ينظر: عبد لله يوسف الشاذلي،الاستشراق مفاهيم،صلات،جهود، ط 1، د.ت،ص 4 .

[1]فبدأ جمع المخطوطات وتخصيص كراسي لدراسة اللغات العربية والسريانية وكافة اللغات السامية. [2]

-اما القرن السابع عشر يعد الاتصال الحقيقي بالشرق حيث ارسل الدوق فريدريش الثالث حملة قوامها أربعة وثلاثين رجلا الى فارس وروسيا كي تتحالف مع امبراطور فارس ضد الاتراك ،ودامت هذه الرحلة خمسة أعوام لم تجني خلالها مكاسب سياسية ،الا أنها أثمرت تواصلا فكريا وثقافيا يمكن ان يعد البداية الحقيقة للتواصل مع تلك الشعوب،ومهد بدوره لتشكيل نواه للدراسات حول الشرق،ويمكن ان نذكر بعض المستشرقين في هذه المرحلة أمثال :جوهان هوتنغر(ت1667م) الذي قام بوضع فهرسا للمخطوطات الشرقية الذي نشره عام (1658م)في هايدلبرغ[3]،وفي هذا القرن أنشئت أول مطبعة للقران الكريم بحروف عربية،وكان المشرف على هذه الترجمات ابراهام هنكلمان في مدينة هامبورغ .

- القرن الثامن عشر: عرف القرن الثامن عشر تيارين فكريين هما تيار الرومانسية ويمثله الشاعر الألماني ليوهان ولفغانغ غوته(1749م-1832م) الذي التفت الى أدب الشرق في سن السادسة والستين،وبخاصة إلى الأدبين الفارسي والعربي. ولكن صلته الحقيقية بهذا المنهل الشرقي قديمة ،تعود لأيام شبابه ودراسته الجامعية في ستراسبورغ على يد أستاذه الكبير، هردر، الذي وجه عنايته للشرق. وهكذا عكف غوته، منذ ذلك العهد، على مطالعة القرآن،في ترجمته الألمانية واللاتينية، والتمعّن في آياته والتشبّع بمضامينه. [4]وفي ديوانه الذي نظمه في آخر حياته "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي"، يبدو أثر القرآن جليّاً في صياغة هذا الديوان ومعانيه. وكان غوته مأخوذاً بحياة النبي، حتى إنه نظم مسرحية عن "محمد"، وشرع فيها منذ عام(1773م)، وخطّط لفصولها الخمسة، ولكنه لم يُنْجز سوى الفصل الأول المعنون: مناجاة محمد. اما اشهر المستشرقين فكان رايسكه(1716م-1774م) من ابرز المستشرقين في هذا القرن،اهتم بدراسة الشعر العربي ما قبل الإسلام ،واللغة العربية،وهى بدايات الدراسات الشرقية في المانيا.

---

[7] ينظر: يحي مراد ،معجم أسماء المستشرقين ،ص 5 .

[8] هاشم إسماعيل الايوبي ،أبحاث عربية في الكتاب التكريمي للمستشرق الألماني فيشر ،ط1 ،1994 م،ص11.

[3] محمد سعدون المطوري،تاريخ الاستشراق الألماني وملامح من أسسه المنهجية،مجلة دراسات استشراقية،العراق ،العدد 3، 2015م،ص193.ص194.

[4] ينظر: رضوان السيد،المستشرقون الالمان ،ص 12

كما شهد هذا القرن ظهور التاريخانية وهى منهج ذاع سيطه، وكثرأستخدامه في الأوساط الاستشراقية،ويعود له الفضل في تميز الدراسات الألمانية وتنوع موضوعاتها والتي سوف نتناولها بالتفصيل لاحقا .

- أماالقرنان: التاسع عشر،ومن اشهر المستشرقين فلايشر (1801م-1888م) وايفالد (ت1875م)والاستشراق في هذا القرن أمتاز بالتنوع.

- و القرن العشرون عصر الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية في المانيا،إذ ظهرت في هذا القرن الجمعيات الاستشراقية التي نشطت في إصدار المجلات والمطبوعات للمستشرقين. كماشهد بداية المؤتمرات الدولية ومن أشهر مستشرقي هذا القرن نولدكه(1836م-1930م)ويعد من أهم أعماله"أصل وتركيب سور القرآن الكريم "وهى رسالة نال من خلالها جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس عام (1858م) وترجمها للألمانية ونشرها بعنوان "تاريخ النص القرآني" كما له أعمال حول الشعر الجاهلي(1864م)،وقواعد اللهجات الآرامية(1875م)[1].وكارل بروكلمان(ت1956م)الذي تمتاز أعماله أيضا بالعمق ،والشمول،والجدة، ويعدكتابه"تاريخ الادب العربي"بأجزاءه الستة مرجعا أساسيا وهاما في كل مايتصل بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها[2]. اللذين امتازا بغزارة الإنتاج في شتى حقول المعرفة الإسلامية.كما يعود لهم الفضل في نقل مستوى الدراسات الاستشراقيةالى مرحلة مهمة،ولعل أعمالهم تشهد على نشاطهم الذي طبع الاستشراق الألماني بطابع خاص، يدين له بالفضل كل من جاؤوا من بعدهم من التلاميذوالاتباع.

ويهدف هذا البحث إلى الإجابة على المشكلة الأساسية:المتمثلة في مواقف المستشرقين الالمان من التّراث العربي الإسلامي؟ وكيف نشأ الاستشراق الألماني ؟ وما هي العوامل التي ساعدته في تبلوره وتطوّره؟ وما مدى إنصاف المستشرق هلموت ريتر للتراث العربي الإسلامي؟

خصائص الاستشراق الالماني:

1- لم يكن الاستشراق الالماني ذا غايات سياسية،وأطماع أستعمارية، خلافا للمدارس الاستشراقية الاخرى في باقي أوروبا.وهذا ما عبر عنه المستشرقون الالمان أنفسهم بأرتياحهم الشديد الى اهمال هتلر والنظام النازي لهم،وعدم استعماله لهم في حروبه.[3]

---

[1] ينظر:صلاح الدين المنجد ،المستشرقون الالمان ،ج1،ص13.

[2] العقيقي ،المستشرقون ،ج2،ص 425

[3] ينظر: يحي حمود ،مجلة الفكر العربي ،العدد 32،للسنة الخامسة ،1983م،ص 188.

2- لم يكن الاستشراق الألماني وثيق الصلة بحركات التبشير والتنصير.
3- غلبة الروح العلمية،ويمتاز ببعده عن التعصب والهوى.
4- ضعف التنسيق بين المستشرقين الالمان وحكوماتهم، فأغلبهم كانت دراساته للشرق حرة وغير مدعومة أو موجهة من الحكومة، مما جعل معظمهم يمتهن مهن متواضعة،حتى ينفق على بحوثه من ماله الخاص[1].
5- ومنهم من غادر الى بلدان أخرى طلبا للعلم، وهذا ماعكس روح التحرر لديهم من قيود النظرة النمطية للإسلام فنظروا له بروح الاعتدال والموضوعية.

هذا ويمكن تصنيف مواقف المستشرقين الالمان من التراث الإسلامي من خلال مناهجهم وهم على أربعة طوائف حسب مقاصدهم:

1- الطائفة الاولة: قصدت التّعرف على أثر الفكر والتراث العربي والإسلامي على الحضارة الغربية.
2- الطائفة الثانية: بحثت في مدى تأثير التراث الإسلامي في الحضارة الأوروبية .
3_الطائفة الثّالثة:فقد وقفت موقف العداء للتراث وأهله وحاربته محاربة علنية وسرّية، وعملت على تشويهه بشتى السبل.

4-الطائفة الرابعة: موقف الانصاف ايمانا منها ان صناعة الفكر الحضاري مهمة تصنعها البشرية جمعاء. [2]

وبعد هذا التصنيف لطوائف المستشرقين على عمومهم، ومن خلال المناهج التي اتبعوها في دراسة وتحقيق التراث الإسلامي، فلم يكتفوا بمنهج واحد، بل تنوعت المناهج كالمنهج التحليلي، والمنهج الاسقاطي، ومنهج التأثير والتأثر، ومنهج الشك التي أثرت في دراساتهم، ومكنتهم من بسط سلطانهم على التراث الإسلامي معللين من خلال تلك المناهج موقفهم من هذا التراث انصافا او

---

[4] فعلى سبيل المثال فان الراهب روثر سباي وهو راهب ورجل دين، عاش في القرن السادس عشر الميلادي في هايدلبرغ،كان ينظم الكتب التلمودية لمكتبة هايدلبرغ بتكليف من أمير المقاطعة، رغبة منه في التبشير،وكان يرغب في أنشاء مطبعة عربية لطبع الكتاب المقدس بالغة العربية وارساله للشرق،الا ان طموحه هذا لم يلق آذان صاغية من أمراء المانيا ينظر :صلاح الدين المنجد ،المستشرقون الالمان ،ج1،ص16 والمشاكل التي عانى منها المستشرق بروكلمان مع الناشرين،عند طباعة كتبه ينظر :بدوي،موسوعة المستشرقين ،ص102،ص103،ص104.

[1] ينظر : محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها ،المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ،طرابلس – ليبيا ،ط1، 1983م،ص102،ص103.

اجحافا . فما موقف الاستشراق الألماني من التراث الإسلامي؟ وبالتحديد المستشرق هلموت ريتر؟ وما المنهج الذي استخدمه ؟

تعريف بالمستشرق هلموت ريتر:

هلموت ريتر مستشرق الماني (1892م-1971م) من أعلام القرن العشرين في الاستشراق أو مايعرف بالمستعربين الالمان، الذين أهتموا بالثقافة الإسلامية،درس في جامعة هاله الشهيرة على يد مستشرقين كبيرين هما:كارل بروكلمان(1886م-1956م) وبول كاله(1875م-1964م) ثم انتقل الى جامعة ستراسبورغ،ودرس بها على يد مستشرقين أخرين هما :نولدكه(1836م_1930م)واينولتمان(1875م-1958م)[1] نال في عام(1914م) شهادة الدكتوراه من جامعة بون واثناء الحرب العالمية الأول انظم للعسكرية وتنقل بين إسطنبول، العراق، وفلسطين وعمل مترجما للغة العربية والتركية آنذاك ،وهذا ساعده في جمع كثير من المعلومات عن هذه البيئات اثناء تواجده في تلك المنطقة. وقد اشرف على معهد الآثار الألماني في إسطنبول على مدى ثلاثين عاما ،كما أسس به المكتبة الإسلامية عام (1918م)، وبعد انتهاء الحرب في عام(1919م) عمل أستاذا للغات الشرقية في جامعة هامبورغ، كما أصدر مع بيكر مجلة "الإسلام "عام(1920م) ، دجلة والفرات،الفتوة،أذربيجان1924م) ،وقام في هذه المرحلة بترجمة كتاب "كيمياء السعادة "للغزالي" وفي عام(1927م) عاد لإسطنبول وبقي فيها مدة طويلة عمل خلالها أستاذا في جامعتها ، كما عمل كمدير لمعهد الاثار الألماني بها ،وعكف في هذه المرحلةأيضا على دراسة وتحقيق المخطوطات العربية التي تزخر بها المكتبات التركية، كما نشر تراث أعلام الصوفية "كالرومي"، "والمحاسبي"، "والسهروردیین الأربعة"،وفي عام(1948م)أسس مجلة الشرق،واختير عام(1949م) عميدا لكلية الآداب بجامعة فرانكفورت، حيث درس العديد من المستشرقين الالمان. انكب على دراسة الشاعر الصوفي فريد الدين العطار، ونشر في عام(1949م)كما نشر كتاب "اسرار البلاغة" لعبد القاهر البغدادي عام(1954م) الذي نقله فيما بعد للغة الألمانية، ومن ضمن دراساته "البيروني" في مجلة الشرق1956م)، كما حقق ونشر في عام(1959م) كتاب"مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب "وفي عام(1960م) القي محاضرة في قونيا عن

---

[2] اينولتمان (1875م-1958م) أستاذ اللغات الشرقية في جامعة توبنغن ،عمل في التدريس في الجامعة المصرية بعد أنشائها ،وفي ألمانيا ،والولايات المتحدة ،كما شارك في بعثات التنقيب الى سوريا ،والحبشة ،وفلسطين،كما شارك في عدة مؤتمرات للاستشراق ،تزيد أعماله عن 505 بين مصنف ،ومحقق،وفهارس تصب في أغلبها في العلاقة بين الشرق والغرب. ينظر :العقيقي المستشرقون،ج2، ص 438.

"جلال الدين الرومي" ماجعله يكتب عنه مقالا مطولا في "مجلة الشرق"(المجلد 15 لعام1962م) كما شارك في العام ذاته في ندوة عن الفيلسوف "الكندي" حينما دعي الى بغداد للمشاركة في هذا الحدث العلمي.

حينما بلغ سن التقاعد عاد الى إسطنبول ليعمل على فهرسة المخطوطات في مكتباتها، ،كما عاد للتدريس في جامعاتها ، كما كانت له دراسة حول وهل للأرثوذكسية يد في الانحطاط في مجلة الاسلام1963م[1]ثم انتقل في أواخر الستينات الى لبنان في "معهد الأبحاث الشرقية" عاكفا على دراسة لهجة طور عبدين التي يتكلمها اليعاقبة السريان باسم "لهجة طوريو التي توشك على الانقراض" وهى من منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت على أعوام متلاحقة(1967م-1969م-1971م) الذي خصص له مؤلف ضخم من ثلاث أجزاء، وفي(1969م)عاد الى المانيا حيث ساءت حالته الصحية، وتوفي بها عام(1971م) .فهو لا يقل عن نولدكه[2] وبروكلمان[3] شأنا ،لانه يمتاز بتنوع نشاطاته وسعه علمه، وتطرقه الى موضوعات اسلامية عديدة ، تتسم في أغلبها بالغزارة والتنوع، كما أنها توثق الصلة بين ميادين الاستشراق بعضها ببعض .

اهتمام هلموت ريتر بالدراسات الإسلامية :

يعد المستشرق هلموت ريتر من أهم المتخصصين في دراسة الفكر الإسلامي عدة دراسات وابحاث في هذا الجانب وقد نشر كتاب هاما في تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية"مقالات الإسلاميين وأختلاف المصلين"لابي حسن الاشعري في جزئين كبيرين بين عامي (1920م-1930م) نشرته المكتبة الإسلامية ، كما نشر كتاب"فرق الشيعة"للحسن بن موسى النوبختي(1931م) كما ركز ابحاثه ودراساته حول التصوف ونشركتاب "بحر النفوس " يدور حول القضايا الفكرية التي شغلت الكثيرين منذ الازل وهي الله ،العالم ،الانسان في قصص فريد الدين العطار كما تناول بالدراسة الرومي والسهروردين الاربعة وابي يزيد البسطامي، كما نشر أجزاء "الوافي بالوفيات "للصفدي وهو من أهم كتب التراجم يضم أربع عشرة ألف ترجمة، وهذا مايبدو جليا واضحا

---

[1] ينظر: العقيقي ،المستشرقون،ج2،ص460،ص 461،ص462 .

[2] نولدكه : مستشرق الماني عاش بين (1836م-1930م) كان على أطلاع واسع بالآداب اليونانية،عمل أستاذا للغات الشرقية في جامعة كيل ،ربطته صلات عميقة بكثير من المستشرقينين، ينظر:بدوي ،موسوعة المستشرقين ،ص595 ومابعدها .

[3] بروكلمان (1868م-1959م) مستشرق الماني تتلمذ على يد نولدكه الشرقيات،وعند هوبشمن اللغة السنسكريتية ،والارمنية،استلم كرسي الدراسات الشرقية في برلين،(1921م)تقاعد عام(1935م) وواصل إتمام كتابة مؤلفه تاريخ الادب العربي ينظر:بدوي، موسوعة المستشرقين ،ص98،ص101،ص102.

من خلال تتبع أعماله التي بلغت ستة وعشرين مؤلف، وأبحاثه تعد بالعشرات، ومساهماته في كتابة الموسوعات كالموسوعة الإسلامية ،ومجلةالإسلام، ومجلة الدراسات العربية، ومجلة الدراسات الشرقية، ومجلة جمعية المستشرقين الالمان، وتدريسه في كبرى الجامعات ونشاطه موزع حول اغلب ميادين الفكر الإسلامي اللغة ،والنحو،اللهجات الآرامية،تاريخ الادب،وتاريخ العلوم،والمخطوطات، والفلسفة،والدين،والتصوف،والشعر ،والعادات الشعبية،(خيال الظل)عند الاتراك،الموسيقى.

إذًا ما هو مفهوم التاريخانية ؟ وما هو سياقها التاريخي والمعرفي؟ وما أثرها على الاستشراق الألماني؟ ومَن هم أهم روادها؟ وما هي أهم الانتقادات المُوجَّهة إلى هذه التاريخانيَّة ؟

التاريخانية : نظرية تعتبر ان التغيير الاجتماعي أو التطور التاريخي يخضع لقوانين التعاقب غير المشروطة التي تعطي التاريج وجهة أو اتجاها،وبمعنى أدق فالتاريخانية تتفق مع بعض النظريات التي تهدف لاخضاع التغيير الاجتماعي أما الى قوانين تطورية،واما الى قوانين دورية،وعلى وفق ذلك فأن القيم الثقافية تتغيير تبعا لمفهوم الحقبة الطويلة من الجمود ،المتبوعة بحقبة قصيرة من الازمة.[1] عرفت أوروبا هذا المنهج،بعد ظهور عدة مدارس مختصة بدراسة التاريخ كمدرسة الحوليات الفرنسية ،التي صدرت عنها مجلة الحوليات الفرنسية التي أسسها كل من بلوخ ،وفافر عام(1944م)في فرنسا كان الهدف من أنشائها تجديد حقل التاريخ،وأثراء منهجه،بعد ان تم حصره بتأثير الفلسفة الوضعية [2]في حقول السياسة ،والدبلوماسية ،والعسكرية .واعتبار التاريخ مجرد وثائق لابد من جمعها واستخدامها ،ونقدها.فالتاريخ وفق هذه النظرة هومجرد وقائع في الماضي.[3]فتختفي بصمة المؤرخ،الى جانب ضياع بصمته اللغوية ،فيصبح مجرد ناقل للاحداث التاريخية،وبقائة حبيس الأرشيف،وسقوطه في بؤر الشيفونية رغم أصراره على الموضوعية والحياد[4] وهذا ماجعل نشاط التاريخانيون يزداد ويتعاظم محاولة منهم لإصلاح

---

[1] بوريكو،بودونوف،المعجم النقدي لعام الاجتماع ،ترجمة سليم حداد ،ص2،ديوان المطبوعات الجامعية ،بيروت ،2007م،ص131.

[2] الوضعية :مذهب أسسه الفرنسي أوجست كونت(1798م-1857م) تؤمن بأن المعرفة الحقيقية كلها مؤسسة على الخبرة الحسية،ولايمكن ان تتقدمالا بوساطة الملاحظة والتجربة،فكل المحاولات التأملية والميتافيزيقية لاكتساب المعرفة عن طريق العقل غير المحدود بالخبرة،لابد ان يتخلى عنها لمناهج العلوم الخاصة.ينظر:الموسوعة الفلسفية المختصرة ،ص430.

[3] ينظر/كوثراني،الذاكرة والتاريخ ،ص163.

[4] ينظر:التيمومي ،مفهوم التاريخ ،ص 53ومابعدها .

مسارات التاريخ .فذاع وانتشر استخدام المنهج المنهج التاريخاني في أوروبا ثم في المانيا بشكل واسع، وشكل حيزا كبيرا في الدراسات فيها،و يمتاز بدراسة الظاهرة وتفتيتها الى أدق تفاصيلها.

ويهدف فالتاريخانيون الى دراسة التاريخ دون القيود الدينية ،والقومية ،العنصرية ،والعاطفية التي تعيق المؤرخ من اصدار الحكم الصحيح حول الواقعة التاريخية . أماأول من أستخدم مصطلح التاريخانية إبتدعه (كارل فرنر(1896 – 1846 عام18799م)خلال توصيفه لفلسفة (فيكو) للتاريخ وتصوارته.و أن العقل البشري يدرك كل ما يصنعه الإنسان وكل ماهو مرئي لاسيما أن التداخل المعرفي و التاريخي ربط التاريخانية بمعطيات أيديولوجية متباينة ومتنوعة،في الاتجاهات والميول الفكرية .مع إن هناك محددات ذهنية أطرت التمايزات المعرفية بشكل يفوق تطلعها نحو التجديد الواقعي.[1]

فالتاريخانية مفهوم تبلور بشكل كبير في الفلسفة الغربية الحديثة نهاية القرن التاسع عشر قرن التوسعات العلمية والحياتية والجمالية ، تقر أن كل شيء يقع في التاريخ بما في ذلك الحقيقة ، وكان أشد إستخداماتها في المجالين السياسي والإيديولوجي ، لذا عدت التاريخانية إحدى المقولات التي إرتبطت بالتقدم وصفا للحضارة المادية فتتأكد دلالتها المادية لأنها على ارتباط بالخصائص المادية للحضارة الحديثة، فتأتي مرادفة لمعنى الواقعية ، التي تقابل الميثولوجي والمثالي الذي يصعب التحقق من صحته (إن التاريخانية عند المؤرخين المحترفين هي تلك الخاصية التي يتميز بها كل ما هو تاريخي ، أي ما ليس خيالي أو وهما، والذي هو متحقق منه بمساعدة أدوات النقد التاريخي.[2] .

والتاريخانية كمنهجية ذات رؤية وأفق مستقبلي تقوم عليها الحركة التاريخية ، لأنها تقوم على الحتمية التاريخية التي تسير الأحداث البشرية والتي لها بعد إيماني بالرغم من علميتها ، فهي نظرية تقر بوجود مسار للتاريخ إيماني أم إلحادي تقدمي أم رجعي، وهي بذلك لاتعد رؤية جديدة للمسار التاريخي .

فالتاريخانية تؤمن بتصوراتها اتجاه التاريخ والمستقبل ، وكما أشار(بوبر) جنوح التاريخانية بالخلط ما بين العلم واللاعلم ،لأن (بوبر) ينكر على التاريخانية إمكانيتها في تبني الموقف العلمي ، وقد وصف التاريخانية بوصولها نتائج ضارة وخطيرة على العلم فصنف الفكر التاريخاني بشكل أتاح له الكشف عن الطبيعة الكمية للتاريخانية ونبذ ادعاءاتها في تبني العلم وما تفضيو على الموضوعية العلمية ، لأن سمة العلم جزئية وليست كمية.

---

[1] العروي . عبدالله ، مصدر سابق ، ص 34.

[2] محمد أركون ، مصدر سابق ، ص 9 .

المنهج التاريخاني عند المستشرقين الألمان:

من أثر استخدام المنهج التاريخاني لاستشراق الألمان التركيز الكبير على دراسة التراث الإسلامي دون أغفال أدق التفاصيل ،ويهدف اتباعه الى التخلص من كافة القيود الذي تكبل الباحث سواء كانت هذه القيود (دينية،وقومية،وعرقية،وعاطفية) التي تعيق المؤرخ في اصدار أحكامه حول الواقعة التاريخية، فهى رغم ذلك رؤية مادية جامدة،فهى تصطدم في كثير من الأحيان بالدين وخاصة الوحي.[1] فعارضه المستشرق (نرتز شبات) يرى ان المذهب كلاسيكي،وبسبب صموده وثباته جعل كل من جاؤوا بعده يرون ان المنهج التاريخاني وصل الى درجة عالية من الجمود ،وذلك بسبب تعامله مع الظواهر المادية بمادية مفرطة ،واقصائه للاعتبارات الروحية والمعنوية من حساباته ،تغرق الحدث الديني في حيز التاريخ – الاخبار الاعتيادية فتفرض عليه زمانا غير زمانه ومحيطا غير محيطه ولايمكن ان نحشر ضمن التاريخ الاعتيادي خوارق الحلول والرؤيا... التي تحررنا وتنقذنا في الواقع من قبضة الزمان ومن سجن التاريخ "[2] كما ذهب أخرون الى انه: "لابد من البحث حول الابعاد الروحية قبل البحث عن القضايا والمسائل التاريخية " [3]

هذا ومن المعروف ان انصار المذهب التاريخاني في أوروبا عارضوا المناهج الانتقائية ،وأحدثوا ثورة ضد توجهات كثير من الفلاسفة الذين كتبوا في التاريخ بسبب انتقائتهم ولعل ابرز هؤلاء الفلاسفة فولتير[4] وذلك بسبب إصداره حكما مسبقا كمفكر ومصلح بهدم نظام أو استبداله بنظام اخر،لانهم وجدوا ان من يقول بلاأخلاقية هذا النظام أو ذاك يقول ضمنا ويتبع ضرورة مبدأ "ان التاريخ متقطع وممزق، اذ يؤمن انه يستطيع محوه بجرة قلم وبأغلبية صوت، ومضمون الله ،قيمتها في ذاتها عبارة رانكه[5] " كل حقبة من التاريخ هي في جوار الله ،قيمتها في ذاتها وليس في ماترتب عنها " وذلك في معرض تحذيره من تحميل الحادثة التاريخية أكثر مما تحتمل . يقول

---

[1] محمد سعدون المطوري ،تاريخ الاستشراق الألماني،ص216،ص217.

[2] ينظر:العروي ،مفهوم التاريخ ،ج2 ،ص 383.

[3] نادر بورنقشبند ، المنهج الاستشراقي في دراسات السيرة النبوية

[4] فرنسوا أماري فولتير(1694-1778م) فيلسوف وشاعر فرنسي له عدة مؤلفات منها :بروتوس 1730م،الرسائل الفلسفية ،ينظر: جورج طرابيشي معجم الفلاسفة ،ص471- ص472.

[5] رانكه :لويبولد فون رانكه مؤرخ الماني عاش بين (1795م- 1886م) كان من تأثيره تجريد التاريخ من التصورات المثالية والتخيلية للماضي ،والبحث عن الحقيقة كيفما كانت. ينظر: المنجد ،المستشرقون الالمان،ج1،ص167

:" لانعرف كيف كان الماضي بالفعل حتى نحكم اذا كان المؤرخ قد وفق الى تصويره تصويرا دقيقا "[1]

ان تقييد المنهج التاريخاني المفرط بالجانب المنهجي أدى به الى رفض العديد من الكتابات التاريخيةفهى بنظره سطحية تركز على المفاهيم ،وتقع في اطار فلسفات توصفها توضفها لأغراض الدعاية لوقائع الماضي ،لذلك ذهب انصار التاريخانية ان هذه الكتابات منافية للفكر التاريخي بالمتقيد بادراك خصوصية كل حقبة ،يقول رانكه وهو أحد اقطاب المذهب التاريخاني :"ان عملي يرمي فقط الى وصف حوادث الماضي كما حدثت فعلا "[2]

وفي منتصف القرن العشرين الميلادي تعرضت التاريخانية لنقد حاد من قبل كارل بوبر[3]بسبب محاولات التاريخانيين تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على علم الاجتماع لمعرفة مستقبل المجتمعات البشرية ورصد الثورات الاجتماعية قبل حدوثها . وبحسب بوبر فان التنبؤ في الحوادث الاجتماعية لايمكن ان تجتمع أدواته لدى علم الاجتماع مثلما يحصل مع العلوم الطبيعية الأخرى كعلم الحياة، وعلم النفس ،ويؤكد بوبر ان العلوم الاجتماعية إزاء تفاعل شامل معقد ،ومن المحتمل ان يكون لوعينا بوجود الاتجاهات التي تسبب في المستقبل حادثا معينا ،وادراكنا ان التنبؤ قد يؤثر هو نفسه في الحوادث المتنبأ بها ،فقد يكون من شأن هذه الاثار ان تخل بموضوعية التنبؤات وغيرها من نتائج البحث في العلوم الاجتماعية .[4]

وبوبر لاينكر إمكانية تحديد الاتجاهات والميول الاجتماعية الا انه الا انه ليس بالإمكان وضع قوانين لها ،كما في العلوم الطبيعية ،فلا وجود لقوانين التطور ،ومع ذلك اعتبر أصحاب المذهب التاريخاني ان قوانين التعاقب تعين سلسلة الحوادث التاريخية من حيث حدوثها

---

[1] المنجد ، المستشرقون الالمان ،ج1،ص176

[2] العروي ، مفهوم التاريخ ،ج2، ص345

[3] كارل بوبر: ولد عام (1902م) في فيينا ،عمل محاضرا أولا في الفلسفة في جامعة نيوزيلندا من عام (1937م-1945م)ثم أستاذا للمنطق ومناهج العلوم بمدرسة لندن لعلم الاقتصاد ،من مؤلفاته منطق الاستكشاف صدر عام 1934م انتقذ فيه نظرة بيكون للمنهج العلمي الذي يسميه بالاستقرائية الكاذبة ،وله أيضا كتاب المجمع المفتوح وأعداؤه عام(1944م) ونقد صارم للفلسفات الاجتماعية (افلاطون ،هيغل ، ماركس) التي تقلل من جهد الفرد الإنساني وتشارك في الايمان بالقوانين الحتمية للتطور التاريخي . ينظر:الموسوعة الفلسفية المختصرة ،ص132-133.

[4] كارل بوبر ،عقم المذهب التاريخي ،دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية ،ترجمة :عبد الحميد صبره ،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،1959م،ص25

في الواقع في محاولة تستعين على اكتشاف قانون التقدم بدراسة الوقائع التاريخية العامة وتحليلها واذا ما أكتشفنا هذا القانون أصبح بأستطاعتنا التنبؤ بالحوادث المستقبلية [1] لدا أعتبرت الحتمية[2]التاريخية والتي ادعت التاريخانية إمكانية التوصل اليها "لان سلوك الانسان لايفسر ولايمكن رده الى مبادئ عامة أو قوانين تحكمه ،وكل حدث فريد من نوعه ،والمؤرخ قادر على فهم كثير من نوايا انسان اخر في الماضي ،رغم انه يقرأ تلك النوايا النوايا في الحاضر الذي يعيشه ،وليس هناك تاريخ يمكن ان يقول انه كامل ونهائي لان في كل عصر يطرح المؤرخون أسئلة جديدة على نفس الماضي.[3]

اثر المنهج التاريخاني على هلموت ريتر :

والذي يهمنا في هذا البحث كيف تم توظيف المنهج التاريخاني في الدراسات الاستشرافية الألمانية وتحديدا عند هلموت ريتر ،وكيف تم توظيفه في دراسة القران الكريم ، والسنة الشريفة الموضوعات التاريخية المتصلة بالفكر الإسلامي،ومذاهبه الكلامية ،وكل مايتصل بالتاريخ الإسلامي. ومن المعروف ان المستشرقون الالمان أهتموا بكل ما يتعلق بالدراسات الإسلامية ،والفكر ،والادب ،والعلوم، والمخطوطات ،وتوزعت جهودهم وفق هذه الموضوعات ،التي اشبعوها راسة وبحثا ونقدا ،حتى لنجد ان بعضهم أفنى عمره في التركيز والاهتمام بهذة القضايا والموضوعات ،ولعل هذه من السمات البارزة في الاستشراق الألماني ،مما يجعله استشراقا ذا طابع موسوعي شديد التنوع وهذة سمة غالبة على كل المستشرقين الالمان .

1_ المنهج التاريخاني يمكن رصده من خلال دراساته عن الشرق والإسلام بكل جزئياته، اذ لم يغفل أدق التفاصيل، فدرس الاثار الإسلامية الهام منها والاقل الاهمية، وحتى ما أتصل بالمسرح"خيال الظل الى جانب المقالات والرسائل والبحوث الرصينة حول الفلسفة

---

[1] كارل بوبر ،عقم المذهب التاريخي ، ص146.

[2] الحتمية :تؤمن بأن كل حادثة أيا ما كانت ليست الا حالة جزئية من حالات ينطبق عليها أحد قوانين الطبيعة ، ويعود هذا الافتراض الى أساس العلوم الطبيعية، فالعلم يفترض الحتمية .ويعود للفيلسوف هيوم الفضل في صياغة هذا المبدأ ينظر:الموسوعة الفلسفية المختصرة ،ص 181، ص182.

[3] التمومي ،مفهوم التاريخ ،ص61.

،والتصوف،واللغة ،مساهما بذلك في القاء الضوء على تاريخ هذا الجانب الفكري للاسلام، وعمل بذلك على تسهيل نقلها من الشرق وصولا الى الغرب.[1]

2- من خلال التزامه بالمنهج التاريخاني الذي يفرض على الباحث الإحاطة بكل ما يتصل بموضوع بحثه من تفاصيل وجزئيات لكي يصل في نهاية المطاف الى نتائج دقيقة .

3- وفق ذلك على الحقيقة المطلقة كحركة وضرورة ،فالمؤرخ وفق هذا المنهج عندما يصف حدثا ما، او يريد ان يعطيه قيمة يلزمه حتما ان لا يعيره ذات الأهمية مسبقا ،وانما يفترض ان قيمته يظهر تدريجيا وشيئا فشيئا ،وعملا بعد عمل، وحكما بعد حكم،وكل حكم في التاريخ قابل للاستئناف للسبب نفسه. [2]

4- اننا وفق هذا المنهج ان يطرح المستشرق عدة تساؤلات على الوثيقة التاريخية ونستنتج منها حقائق مختلفة عن الحقائق التي توصل اليها مؤرخين سابقون ،وهذا في نظرهم لايعد اخفاقا ،بل ربما هذا مرده الى ان الأسئلة التي طرحها المؤرخون الاخرون لم تع حقيقة هذا الدليل التاريخي وظروفه المحيطه .وهذا مايميز المستشرقون الالمان الذين أشبعوا الموضوعات دراسة ،وعكفوا على دراستها سنوات طويلة.

5-فالتاريخانية لاتعرف الفتور في مجال البحث عن الحقائق التاريخية، وعلى الرغم من الانتقادات التي تعرضت لها والرفض الذى لاقته الا أنها مع ذلك قدمت الكثير من الدعم لمناهج البحث التاريخي، وغيرت مسارات البحث والنتائج والاحكام .

خاتمة

نصل في ختام هذا البحث الى نتائج استخدام المنهج التاريخاني في الاستشراق الألماني إلي :-

-ان الاستشراق الألماني من اكتر المدارس الاستشراقية إنصافاً ، ودلك للنزاهة التي يتمتع بها الكتير من المستشرقين في نظرته للتراث الإسلامي.

-لعل من ابرز جهوده التي تصب في خدمة التراث الإسلامي غزارة مؤلفاته وتنوع موضوعاتها ،وتشعب قضاياها دون الاخلال بوحدة وتماسك هذا التراث.

---

[1] المنجد ،المستشرقون الالمان،ج1، ص 121.

[2] العروي :العرب والفكر التاريخي ، ص93.

- أسهامه في انتاج الدوريات، والموسوعات، والمؤتمرات العلمية، والجمعيات الشرقية، التي كرست جهدها لدراسة التراث العربي الإسلامي.

-استطاع اظهار الفكر الإسلامي بصورة مشرفة، وذلك من خلال تكريسه سنوات طويلة من عمره باحثا ومنقبا في شتى ميادين الفكر الإسلامي، من لغة، وفلسفة، وتصوف، وشعر، ومسرح، وقصص خيالي، محاولا رصد معالم هدا الفكر من خلال الشخصيات التي تناولها من دراسة وبحث .

-لم يتبث عنه أي موقف عدائي، او تعصب، او تشكيك في هدا التراث، بل عمل على تحقيقه واخراجه بكل موضوعية .

-كانت اعماله ردا على كل المشككين الذين حاولوا الانقاص من اصالة الفكر الإسلامي .

- تصب جهوده في باب التعريف بالفكر الإسلامي للغرب عن طريق منهج علمي متماسك يهدف للبحث عن الحقيقة.

-يعد التراث الذي خلفه من أغنى وأبرز ما خلفه عالم،فقد شملت أعماله التراث العربي ،التركي،والفارسي،الكردي،والآرامي.

-أسهم اسهاماً كبيرا في نقل التراث الإسلامي الى الغرب في أبهى صوره.

-كان باحثا عن الحقيقة ،لاتشغله تقلبات السياسة، ولم يؤثر فيه ماحدث في المانيا أثر وصول النازية للحكم،بل ظل وفيا للعلم والمعرفة.

المراجع والمصادر:

- بدوي، عبد الرحمن :**موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين بيروت، ط3، 1993م.
- عبدالرحمن، طه :**الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري**، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005م.
- عبدالسلام، احمد حسن:**تاريخ الإستشراق الألماني**، ضمن مجلة الفكر العربي، ع31. السنة 5، 1983م.
- العروي،عبدالله: **العرب والفكر التاريخي**، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006م.
- العقيقي، نجيب: المستشرقون **موسوعة في تراث العرب** مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام وحتى اليوم، ط 5، (دار المعارف، القاهرة، 2006م.

- العطية، جليل:**منهج المستشرقين في كتابة التاريخ**، مجلة المعهد، العدد 1، السنة 1، معهد الدراسات العربية والإسلامية، لندن، 1999م.
- الديب ،عبد العظيم :**المنهج عند المستشرقين**، ضمن حوليات كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ع7، الدوحة،1409هـ.
- فوزي، فاروق عمر: **الاستشراق والتاريخ الإسلامي القرون الإسلامية الأولى** دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوربية، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998م.
- مقبول، إدريس :**الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم في رؤية إسلامية**، ورقة قدمت للندوة الدولية التي نظمها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف تحت شعار القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية بالمدينة المنورة، 2006م.
- المنجد، صلاح الدين: **المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية**، ط1،(دار الكتاب الجديد، بيروت، 1978م)، ج1.
- نادر، البير نصري: **اهتمام المستشرقين بالفكر العربي الإسلامي القديم**، سلسلة كتب الثقافة المقارنة، (الاستشراق)، العدد1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987م.
- النعيم ،عبد الله محمد الأمين: **الاستشراق في السيرة النبوية**، سلسلة الرسائل الجامعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1997م.
- النملة، علي بن إبراهيم: **مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين**: استقراء للمواقف، مكتبة الملك فهد، الرياض 1993م.

Denise entre deux choix la réforme ou l'amour, dans le roman de *Au Bonheur des Dames* de Émile Zola.

ايمن ادم حسن سعد النور - أستاذ محاضر - دكتوراه في الادب الفرنسي - جامعة المرقب - كلية اللغات

Ayman Adam Hassan Saad-elnour - University of Al-mergib – faculty of languages

Aymanadam1978504@gmail.com

Denise entre deux choix la réforme ou l'amour, dans le roman de *Au Bonheur des Dames* **de Émile Zola.**

- Résumé :

Dans cette recherche, **Denise** entre deux choix la réforme ou l'amour, dans le roman de *Au Bonheur des Dames* de Émile Zola, l'auteur explique le rôle de **Denise** dans le roman d'un point de vue analytique, qui vise à donner une réponse à cette question, est-ce que **Denise** choisit la réforme ou "l'amour". Il est certain que pour aboutir à la réponse exacte, on devra aussi expliquer et analyser les liens entre **Denise** et les autres personnages, surtout le personnage de Mouret étant donné qu'il est un protagoniste principal. D'autre part, on montre aussi les défis sociaux, sentimentaux, économiques et moraux qu'affronte **Denise** afin de recevoir sa formation dans le magasin de Bonheur des Dames et dans son entourage. De même, on y ajoute les défis du travail et aussi le défi amoureux présenté par Mouret. Donc pour mener cette étude à sa finalité, on se base essentiellement sur le roman de *Au Bonheur des Dames* et sur d'autres références disponibles. Les mots clés sont : la réforme, l'économie, le commerce, les magasins de nouveauté, les petits magasins, les clientes, les vendeuses, les femmes, l'amour, la vente et le travail.

- Abstract :

In this research, **Denise** confronted between reform as a better one or love in the Émile Zola novel's *Au Bonheur des Dames*, we attempt to explain the role of **Denise** in the story from an analytical point of view, which aims to give an answer to this

question : does **Denise** choose reform or love ? No doubt to attain the the appropriate answer, and we will also have to interpret and analyze the relations between **Denise** and the other characters, especially Mouret as the main character who plays the role of central character or the protagonist . On the other hand, we also show some social, sentimental, economic and moral challenges which faced **Denise** in order to receive her acting training in the " Bonheur des Dames " store and in her entourage. Likewise, we add to them other useful challenges of work and the love challenges presented by Mouret in order to carry out this study to its accurate objective. We primarily depend on novel of " *Au Bonheur des Dames* " and on the some other available references. The key words are : reform, economy, commerce, novelty stores, small stores, customers, saleswomen, women, love, sales and work.

- introduction :

Dans cette étude littéraire, on exposera le personnage de **Denise** à une analyse profonde dans le but de définir ses rôles, ses réactions, ses actes et son attitude dans le monde du grand magasin "Au Bonheur des Dames", ainsi que dans l'espace géographique et commercial qui entoure ce dernier. Nous mettons l'accent sur ce personnage puisqu'il est un personnage central qui tire les ficelles dans le théâtre de grand magasin et aussi dans son entourage. De même l'étude des autres personnages ne peut être réalisable qu'à travers **Denise** ; c'est pourquoi elle reste pour nous l'objet principal d'étude. En la soumettant à une analyse, on pourra répondre à la problématique ou à la question suivante : **Denise** choisit-elle la réforme ou l'amour?

Donc pour y répondre on devra présenter l'attitude et les réactions de **Denise** vis-à-vis de Mouret, du bonheur des dames, des grands et des petits magasins et d'autres personnages. Pour arriver à notre objectif, on étudiera le personnages de

Denise dans le roman d'Émile Zola, *Au Bonheur des Dames*. Sans doute en l'étudiant on étudie aussi les autres personnages et les autres thèmes qui ont un lien avec notre sujet.

La recherche :

Tout d'abord, on remarque que Zola a attribué l'héroïsme absolue dans *Au Bonheur des Dames*, à une jeune fille à peine descendue du train qui l'avait transportée avec ses deux frères à Paris. Son comportement était celui d'une jeune fille qui n'est pas adaptée à la vie de la gigantesque ville, Paris. On sentait qu'elle entrait dans une bataille perdue, surtout cette bataille déclenchée récemment par la nouvelle mode du commerce "la nouveauté". Cependant, l'entrée de **Denise** dans son nouvel espace est incomparable avec celle d'autres héros zoliens, surtout avec celle d'Étienne Lantier lorsqu'il arrivait au pays noir des mineurs. Le destin de **Denise** est évidemment diffèrent d'autres protagonistes zoliens. La différence de ce destin est remarquable dans toutes les étapes de formation et d'intégration auxquelles **Denise** devait faire face. Ces étapes sont liées aux espaces, aux temps, aux personnages, aux sentiments et à la moralité humaine affrontée à une bataille féroce. Donc, la personnalité de **Denise** devait passer par certaines épreuves nécessaires. Sans doute l'explication de celles-ci nous aide à répondre à la question visée dans cette étude qui est qu'est-ce que **Denise** choisit-elle à la fin la réforme ou l'amour ?

Pour répondre à cette question, on mettra l'accent sur les périodes ou les stades de formation que **Denise** a vécus à Paris, alors ces périodes seront éclaircies de la façon suivante :

- **L'arrivée de Denise à Paris.**
- **La rencontre de Denise avec son oncle Baudu.**
- **Le travail de Denise au Bonheur des Dames.**
- **Le renvoi de Denise de Au Bonheur des Dames.**
- **Le travail de Denise chez Bourras.**

- **Le retour de Denise au Bonheur des Dames.**
- **L'amour de Mouret pour Denise :**

Sans doute ces périodes seront expliquées avec l'intégration de **Denise** dans le milieu social du monde de commerce avec ces deux types : l'ancien commerce et le nouveau commerce "la nouveauté". Un monde dans lequel **Denise** étudie de plus près les employés, les patrons, les clientes et la haute classe sociale de Paris, qui fait du grand magasin de Mouret un objet de ses discussions.

- **L'arrivée de Denise à Paris :** Dès son arrivée à Paris, **Denise** s'informe immédiatement sur la nouvelle situation commerciale qui occupe toute la ville. Et la vue du grand magasin l'attire aussi que ses deux frères :

« ***Mais le magasin qu'ils regardaient était bien différent ! Les vitrines longeaient deux rues. Elles exposaient des tissus de toutes sortes, des velours, des satins, des soies, mais aussi des dentelles, des fourrures et des vêtements de confection. Tout cela se reflétait dans les glaces encadrées de dorures. Une enseigne les surmontait :*** «***Au Bonheur des Dames***».[1] »

Le fait de ne pas voir que le grand magasin "Au Bonheur des Dames" laisse des influences considérables sur toute personne venant à Paris, et surtout sur **Denise** qui serait envoyé dans une comparaison entre lui et celui dans lequel elle travaillait à Valognes. Dès la première fois, le grand magasin occupe l'espace comme un Dieu adoré de tout le monde qui l'entoure, il se montre comme le seul qui contrôle son entourage et tout le lieu. En effet, ce dernier occupe en général une partie très importante dans la narration zolienne :

« ***Le lieu apparaît comme l'élément fondateur de la fiction, son déclencheur, sa matrice, le personnage étant chargé d'en assurer la représentation. Il n'est donc pas un actant qui déterminerait le personnage ou***

[1] - Émile Zola, ***Au Bonheur des Dames***, Hachette, 1993, Paris, p 9.

influerait sur lui – du moins n'est-ce pas là sa vocation première –, mais il est ce qui sécrète le récit, fait naître l'histoire et ceux qui la jouent[2].»

Par ailleurs, le recours de Zola à placer des Dieux dans ses œuvres est une pratique connue dans son art romanesque ; ces Dieux servent à décrire et à parler de la force capitaliste qui existe. Cela on l'a vu dans *Germinal* lors de l'arrivée de Étienne aux mines de la grande Compagnie industrielle ; la vue de ces Dieux est symbolique et lance des défis aux héros dès la première rencontre avec eux.

- **La rencontre de Denise avec son oncle Baudu :** romanesquement Zola insiste de nous dresser dans ses œuvres, des rencontres initiales entre ses protagonistes. Ces rencontres servent à s'informer bien sur l'espace où se produisent les actions de l'histoires, donc le héros joue le rôle du protagoniste principal qui devra rencontrer et parler avec l'un des personnages les plus affectés par la crise produite à la suite de l'expansion d'un projet capitaliste. Par exemple dans *Germinal*, le vieux Bonnemort a paru rarement dans la construction romanesque du roman, ou bien il a paru pour faire deux actes principaux : dans le premier acte il sert habilement à montrer à Étienne la nature et l'histoire du Dieu capitaliste qui exploite les mineurs depuis des siècles, et dans le deuxième acte il a paru dans une scène sanglante en étranglant Cécile Grégoire, la fille des actionnaires de la compagnie propriétaire de la mine. En fait, dans *Au Bonheur des Dames*, le lecteur sera transmis d'un dialogue non verbal à un dialogue verbal très vif et émouvant entre **Denise** et son oncle. Il semble que la rencontre silencieuse de la jeune fille avec le grand magasin n'est qu'un choc léger pour la préparer à une série de chocs sociaux, familiaux, économiques et sentimentaux. Cela est traduit par cette rencontre froide et désespérée avec son oncle Baudu, elle attendait qu'il la reçoit chaleureusement avec ces deux frères, mais il est évident que la souffrance de l'oncle d'une crise commerciale l'interdit de lui offrir l'attendu :

[2] - ZOLA : TERRITOIRES DU ROMAN, Éléonore Reverzy, Le Seuil « Poétique », 2014/2 n° 176 pages 179 à 192 ISSN 1245-1274 ISBN 9782021153835. https://www.cairn.info/revue-poetique-2014-2-page-179.htm.

«- ***Voyons, dit Baudu. Parlons affaires. Je t'ai écrit. C'est vrai. Mais, ma pauvre fille, c'était il y a un an. Maintenant, le commerce va mal. Je ne peux pas te prendre comme je te le offrais l'un passé*** [3]»

Il semble que l'oncle ne refuse pas de recevoir **Denise** à cause de sa souffrance commerciale, mais à cause de la préparer à penser à aller chercher un travail dans le magasin adversaire, Au Bonheur des Dames. Cette idée d'aller plus loin est inspirée aussi inconsciemment à **Denise**, surtout après plusieurs inquiétudes qu'elle ressent résidée dans la famille triste de son oncle, Baudu. La crise se transforme d'une crise financière en une crise familiale et sentimentale ; la femme de son oncle et sa fille Geneviève ne supportent plus cette situation lamentable. En effet, la crise commerciale des Baudu donne naissance à la crise amoureuse de leur fille, qui souffre silencieusement de l'approchement de la fin d'une histoire passionnée qu'elle vit avec Colomban. Celui-ci travaille dans le petit magasin de son père. De sa part, Colomban ne choisit que de s'évader pour joindre l'autre côté gagnant, le magasin de Au Bonheur des Dames dont l'une de ses vendeuse, Clara le détourne de son projet amoureux avec Geneviève.

Le mariage de ce dernier avec Clara n'est qu'une annonce de la défaite des anciens magasins dont la perte signifie la victoire du grand magasin, Au Bonheur des Dames. Cette défaite est symbolisée par la mort de Geneviève dont le jour d'enterrement annonce la fin des petits commerçants :

« ***On l'enterra par un temps noir. Le vieux quartier suait d'humidité, sentait l'odeur moisie de cave. Tout le petit commerce était venu. Par sympathie pour les Baudu***[4]»

D'ailleurs, la décision de Colomban de suivre Clara montre que la logique dit qu'on devrait aller avec le courant et de ne pas le contrarier. Clara faisait donc une partie

[3] - Émile Zola, ***Au Bonheur des Dames***, Hachette, 1993, Paris, p 11.

[4] - Ibid. P 83.

de ce courant vainqueur qui est le commerce de nouveautés, alors le calcul logique soutient celui qui a la force ou bien le grand capital. Donc, il n'est pas convenable de parler de la fidélité ou de son contraire, et les mœurs et la noblesse chevaleresque ne sont que dans la mentalité d'anciens commerçants comme Baudu, qui espère encore que les traditions commerciales vivent jusqu'à ses jours :

« ***Baudu en demeura anéanti. Il avait élevé Colomban comme son fils, et celui le quittait. La boutique de ses ancêtres ne lui appartenait plus*** [5]»

- **Le travail de Denise au Bonheur des Dames :** le travail de **Denise** dans le grand magasin, Au Bonheur des Dames s'inscrit dans le deuxième stade de sa formation. Ce stade est plus important que les autres stades puisqu'il contient plusieurs types de formation, tel que la formation **au travail**, la formation **sociale**, la formation **sentimentale** et la formation **morale**. Et, remarquons que ces types de formation contribuent finalement à créer et à dessiner le personnage de **Denise**, qui pourrait dépasser toutes les difficultés par habilité. En ce qui concerne la formation **au travail**, **Denise** a eu déjà une expérience du travail à Valognes, mais cela est insuffisant pour l'aider à confronter le travail dans les grands magasins de Paris. Alors, son réelle expérience peut commencer dans Au Bonheur des Dames. Ce dernier est le lieu où **Denise** doit travailler et vivre, c'est pourquoi elle reçoit une information initiale sur lui et sur son patron, Mouret :

« **Cet Octave Mouret ! Un garçon venu à Paris depuis sa province, sans un sou ! C'est un aventurier. Un mariage incroyable a fait sa fortune !** [6]» Dans le magasin, **Denise** a des débuts difficiles, sa chambre n'est pas convenable et elle est étroite comme une cellule :

[5] - Ibid. P 82.

[6] - Ibid. P 12.

« **Sa chambre était sous les toits. Elle était étroite, les meubles simples : un lit, une armoire, une table de toilette et deux chaises** [7]» Comme une nouvelle adversaire prévue pour elles, les vendeuses commencent à poursuivre **Denise** en riant d'elle et de son allure. Il semble que la guerre s'annonce contre la nouvelle vendeuse, alors on devra la torturer avec tous les moyens et de toute façon :

« ***Les autres vendeuses la regardaient avec un sourire moqueur*** [8]»

La méchanceté ne s'arrête pas de la poursuivre, la vente est interdite pour elle afin de ne pas recevoir son pourcentage dans la vente ; Clara est prête toujours pour l'en priver. La politique d'accorder des pourcentages aux vendeurs à la suite de chaque vente, crée une guerre intense entre les vendeurs qui se mangent pour vendre :

« **C'était le tour de vente de Denise. Elle s'approcha de la première cliente mais Clara s'était précipitée. – Pardon, dit Denise, c'est mon tour. M^me^ Aurélie lui jeta un regard sévère : - C'est une cliente connue. Attendez de savoir pour la servir !** [9]» Étant donné qu'elle occupe un poste très distingué dans le magasin, M^me^ Aurélie s'impose cruellement à contrôler les mouvements de **Denise** dans son allé et retour, elle ne perd aucun moment pour la conseiller avec un accent militaire très sec. On voit que **Denise** est débutante qui ne sait rien dans la politique de vente suivie dans le magasin, alors on doit l'éloigner de se communiquer avec les clientes distinguées pour garder la renommée du magasin :

« ***Mais déjà M^me^ Aurélie se précipitait. Elle avait reconnu l'amie de Mouret, écarta Denise et appela une autre vendeuse plus expérimentée*** [10]» Au fur et à mesure, M^me^ Aurélie se charge de l'enseigner avec soin et avec un accent encourageant. En fait, elle s'engage de la mettre sur la bonne route, elle joue le même

[7] - Ibid. P 25.

[8] - Ibid. P 26.

[9] - Ibid. P 27.

[10] - Ibid. P 28.

rôle du formateur joué par Maheu avec Étienne dans *Germinal* ; Zola semble accorde une grande importance à la question de formation de ses héros puisque ceux-ci doivent se charger d'une grande responsabilité dans le futur :

« ***Mme Aurélie enleva le manteau à Denise en murmurant : - Voilà un joli début ! On n'est pas plus sotte !*** [11]» Cependant la supplice du travail pendant des journées entières affaiblit le corps et le moral de **Denise**, le magasin pour elle est un enfer, une prison qui l'interdit de vivre aisément. Il semble que le magasin gagne beaucoup et que ses profits augmentent parallèlement avec l'accroissement de la fatigue des vendeurs. En d'autres termes, le magasin est le monstre nourri par la chair et le sang de ses esclaves, les vendeurs, néanmoins **Denise** insiste de plus en plus d'aller jusqu'au bout. Donc, elle est armée par une bravoure extraordinaire qui ne ressemble ni à son âge ni à son petit corps :

« ***À partir de ce jour, Denise montra son courage. Elle surmonte les terribles fatigues du rayon [.....] Il fallait sourire, se tenir droite. Elle le faisait***[12]» Il est évident que ces fatigues et ces supplices de premiers jours contribuent sans doute à former le personnage futur de **Denise**, qui si voulait être une excellente vendeuse, elle devra supporter et dépasser toutes les difficultés mises sur son chemin. Dans le gros magasin, il n'y a que la guerre, pas de pitié, il n'y que a l'acharnement et la sauvagerie. Et la règle d'or dominante est qu'on devra manger les autres avant d'être mangé par eux :

« ***Le roman nous oblige à plusieurs reprises à nous rendre compte que la métaphore du géant insatiable est une façon poétique de dramatiser le concept darwinien du struggle for life, selon lequel les forts écrasent les faibles. Cela est évident, non seulement dans les épisodes où le monstre mange l'un après l'autre tous les petits commerçants du quartier, mais encore dans la rivalité féroce de***

[11] - Ibid. P 29.

[12] - Ibid. P 31.

tous les employés du grand magasin. Zola transpose leur ambition dévorante en appétits. (Kranowski 11)[13]»

Socialement, **Denise** en tant qu'elle est une nouvelle vendeuse, elle devait affronter des nouveaux personnages habitués à vivre selon les règles prescrites par le milieu social du magasin. Ici, on vit sauvagement et on fait des petits groupes alliés pour gagner d'argent et des profits grâce à un comportement méchant qu'on doit avoir. De sa part, **Denise** n'est pas faite à ce style de vie, alors elle se trouve isolée ou écartée par les autres, les gentils sont rares par comparaison aux méchants, et elle, **Denise** est comptée parmi les gentils, alors on doit la priver de bons moments et de grâce offerts par M^me^ Aurélie à son groupe préféré. Celle-ci en considérant que **Denise** est l'amie de la gentille vendeuse Pauline, alors elle ne l'invite pas à sa maison de compagne :

« ***Mme Aurélie, qui avait une maison à la compagne, invita ces demoiselles à venir passer un dimanche chez elle. Toutes sauf Denise. À cause de son amitié pour Pauline que Mme Aurélie n'aimait pas !***[14]» En effet, Pauline est la seule qui est proche socialement de **Denise**, elle est pour elle l'amie fidèle pendant ses moments de désespoir et de tristesse. Dans cette société sauvage et matérialiste, **Denise** ne trouve l'amitié qu'auprès de Pauline :

« ***Cette amitié offerte, la première, réconforta Denise, et elle se mit à penser aux conseils de Pauline*** [15]»

Sentimentalement, **Denise** est l'une des femmes zoliennes qui ont de la sagesse en ce qui concerne les questions sentimentales, et celles-ci préfèrent s'éloigner de tout ce qui nuit ou dérange leur propre sentiment. D'ailleurs **Denise** se met à la place

---

[13] - **L'écrivain juge Paris : Au bonheur des dames (1883) d'Emile Zola et Boumkœur (1999) de Rachid Djaïdani. November 2012 Voix Plurielles9(2):126://www.researchgate.net/publication/319023565_L%27ecrivain_juge_Paris_Au_bonheur_des_dames_1883_d%27Emile_Zola_et_Boumkoeur_1999_de_Rachid_Djaidani.**

[14] - Émile Zola, ***Au Bonheur des Dames***, Hachette, 1993, Paris, p 35.

[15] - Ibid. P 34.

d'une mère qui doit s'occuper de soigner ses deux petits frères, alors elle n'accorde aucune importance à elle-même. Elle voit qu'elle est l'unique responsable de ses frères qui ont encore besoin de sa tendresse maternelle, et elle, **Denise** tâche bien de se charger de cette responsabilité. Ses énormes sentiments s'étendent à toute personne dans son milieu, elle ne s'arrête jamais de penser à sa cousine, Geneviève qui souffre de son amour échoué avec Colomban. De même **Denise** a une inclination innocente envers Henri qui semble pour elle un garçon convenable parmi tous les vendeurs qui l'entourent. Donc, elle est envahie par une admiration pour lui, et, ce dernier garde pour elle un amour profond qu'il ne peut pas cacher d'elle. Mais pour **Denise**, ces sentiments restes vagues puisqu'elle n'est pas expérimentée dans ce type des relations qu'elle voit trop dangereux, et elle n'est ici que pour travailler et elle tente de ne pas perdre ce travail.

Moralement, **Denise** a pris une conduite singulière et plus différente de celle suivie par les autres vendeuses du magasin. Celles-ci devaient se vendre ou avoir des amants afin de pouvoir se nourrir puisque les salaires sont insuffisants. Mais malgré ses difficultés financières, **Denise** a résisté à toute faiblesse qui l'obligeait à salir son honneur, pour elle sa renommée est plus importante que l'argent, alors elle a refusé la proposition faite par Pauline d'avoir un amant qui l'aidait à survivre. En fait, **Denise** était si innocente et ne savait pas agir contre sa volonté, donc elle se gênait vis-à-vis de la proposition de son amie, Pauline :

« ***- À votre place, je prendrais quelqu'un. – comment quelqu'un ? demanda Denise qui ne comprit pas tout de suite. Puis elle rougit et murmura : - Non !***[16]»

De plus, **Denise** cherchait toujours à donner des leçons morales aux autres, surtout à son frère qu'elle trouvait un garçon vicieux et qui avait encore besoin de ses conseils. Par conséquent, elle se précipitait à régler sa conduite en le voyant fréquenter des femmes. De même, elle participe à sa stabilité sociale en acceptant de l'aider à bâtir sa

[16] - Ibid. P 33.

vie conjugale, pour elle le mariage est le seul moyen qui le protège de suivre les mauvaises femmes :

« ***Elle aperçut soudain son frère Jean. Il était marié depuis peu avec la jeune fille pâtissière [...] Denise lui avait donné la moitié de ses économies pour qu'il s'installe***[17]»

- **Le renvoi de Denise de Au Bonheur des Dames :** À cause de sa conduite la plus ferme, à cause de son honnêteté et à cause de sa progression ascensionnelle dans le magasin, **Denise** gagne plus d'ennemis que d'amis. Il semble que son existence est inacceptable et indésirable par les employés dont le seul souci est de se débarrasser de bonnes employées, comme elle. Selon la politique suivie dans le magasin, **Denise** a commis un grand pêché en refusant de se résigner à la mauvaise conduite suivie par les autres. Son entêtement et son désir d'inventer un style de vie très différent lui fait beaucoup d'adversaires. Ceux-ci la voient comme un péril et une menace pour leur système basé sur la méchanceté, le mensonge, la trahison, la malhonnêteté et la ruse pour gagner plus d'argent. En effet, le débarras de tout ce qui menace ce système devient le souci majeur des ennemis de **Denise**, alors on invente plusieurs tactiques pour réaliser l'objectif principal qui consiste à la chasser. Si celle-ci est là, leur paix est risquée, et si elle est éloignée, leur paix est sécurisée. De conséquence, tout le magasin s'arme pour entrer dans une bataille dont le but est de licencier cette jeune fille, qui a des habitudes niées par tous. En fait, **Denise** est chassée après être accusée d'avoir un amant et cet amant n'est que son frère jean, qui lui rend visite pour demander de l'argent. Temporellement, le licenciement de **Denise** se coïncide avec l'été qui est la période pendant laquelle on est habitué, dans le magasin, à se débraser d'employés à cause de difficultés financières :

[17] - Ibid. P 91.

« ***L'été arriva. Comme chaque année, à la même époque, le magasin se vida de ses clientes, pour diminuer les frais, on commença à licencier des vendeurs***[18]»

- **Le travail de Denise chez Bourras :** le travail de **Denise** chez Bourras forme pour elle une période du repos dans lequel elle révise ses calculs après un départ imposé à elle dans le magasin de Au Bonheur des Dames. Et le petit magasin du vieux Bourras ne lui ajoute beaucoup de profit financier puisque ce dernier son commerce est à l'agonie. Mais par bonté, il essaie de la soutenir en se permettant de l'aider à fabriquer des parapluies. Ce petit travail et qui est trop simple participe à former **Denise** dans l'art de fabrication des parapluies que le vieux maîtrise bien :

« ***Le vieux Bourras était un vrai artiste. Il sculptait chaque manche de parapluie avec une fantaisie charmante : des fleurs, des fruits, des animaux...***[19]» Donc, toutes ces périodes déjà expliquées prépare **Denise** à un retour final au Bonheur des Dames, après une formation qui la rend capable de reprendre son travail d'une façon plus différente de ses débuts. On verra une autre **Denise** habituée maintenant à tous les combats et en mesure d'affronter toute difficulté. Il est évident que le fait de se trouver en dehors du grand magasin lui a permis de voir et de penser d'une autre angle que la plupart ignorent. En d'autres termes, **Denise** se montre plus lucide et capable d'étudier la situation avec une mentalité bien murie. Tout cela est grâce aux expériences trop dures qu'elle devait endurer :

« ***Elle changeait. Une grâce lui venait. Elle n'avait plus rien de la jeune fille timide et sauvage débarquée de Valognes***[20]»

- **Le retour de Denise au Bonheur des Dames :** le retour de **Denise** est accompagné d'une prospérité portée par elle au grand magasin. Il semble qu'elle est

[18] - Ibid. P 37.

[19] - Ibid. P 44.

[20] - Ibid. P 45.

attachée au magasin par un lien, qui dépasse le simple lien du travail à un lien réciproque, c'est pourquoi **Denise** rentre avec un sentiment ardent pour le magasin. La vengeance de ce denier n'est jamais dans ses intentions puisqu'elle se caractérise par une personnalité remplie de gentillesse et de bonté. En revanche, elle cherche à améliorer le magasin et à ne pas se venger de lui, ou bien elle se concentre sur la construction d'un avenir meilleur pour ce nouveau commerce que certains voient catastrophique. Mais, elle, **Denise** voit d'un angle plus différent, elle évalue avec une mentalité jeune la nouvelle vague commerciale et elle ne l'accuse pas de culpabilité comme les autres le font. Pour elle, la raison suit la progression et les nouvelles découvertes, alors on devra suivre cette raison, aller avec le siècle, c'est-à-dire accepter tout ce qui est porté par lui. Donc, **Denise** profite de sa rentrée lauréate au magasin en lui portant des réformes, qui le rend plus fort et plus juste. Ces réformes sont sur tous les niveaux **sociaux**, **économiques** et **humains**.

Socialement, **Denise** s'intéresse à faire loger les vendeurs dans des chambres convenables et commodes :

« ***Les nouvelles chambres des employés n'étaient plus sous les toits. Elles étaient plus confortables***[21]» Pour s'occuper de la santé des employés, les repas sont améliorés et deviennent d'une bonne qualité :

« ***La nourriture était meilleure qu'autres fois. Et s'il n'y avait pas de nappes, les tables étaient en acajou***[22]» **Économiquement**, le licenciement est substitué par un nouveau system de congés et on fait une caisse mutuelle. **Humainement**, on s'intéresse à la santé des vendeuses mariées avant l'accouchement.

- **L'amour de Mouret pour Denise** : Sur le plan de l'amour, **Denise** est visée par la proposition amoureuse de Mouret. Au début, ce dernier n'est pas sérieux dans sa demande puisqu'il considère qu'une relation amoureuse avec **Denise** n'est

[21] - Ibid. P 60.

[22] - Ibid. P 64.

qu'une relation passagère et semblable à celles qu'il a faites avec d'autres femmes. Mentalement, Mouret voit que sa réussite commerciale le rend capable de séduire toute femme, alors **Denise** n'est qu'une vendeuse ou cliente qu'il peut posséder facilement :

« ***Les clientes sont en effet exploitées par Mouret comme "une mine de houille"***[23]» D'ailleurs son magasin ajoute à sa personnalité une virilité qui attire facilement les femmes à son nid. Pour cela, Mouret se croit un prêtre dont les femmes parlent avec admiration et sa grande cathédrale n'est que un lieu sacré. En fait, Mouret devient l'homme unique à Paris, il est capable de gagner d'argent et aussi les cœurs des femmes. Pour lui, l'amour est rien sans l'argent, la femme est désarmée devant la vue extraordinaire des vêtements et la beauté n'existe que dans son magasin "la cathédrale" :

« ***Nous gagnerions des millions ! Un magasin énorme, une cathédrale !***[24]»

Au début, **Denise** ne répond pas à cet amour qu'elle trouve un essai par lequel Mouret cherche à la conquérir physiquement, comme les autres femmes séduites par lui et par son projet commercial. Malgré sa simple expérience dans la vie, mais **Denise** est guidée par un raisonnement qui la laisse mesurer sagement la distance entre elle et Mouret. Pour elle, cette distance ne doit dépasser que le lien du travail avec Mouret "patron et vendeuse". D'ailleurs, elle se croit qu'elle n'est pas faite pour mener la vie d'autres vendeuses, qui courent derrière les relations passagères, mais elle est faite pour une seule mission qui est de s'occuper de la responsabilité de ses deux petits frères. Pour cela, on dit que **Denise** n'est qu'une fille-mère chargée de soigner sa petite famille, donc c'est son seul devoir qu'elle doit accomplir. Alors en voyant l'obstination de Mouret,

[23] - Georges Cesbron (Sophie Desgre), 37 études critiques : littérature générale, littérature française et francophone, littérature étrangère (Images et mythes dans *Au bonheur des Dames* de Zola et dans *Au bonheur des ogres* de Pennac), Cahier XXVII, Presses universitaires de Rennes, 2019/07/18, Collections : Nouvelles Recherches sur l'Imaginaire.https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwiGiqmZwvzyAhVy5.

[24] - Émile Zola, ***Au Bonheur des Dames***, Hachette, 1993, Paris, p 22.

Denise trouve qu'elle l'aime, mais cet amour doit être vécu sous des conditions : la première condition qu'elle n'est pas une amante, mais elle doit être l'unique femme dans la vie de Mouret, et la deuxième condition est que cet amour doit finir par le mariage :

« - **Vous voyez bien, dit Denise. Quand un homme vous aime, il vous épouse.**[25]»

En fait, **Denise** n'est pas une proie facile pour Mouret, au contraire elle le désarme de toute sa force, elle l'humilie en l'obligeant d'aimer sa simplicité. D'ailleurs **Denise** déshabille Mouret devant son entourage bourgeois ; on commence à parler partout d'une jeune fille, qui fait le miracle en obligeant cet homme aventureux de se marier avec elle, au lieu de la traiter comme une amante que l'on jette dans la nuit après une relation nocturne. De plus, en réussissant à contrôler le mâle, Mouret, **Denise** se montre capable et apte de se venger de toute femme bourgeoise qui l'humilie. Par l'amour de Mouret pour elle, **Denise** prend le contrôle du magasin, de ses employés, de ses patrons, de ses clientes et aussi des amantes de Mouret, lui-même. Dès sa parution comme une force commerciale, le grand magasin attire l'attention de toute la société parisienne, surtout les femmes qui meurent d'admiration pour lui, mais le sentiment amoureux de son patron pour l'une de ses vendeuses double aussi cette admiration. En somme, c'est un bouleversement révolutionnaire de voir les femmes de la première classe cherchent à peine à affronter cette simple vendeuse, qui occupe toute seule le cœur du grand fondateur de leur bonheur, Octave Mouret. Il est évident que la montée rapide de **Denise** au sommet de cette cathédrale lui fait beaucoup d'adversaires, surtout des adversaires féminins, comme M^{me} Desforges, qui se trouve hors de la préoccupation de Mouret, alors elle descend de sa haute classe pour se venger d'une simple vendeuse :

[25] - Ibid. P 62.

« ***- Justement ! cria-t-elle. Il l'aime celle-là ! Je me moque des autres ! Toutes ces filles avec lesquelles, depuis trois mois, il se ruine parce qu'elle le repousse ! Oh, mais je me vengerai ! Je me vengerai !***[26]»

Au-delà, la chute de M^me^ Desforges à ce niveau crée une nouvelle rivalité commerciale planifiée par elle, afin de se venger aussi de Mouret. En perdant l'espoir en ce dernier, M^me^ Desforges cherche à avorter le grand succès de Au Bonheur des Dames, alors elle s'allie avec Bouthemont pour qu'elle le rend un futur adversaire commercial de Mouret. Pour cela, elle est prête à soutenir financièrement Bouthemont afin qu'il quitte le Bonheur des Dames pour fonder un nouveau magasin rival :

« - ***Pourquoi ne vous installez-vous à votre compte ? demanda-t-elle brusquement***[27]»

- **Conclusion :**

Pour conclure, on peut dire que **Denise** a choisi à la fois les deux choix, la réforme et l'amour, mais tout d'abord elle a mis l'accent sur la réforme qu'elle voyait indiscutable, alors c'est pourquoi elle n'a jamais cessé d'inspirer à Mouret ses idées réformistes. Ce dernier l'écoutait avec résignation et admiration mélangées avec un regard d'amour. Pour lui, **Denise** n'était qu'une simple vendeuse, qui n'était pas en mesure de proposer ces idées bizarres, et cela augmente son attraction pour elle. D'ailleurs, dans le magasin on avait peur de **Denise** qui a pu convaincre tout facilement Mouret. Ce dernier ne refuse pas puisqu'il ne pense maintenant qu'à gagner le cœur de **Denise** :

« ***Cependant l'idéologie de Mouret se modifie progressivement au contact de Denise, très choquée par les pratiques de gestion du travail du grand magasin. Sur ses suggestions, Mouret stabilise l'emploi et améliore les conditions***

[26] - Ibid. P 69.

[27] - Ibid. P 69.

de travail des employés. [28]» De leur part, les grands employés ont senti le danger réel de cette jeune fille, qui grâce à l'amour du patron pour elle, elle a pu le soumettre :

« **Bourdoncle continuait à détester Denise. Il la détestait pour sa douceur et son charme. Il craignait que son influence sur Mouret soit mauvaise pour le commerce et le magasin**[29]» D'ailleurs, par ses réformes imposées à Mouret, **Denise** voulait le corriger en le rendant un homme respectueux et qui a à la fois une bonne renommé commerciale et morale. Cette idée de correction permet aussi à elle d'aimer aisément Mouret :

« **L'avis d'une femme, si humble soit-elle, est toujours utile à écouter. Je ne ferai de vous qu'un honnête homme**[30]»

En ce qui concerne le deuxième choix, l'amour, **Denise** semble qu'elle ne voulait pas céder facilement à Mouret, avant de s'assurer de ses sentiments envers elle. Elle a pris beaucoup de temps pour étudier sérieusement la proposition de Mouret qu'elle ne voyait, au début, qu'un homme qui cherchait seulement le plaisir dans ses relations avec les femmes. Donc, elle l'a torturé jusqu'à ce qu'elle s'est assurée de son amour. En d'autres termes, **Denise** en refusant une simple relation avec Mouret, elle désirait aller contre la prostitution qui était dominante à cette époque-là :

« ***Au XIXe siècle, cette peur prend le visage de la prostituée : « La prostitution était la grande peur de l'époque : elle ne représentait pas seulement***

---

[28] - ÉMILE ZOLA ET AU BONHEUR DES DAMES OU COMMENT LE PASSE ECLAIRE LE PRESENT DE LA GRH, 27ème Congrès de l'AGRH, 19-21 octobre 2016, Strasbourg. **https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwj548TlufzyAhXjCWMBHVpUC4oQFnoECAUQAQ&url=https%3A%2F%2Fwww.researchgate.net%2Fpublication%2F304675218_EMILE_ZOLA_ET_AU_BONHEUR_DES_DAMES_OU_COMMENT_LE_PASSE_ECLAIRE_LE_PRESENT_DE_LA_GRH_27eme_Congres_de_l%2527AGRH_19.21_octobre_2016_Strasbourg_httpswwweditions.harmattanfrindexaspnavigcatalogueobjarticleno&usg=AOvVaw0NOPEXsaQByLjkv1zB2Qit.**

[29] - Émile Zola, ***Au Bonheur des Dames***, Hachette, 1993, Paris, p 75.

[30] - Ibid. P 80.

une menace réelle et continuelle, c'était aussi une métaphore du désordre et du renversement des hiérarchies et des institutions de la société. La prostituée était une "femme publique"[31]» En fait, Mouret a jeté toutes ses armes et s'est résigné à elle, malgré sa grande expérience dans les relations féminines. Il est évident que cette jeune fille l'a vaincu, l'a torturé et par cette victoire elle a pu se venger pour toutes les femmes. En refusant toutes les tentatives successives de Mouret, **Denise** voulait lui dire qu'elle n'est pas à vendre, mais elle est une honnête fille que l'on doit traiter avec sagesse et avec respect. D'ailleurs, **Denise** est la Déesse envoyée à Mouret afin de l'aider à laver tous ses pêchés et son passé sale :

« ***Oui, mais il avait du génie, et il était si séduisant. Ses mensonges d'autres fois, sa comédie galante, il les payait à présent. Il souffrait par elle, et aux yeux de Denise cette souffrance effaçait le passé et grandissait Mouret***[32]» Finalement, **Denise** a pu successivement accomplir deux tâches, d'abord elle a joué le rôle d'un personnage réformiste en inspirant à Mouret ses idées de réforme, ensuite elle a accepté l'amour de ce dernier après s'être assurée de ses sentiments. Donc, elle s'est imposée à tous en faisant un coup d'état très doux :

« ***Cependant, la prise de pouvoir de Denise sur le grand magasin se fait plus indirectement à travers sa prise de pouvoir sur M. Mouret. Le directeur du magasin s'éprend en effet de la jeune femme, et c'est ce qui est en fait à l'origine du pouvoir qu'elle exerce sur le lieu et les gens qui y travaillent.***[33]»

---

[31] - Rachwalska von Rejchwald, J. (2010). Femme, pouvoir, espace dans *Au bonheur des dames* et *Une page d'amour* d'Emile Zola. *Tangence*, (94), 87–111. https://doi.org/10.7202/1003491ar.

[32] - Émile Zola, ***Au Bonheur des Dames***, Hachette, 1993, Paris, p 86.

[33] - Mémoire de master 2, Caractérisation et Organisation des Espaces et des Seuils par les Personnages Féminins dans Cinq Romans d'Emile Zola Pauline S. Levy Valens B.A., Université Toulouse Jean Jaurès, 2015. https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwjQksSNpvzyAhUUDWMBHQiwCAAQFnoECA0QAQ&url=https%3A%2F%2Fopencommons.uconn.edu%2Fcgi%2Fviewcontent.cgi%3Farticle%3D2327%26context%3Dgs_theses&usg=AOvVaw1cQcEa9j8TUyH1bF_2ILcT.

- **Bibliographie :**
- **Livres :**

1- **Zola Émile, *Au Bonheur des Dames*, Hachette, 1993, Paris.**

- **Articles :**

1- **ZOLA : TERRITOIRES DU ROMAN, Éléonore Reverzy, Le Seuil « Poétique », 2014/2 n° 176 pages 179 à 192 ISSN 1245-1274 ISBN 9782021153835. https://www.cairn.info/revue-poetique-2014-2-page-179.htm.**

2- **Rachwalska von Rejchwald, J. (2010). Femme, pouvoir, espace dans *Au bonheur des dames* et *Une page d'amour* d'Emile Zola. *Tangence*, (94), 87–111. https://doi.org/10.7202/1003491ar.**

3- **L'écrivain juge Paris : Au bonheur des dames (1883) d'Emile Zola et Boumkœur (1999) de Rachid Djaïdani. November 2012 Voix Plurielles9(2):126://www.researchgate.net/publication/319023565_L%27ecrivain_juge_Paris_Au_bonheur_des_dames_1883_d%27Emile_Zola_et_Boumkoeur_1999_de_Rachid_Djaidani.**

- **Mémoires et thèses :**

1- Mémoire de master 2, Caractérisation et Organisation des Espaces et des Seuils par les Personnages Féminins dans Cinq Romans d'Emile Zola Pauline S. Levy Valens B.A., Université Toulouse Jean Jaurès, 2015. https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwjQksSNpvzyAhUUDWMBHQiwCAAQFnoECA0QAQ&url=https%3A%2F%2Fopencommons.uconn.edu%2Fcgi%2Fviewcontent.cgi%3Farticle%3D2327%26context%3Dgs_theses&usg=AOvVaw1cQcEa9j8TUyH1bF_2ILcT.

- **Papiers de conférences :**

1- **ÉMILE ZOLA ET AU BONHEUR DES DAMES OU COMMENT LE PASSE ECLAIRE LE PRESENT DE LA GRH, 27ème Congrès de l'AGRH, 19-21 octobre 2016, Strasbourg. https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad**

=rja&uact=8&ved=2ahUKEwj548TlufzyAhXjCWMBHVpUC4oQFnoECAUQAQ&url=https%3A%2F%2Fwww.researchgate.net%2Fpublication%2F304675218_EMILE_ZOLA_ET_AU_BONHEUR_DES_DAMES_OU_COMMENT_LE_PASSE_ECLAIRE_LE_PRESENT_DE_LA_GRH_27eme_Congres_de_l%2527AGRH_19-21_octobre_2016_Strasbourg_httpswwweditions-harmattanfrindexaspnavigcatalogueobjarticleno&usg=AOvVaw0NOPEXsaQByLjkv1zB2Qit.

- **Sites internet :**

1- **Georges Cesbron (Sophie Desgre), 37 études critiques : littérature générale, littérature française et francophone, littérature étrangère (Images et mythes dans *Au bonheur des Dames* de Zola et dans *Au bonheur des ogres* de Pennac), Cahier XXVII, Presses universitaires de Rennes, 2019/07/18, Collections : Nouvelles Recherches sur l'Imaginaire.**https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwiGiqmZwvzyAhVy5.

تأثيراستبدال البيئة الحيوية للنحاس باللانثنيوم علي خصائص النقل للموصل الفائق

$YBa_2(Cu_{1-x}La_x)_3O_{7-\delta}$

د . سناء مسعود عبد القادر . كلية التربية ككلة . جامعة الزنتان

أ. نجاح ابراهيم الحراري المعهد العالي للعلوم والتقنيات الطبية – أبوسليم

الملخص العربي :

$YBa_2(Cu_{1-x}La_x)_3O_{7-\delta}$ الموصل الفائق النحاس في لنكن قادرين علي انتاج مادة فائقة التوصيل عالية الجودة ، يجب فهم استبدال إشارت الدراسة لخصائص النقل في هدا العمل باستخدام قياسات درجة ($X = 0 - 0.06$) بتركيز La باللانثنيوم الحرارة الي انه يمكن الحصول علي افضل خصائص للتوصيل الفائق باستبدال تركيز النحاس باللانثنيوم بتركيز (Δ=5 K) حيث ($T_c \approx 90K$) الانتقال الاكثر حدة الي الموصلية الفائقة عند اعلي درجة حرارة (X= .

(X= 0.02 – 0.04 تتوافق ضمن التركيز ($\rho = 9.2 \mu\Omega.cm$) وأدني مقاومة كهربائية فوق هدا النطاق)X(لوحظ خفض وانحلال الموصل الفائق مع زيادة تجاوز التنشيط الزائد للانثنيوم لهدا المدي يؤدي إلى فصل قوي للسلاسل والشبيكة (الهيكلية) ، ($x \leq 0.06$) طريقا بديلا لتلدن الأكسجين على نطاق واسع.($0.02 \leq x \leq 0.04$) بينما يمكن اعتماد أفضل تنشيط للانثنيوم ضمن المدي

EFFECT OF REPLACEMENT OF THE Cu VITAL ENVIRONMANT FOR La ON THE TRANSPORT PROPERTIES OF $YBa_2(Cu_{1-x}La_x)_3O_{7-\delta}$

Sanaa Masod Abdulqader, Najah Ibrahem Elharari , Saad Salem Saad Ali
Physics Department , University of Gharyan Faculty of Education/ Kikla ,Higher Institute of Medical Sciences and Technology / Abu salim.

Abstract

To be able to produce high quality superconducting material, the effect of substitution of copper in $YBa_2(Cu_{1-x}La_x)_3O_{7-\delta}$ superconductor by La content (x=0 – 0.06) have to be understood . The study of transport properties of $YBa_2(Cu_{1-x}La_x)_3O_{7-\delta}$ in this work using temperature measurements indicated that the best superconducting properties can be obtained for substitution of Cu by La concentration within the range (x=0.02-0.04). The highest T_c ($\approx$90K), sharpest transition to superconductivity (Δ=5 K) and lowest electrical resistivity (ρ= 9.2$\mu\Omega$.cm) are corresponding to the substitution samples of x=0.02 and 0.04. Depression and degradation of the superconducting state as (x) increases above this rang is observed. Excess dopant of La ($x \leq 0.06$) results in a strong decoupling of chains and planes whereas optimal La doping ($0.02 \leq x \leq 0.04$) can be adopted an alternate route to extensive oxygen anneal.

1.Introduction

The search for high-temperature superconductivity and novel superconducting mechanisms

Is one of the most challenging tasks of condensed-matter physicists as well as material scientists

[1-2]. The studies on various substitutions in oxide superconducting systems have proven to be of great importance since changes in the critical transition temperature (T_c)are usually observed. For

Example, the effects of non-isovalent substitutions for Y in YBCO superconductors have attracted a great deal of attention in the past[3,4]. Results show that, basically, such doping can vary the hole concentration in a controlled manner influencing the superconducting properties of the material obtained.

Doping of different ions at the copper sites in YBCO superconductors serves as a useful diagnostic probe to investigate the role of different copper sites in the occurrence of superconductivity in these superconductors[5-6]. In almost all such cases, the destabilization of YBCO superconducting phases and consequently the degradation of superconductivity in these compounds have been determined at low substitutional level. Also, the superconducting properties severely degraded by the substitution of transition elements for copper[7,8]. This

Suggesting that the principal component for superconductivity involves the Cu-O bonding.

In this work, we present a systematic study of the effect of Cu substitution by La on the transport properties of $YBa_2(Cu_{1-x}La_x)_3O_{7-\delta}$.

2.Experimental Work

Appropriate amounts of yttrium oxide, barium carbonate and copper oxide with starting composition $YBa_2Cu_3O_{7-\delta}$ were mixed and ground in a marble mortar for one hour. The mixture was calcined in air at 910 °C for 24 hours, with several intermittent grinding followed by oven cooling at 40°C per hour. The powders were reground and then pressed into tablets of ~13 mm diameter and 4 mm thickness using SPECAC press. The tablets were sintered at 910 °C for 24 hours and slow cooled to room temperature .

Samples were prepared by using solid state reaction with four starting composition $YBa_2(Cu_{1-x}La_x)_3O_{7-\delta}$ for x=0.0, 0.02, 0.04, 0.06. Sample were prepared by thoroughly mixing appropriate amounts of high purity (≥ 99.99%) powders of $BaCO_3$, Y_2O_3, La_2O_3, and CuO with starting compositions $YBa_2(Cu_{1-x}La_x)_3O_{7-\delta}$ for x=0, 0.02, 0.04, and 0.06. These powders were heated for 24 hours at 910 °C with several intermittent

grindings and oven cooled. The powders were then pressed into pellets with approximately 13 mm diameter and 4 mm thick and heated at 910 °C in air for another 24 hours followed by furnace cooling to room temperature .

Van der pauw method shown in Figure 3.1 was used to determine the resistivity at room temperature. The sample was fixed on to a sample holder with silver paint. Digital voltmeter and multimeter were used to record the voltage and resistance respectively.

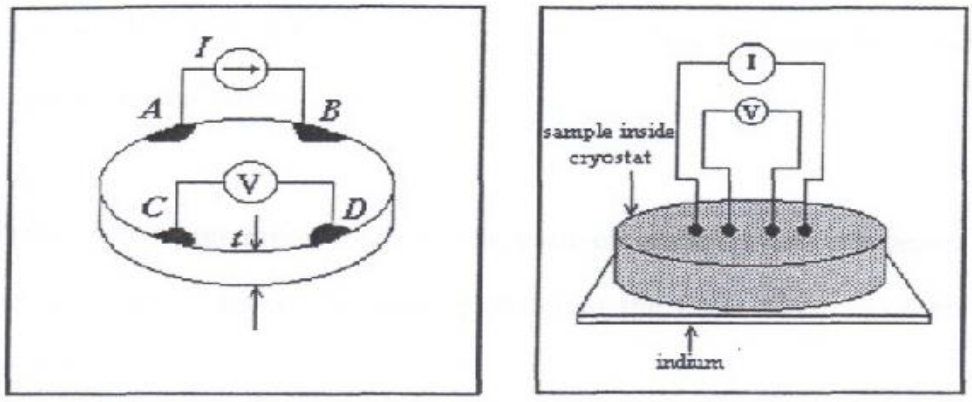

Figure.1 Four-point probe electrical resistivity measurements method, (a) van der pauw (b) a typical four point Probe

The room temperature resistivity p was computed by

$$p =$$

(1)

Where: t is the thickness of the sample, V_{CD} is the voltage between the points C and D and I_{AB} is the current through point A to B.

The resistance at various temperature of the samples was measured by four-point probe technique using silver paint contacts in closed cycle refrigerator. The temperature was cooled down at a cooling rate of 40 °C/ hour and heated up with the same rate. The resistance and temperature were recorded and plotted as graphs with a normalized resistance versus temperature.

3.RESULTS AND DISCUSSION

To be able to produce high quality superconducting material, the effect of substitution of copper in $YBa_2(Cu_{1-x}La_x)_3O_{7-\delta}$ superconductor by La content (x=0-0.06) have to be understood. The experimental results obtained by using resistivity measurement techniques are presented in this work to show the effect of Cu substitution by La on the transport properties and T_c transition.

Figure(2)shows the temperature dependence of the electrical resistance for several $YBa_2(Cu_{1-x}La_x)_3O_{7-\delta}$ samples from 300 K to 4.2 K, with La concentration range from x=0 to 0.06.

All the samples within La concentration range (x=0-0.04) show metallic behavior $\left(\frac{\partial R}{\partial T} > 0\right)$before transition to superconducting state. Increasing La concentration x to 0.06, the sample shows a semiconducting behavior $\left(\frac{\partial R}{\partial T} < 0\right)$ before transition to superconductivity. The sample x=0.06 shows much higher resistance values and larger broad transition to superconductivity summarized in Table 4.2. Furthermore, highest T_c (≈ 90 K) and sharpest transition to superconductivity (≈ 5 K) is seen for the doped samples with La within the range x=0.02 and 0.04. Figure(3)shows the concentration dependence of the onset transition temperature.

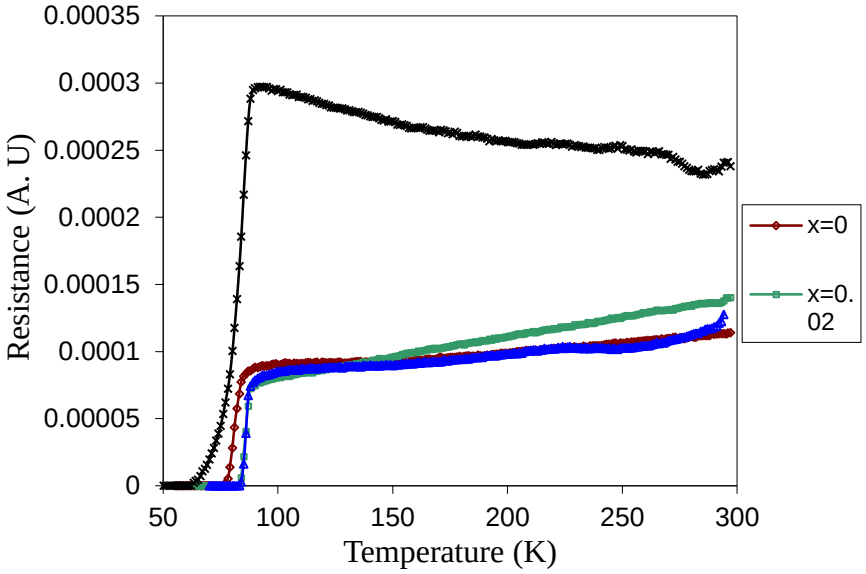

Figure(2) The temperature dependence of the resistance of $YBa_2(Cu_{1-x}\ La_x)_3\ O_{7-\delta}$ for x=0, 0.02, 0.04 and 0.06

It is observed that the highest $T_{c\ onset}$ corresponds to the samples of x=0.02 and 0.04. Whereas Figure (4) show the concentration dependence of the critical transition temperature $T_{c\ zero}$ of $YBa_2(Cu_{1-x}\ La_x)_3\ O_{7-\delta}$. The highest T_c is observed in the samples with La concentration in the range of x=0.02 and 0.04, whereas the lowest T_c value is seen of the sample (x=0.06).Figure (5) shows the variation of the broadening of the superconducting transition (width=ΔT) with La concentration of $YBa_2(Cu_{1-x}\ La_x)_3\ O_{7-\delta}$ prepared samples . It can be clearly seen that the sharpest transition corresponds to the samples within La concentration range of x=0.02-0.04. Figure (6)show the concentration dependence of electrical resistivity (ρ) of the $YBa_2(Cu_{1-x}\ La_x)_3O_{7-\delta}$ prepared samples . This figure shows that the lowest resistivity value ($\rho = 9.2\mu\ \Omega$.cm) corresponds to the sample of La concentration of x=0.02, and the highest value ($\rho = 4.3x10^{-5}\ \Omega$ .cm) corresponds to La concentration x=0.06.

The best superconducting properties corresponds to the samples of La concentration x=0.02 and 0.04.

Kini et al. (2003) reported [9] that the reduction in copper valence is evident from decrease in resistivity (ρ) with increasing x. Any reduction in copper would have resulted in a consequent elongation in the c-axis. Within La concentration x=0.02, it is evident that the dominant charge neutralising mechanism is the intake of oxygen into lattice as reported (Kini et al. 2003). Th rise of La concentration x=0.02 up to 0.06 results in an increase of resistivity values (ρ). This increase of the resistivity is in agreement [10] with (Llonca et al. 1995). They reported a model to better understanding of the involved carrier scattering mechanisms for the effect of the partial substitution of Cu by Zn. Their model has been interpreted in the percolative phase separation theory.

It has been reported [11] (Elizabeth et al. 1999) that the dual role of substituting Cu by Co is to enhance T_c at low concentration and depressing it in higher dopant concentration.

The published result agrees completely with the results of the present in the case of Cu substitution by La. This obtained result can be understood on the basis of the apex oxygen model (Elizabeth et al. 1999) and structural studies [12] (Mark et al. 2000) in doped YBCO indicate that the most sensitive change of crystal structure on doping is related to apical oxygen .Several theoretical models such as (Elizabeth et al. 1999) emphasize the significance of this oxygen in the occurrence of superconductivity.

Table 3.1. Onset temperature ($T_{c\,onset}$), zero resistance temperature ($T_{c\,zero}$), resistivity (ρ) at 300K, transition width (ΔT_c) and the normal state of $YBa_2(Cu_{1-x}\ La_x)_3O_{7-\delta}$

X	$T_{c\,onset}$(K)	$T_{c\,zero}$(K)	ΔT_c(K)	ρ= (300K)Ω	Normal state
0	86	76	10	$1.1x10^{-5}$	metallic
0.02	88	83	5	$9.2x10^{-6}$	metallic
0.04	90	83	7	$1.7x10^{-5}$	metallic
0.06	89	62	27	$4.3x10^{-5}$	semiconductor

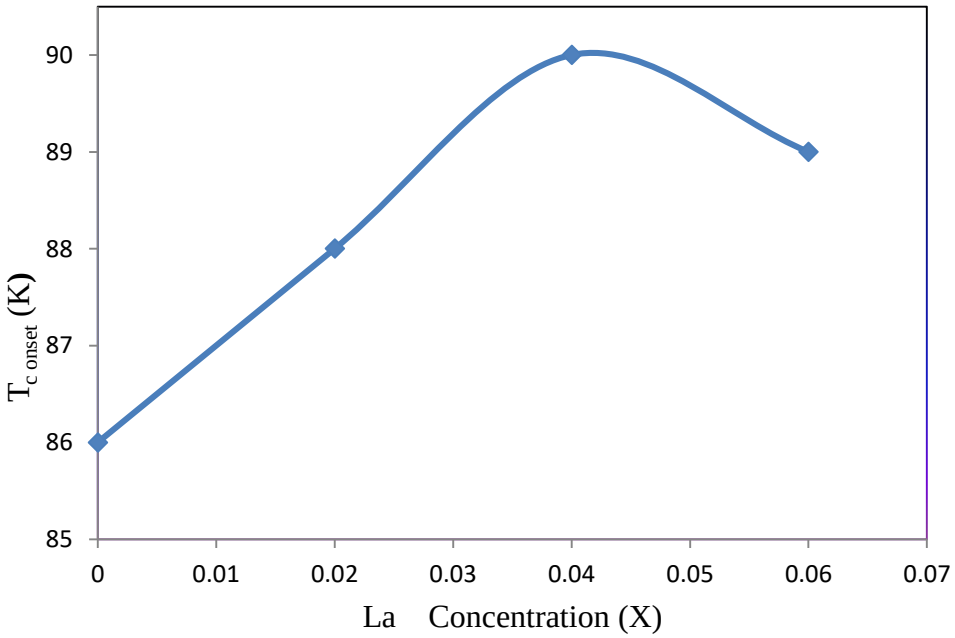

Figure(3)The concentration dependence of the onse Figure (3) The concentration dependence of the onset transition temperature $T_{c\,onset}$ of $YBa_2(Cu_{1-x}\,La_x)_3\,O_{7-\delta}$ prepared samples

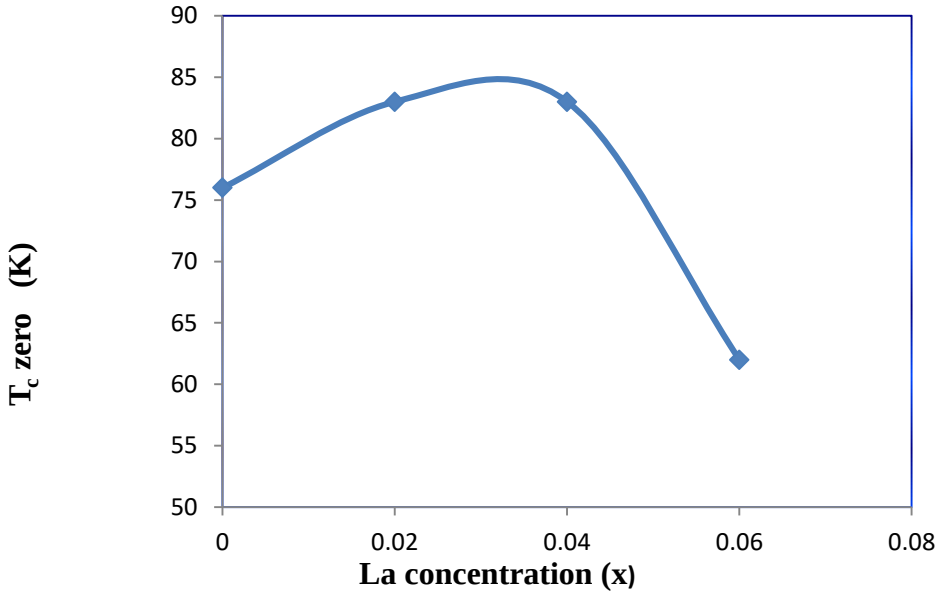

Figure(4) The concentration dependence of the zero transition temperature $T_{c\ zero}$ of the $YBa_2(Cu_{1-x}\ La_x)_3O_{7-\delta}$ prepared samples

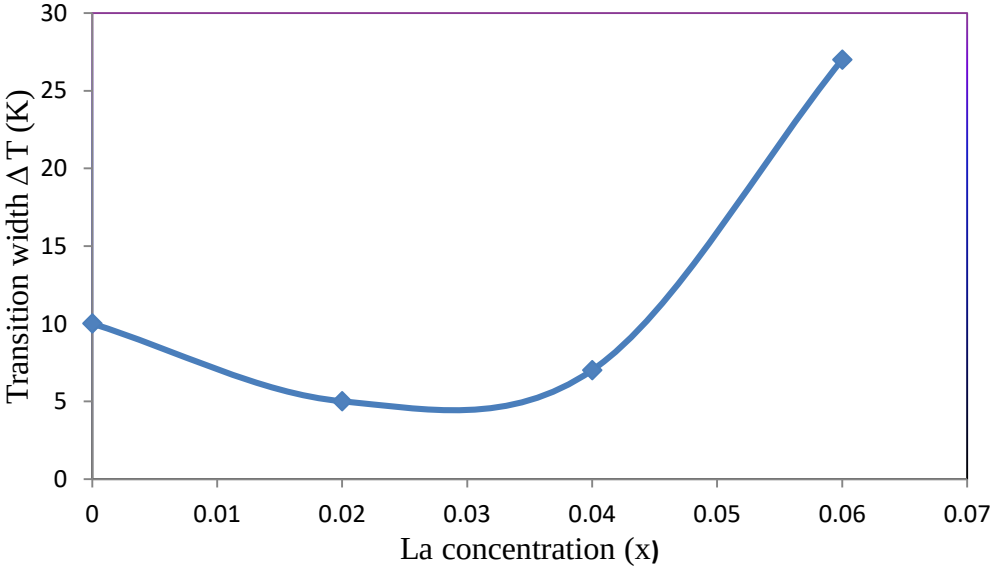

Figure (5) The concentration dependence of the transition width (ΔT) of the $YBa_2(Cu_{1-x}La_x)_3O_{7-\delta}$ prepared samples

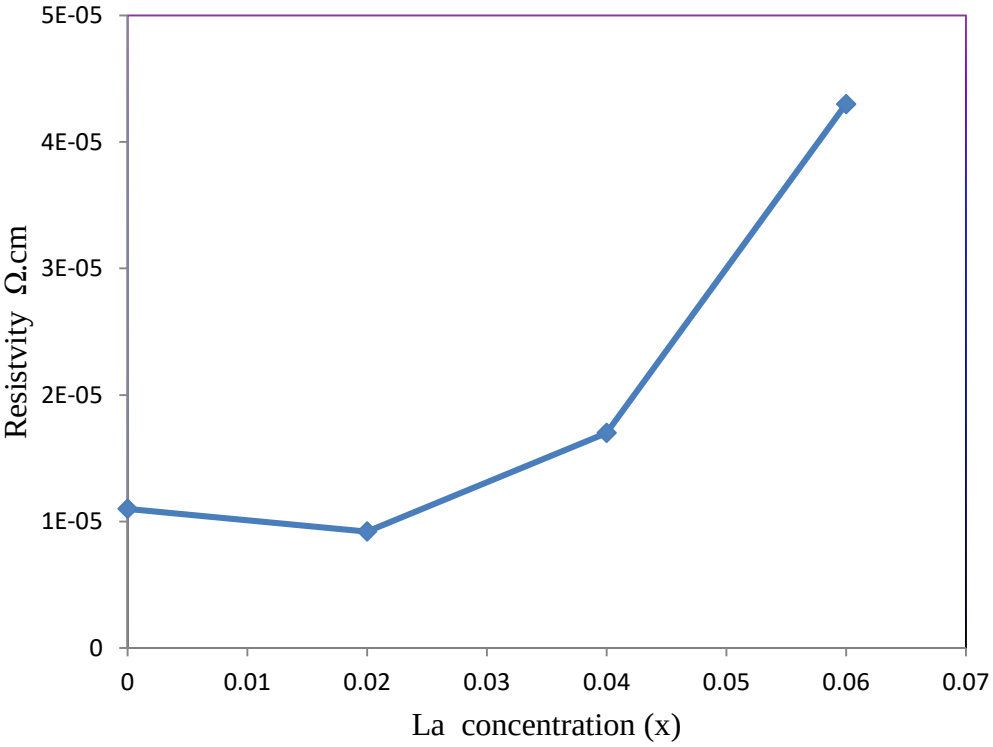

Figure (6)Electrical resistivity of $YBa_2(Cu_{1-x}\ La_x)_3O_{7-\delta}$ versus La concentration

CONCLUSION

The study of transport properties of $YBa_2(Cu_{1-x}\ La_x)_3\ O_{7-\delta}$ in this work using temperature measurements indicated that the best superconducting properties can be obtained for substitution that excess dopant of La ($x \leq 0.06$) results in a strong decoupling of chains and planes whereas optimal La doping ($0.02 \leq x \leq 0.04$) can be adopted an alternate route to extensive oxygen anneaof Cu by La concentration within the range (x=0.02-0.04). The highest T_c ($\approx$90K), sharpest transition to superconductivity (Δ=5 K) and lowest electrical resistivity (ρ= 9.2$\mu\Omega$.cm) are corresponding to the substitution samples of x=0.02 and 0.04.The highest T_c could be related to more holes, more carrier concentration and more cooper pairs. Depression and degradation of the superconducting state as (x) increases above this range ($0.04 \leq x \leq 0.06$) is observed. This depression of T_c due to increasing of (x) could be explained

of chains and planes as a result of the excess of La dopant around the grain, also to the effect of the hole filling within this range ($0.04 \leq x \leq 0.06$).

Therefore, T_c enhancement at low dopant La (x) and depressing it due to higher La (x) could be explained by the apex oxygen model and related to apical oxygen.

From this work, one can conclude that excess dopant of La ($x \leq 0.06$) results in a strong decoupling of chains and planes whereas optimal La doping ($0.02 \leq x \leq 0.04$) can be adopted an alternate route to extensive oxygen anneal and may work as a catalist causes partial melting which enhances all the superconducting properties.

REFERENCES

1-Abd – Shukor, R. 1993. Superconducting and Normal State Properties of YBa_2 $(Cu_{1-x}Cr_x)_3 O_{7-\delta}$. (x=0 – 0.1) *Applied Physics Communication* 12(3&4): 323-331.

2-Ozturka,A. Duzgunb,I & Celebi,S. 2010. The effect of partial Lu doping on magnetic behaviour of YBCO (123) superconductors. *Journal of Alloys and Compounds* 495: 104–107.

3-Anand, K., Tyagi , Sanjeev Tyagi, T. P & Sharma. 1997. About the substitutions for CuO in YBCO high temperature superconductor. *Materials Science and Engineering* B45: 88-97.

4-Awana, V.P.S., Lal,R., Deepak Varandani, Narlikar,A.V & Malik, S.,K. 1995. Effect of substitutions on the magnetism and superconductivity of $YBa_2Cu_3O_{7-y}Fe$ system with variable oxygen content. *Supercond. Sci.Technol.*8: 745-750.

5-Baranauskas, A., Jasaitis,D., Kareiva,A., Haberkorn, R & Beck,H.,P. 2001. Sol-gel preparation and characterization of manganese-substituted superconducting $YBa_2(Cu_{1-x} Mn_x)_4O_8$ compounds. *Journal of the European Ceramic Society* 21: 99-408.

6-Bednorz,J. G & Mueller, K., A. 1986. Possible high T_c superconductivity in the Ba-La-Cu-O system. Z. *Phys.* B64 (2): 189–193.

7-Chu, C.W., Hor, P.H., Meng, R.L., Gao, L. Huang & Wang,Y.Q. 1987. Superconductivity at 93K in a New Mixed-phase Y-Ba-Cu-O Compound System at Ambient Pressure. *Phys.* Lett. 58-405.

8-Cbuang, F.Y., Sue,D.J & Sun,C.Y. 1995. Effects of Silver Doping on the Superconducting Y-Ba-Cu Oxide. *Materials Rsaearch Bulletin*10:1309-1317.

9-Kini, N.S., Arun, M. & Umarji. 2003. Thermal analysis and thermal expansion studies on high density YBa_{2-x} $La_xCu_3O_{7-\delta}$. *Solid State Sciences* 5: 1451-1457.

10-Llonca, Gh., Pop, A. V., Ye, M., Mehbod, M., Debrue, G., Ciurchea, D. & Deltour, R. 1995.Transport properties of $YBa_2(Cu_{1-x}\ Zn_x)_3O_{7-\delta}$ films. *Supercond. Sci. Technol.*8:642- 646.

11-Mark, A., Rodriguez, Alexandra Navrotsky & Francesca Licci. 2000. Thermochemistry of $YBa_2\ Cu_{3-x}\ M_x\ O_y$ (M= Ni, Zn). *Physica* C 329: 88-94.

12-Elizabeth, S.A., Anand, S.V., Bhat, S.V., Subramanyam, H. L., & Bhat. 1999. Influence of cobalt doping on superconducting transition in as-grown YBCO single crystals. *Solid State Communications* 109 : 333–338.